هديتك مع العدد
براعم الإيمان

الوعي الإسلامي

AL- WA E I AL- ISLA MI

العدد ٣٧٥ - ذو القعدة ١٤١٧هـ - مارس ١٩٩٧م

عندما يكون الفساد في حماية القانون !!

- التجديد في الفكر الإسلامي
- دور الإسلام في التنمية الشاملة
- الشرق الأوسط وحرب المياه

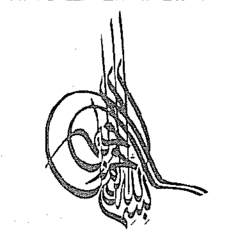


زكاة أموالك فقط ٢,٥٪

5745000

فقط ٢٥ د.ك قيمة زكاة أموالك عن كل ألف دينار يَحُول عليها الحَوْل

بيت الزكاة



الوعي الإسلامي

AL-WAEI AL-ISLAMI

إسلامية شهرية جامعة

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية
بدولة الكويت في مطلع كل شهر عربي

Islamic Monthly Magazine, Published By The
Ministry Of Awqaf & Islamic Affairs - Kuwait

العدد ٣٧٥ - السنة الثانية والثلاثون
ذو القعدة ١٤١٧هـ - مارس ١٩٩٧م

رئيس التحرير
CHIEF EDITOR
بدر سليمان القصار
Bader Al-Qassar

سكرتير التحرير
تمام أحمد
TAMMAM AHMD

المشرف الاداري و المالي
ADMINISTRATOR & FINANCIAL DIRECTOR
خالد عبد اللطيف بو قماز
Khaled.A.Buqammaz

الاشراف الفني
ART DESIGNER
صالح محمد صالح
S. M. Saleh

المراسلات:

مجلة الوعي الإسلامي
ص.ب: ٢٣٦٦٧ الصفاة 13097 - الكويت
المراسلات كافة باسم رئيس التحرير

al-Waei al-Islami

P.O.BOX: 23667 AL-SAFAT 13097
KUWAIT TEL: 965-2487210 -
FAX: 965-2431740

هاتف:

(٩٦٥) ٢٤٨٧٢١٠
فاكس: ٢٤٣١٧٤٠

وكيل التوزيع:
شركة الخليج لتوزيع الصحف
ص.ب: ٤٢٠٥٧ الشويخ 70651 الكويت
برقيا نيوزبيبر



كلمة العدد

من أجل الإسهام في معالجة الفساد

عزيزي القارىء الكريم

إيماناً من مجلة الوعي الإسلامي بخطورة الأوضاع الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة من حيث انتشار داء الفساد بشتى ألوانه وأشكاله ومسمياته ومؤسساته العلنية والخفية، وما نتج عن ذلك من تداعيات خطيرة وسلوكيات شاذة بين أبناء الأمة أفرزتها مفاهيم خاطئة بعيدة كل البعد عن حضارتنا وقيمنا وأخلاقياتنا، لذا فإن هذا العدد الذي بين يديك يركز في العديد من مقالاته على معالجة هذا الداء الخطير المدمر للأمم والحضارات وذلك إسهاماً من المجلة في معالجة قضايا الأمة، والأمل يحدونا أن يستمر جسر التواصل بيننا وبين الإخوة القراء والكتاب باعتباره الوسيلة المثلى لإثراء وإنضاج مثل هذه المعالجات الهامة واقتراح الحلول الناجعة لها والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الوعي الإسلامي

الاشتراكات

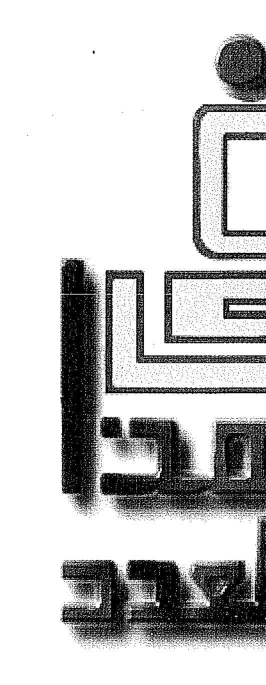
داخل الكويت : للأفراد ٥ دنانير - للمؤسسات ١٠ دنانير
الدول العربية : للأفراد ٦ دنانير كويتية (أو مايعادلها)
للمؤسسات ١٢ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها)
دول العالم: للأفراد ١٠ دنانير (أو مايعادلها)
للمؤسسات ٢٠ ديناراً كويتياً (أو مايعادلها)

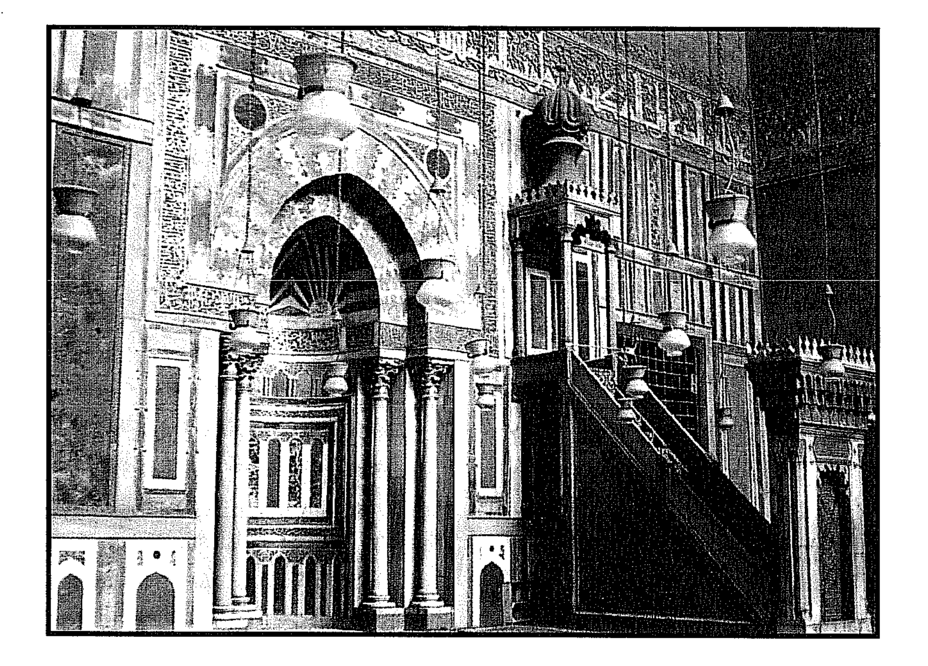
* ترسل قيمة الاشتراكات بشيك الى إدارة المجلة باسم مجلة الوعي الاسلامي (الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الأسعار

الكويت ٣٥٠ فلساً - السعودية ٤ ريالات - البحرين ٣٠٠ فلس
قطر ٤ ريالات - الامارات ٤ دراهم - سلطنة عمان ٣٠٠ بيسة
الاردن ٥٠٠ فلس - ج.م.ع جنيه مصري واحد - السودان ٥ جنيهات
موريتانيا ١٢٠ اوقية - تونس دينار واحد - الجزائر ٥ دنانير
اليمن ٥ ريالات - لبنان ١٠٠٠ ليرة - سوريا ٢٠ ليرة
المغرب ٦ دراهم - ليبيا ٥٠٠ مليم - اوروبا جنيه استرليني واحد او مايعادله
أمريكا وبقية دول العالم الاخرى دولاران او ما يعادلهما

طبع في مطابع دار السياسة



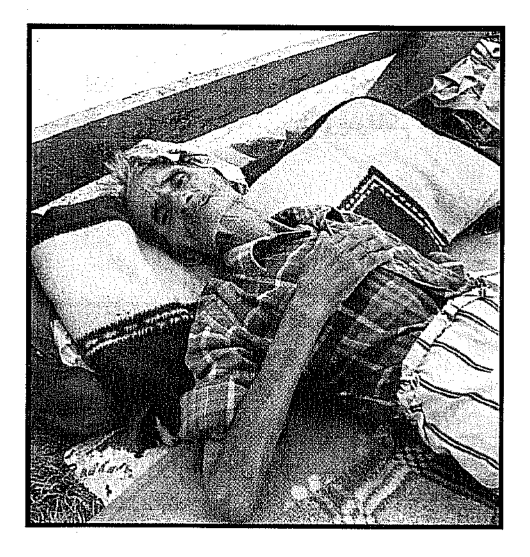


اقرأ في الأعداد القادمة

جدلية الكلمة في بنية الثقافة الإسلامية



الكلمة الجميلة المؤثرة فن متعلق بخطوط التواصل مع العقيدة باعتبارها جوهر التوحيد الدافع لكل صور التعبير والإبداع.



مكانة الشيخوخة في ظل الإسلام

٣٠

فئة الشيوخ والمسنين لها مكانة خاصة في المجتمع الإسلامي بفضل الرعاية الاجتماعية التي ضمنت لهم حياة الكرامة والأمن والإطمئنان

الوقاية من التصدع الأسري

٣٣

التصدع الأسري قضية اجتماعية خطيرة تقضي على طعم الحياة ولذتها وحلاوتها... ترى كيف تتم الوقاية من هذه القضية؟

ستر العورات فضيلة إنسانية

٣٦

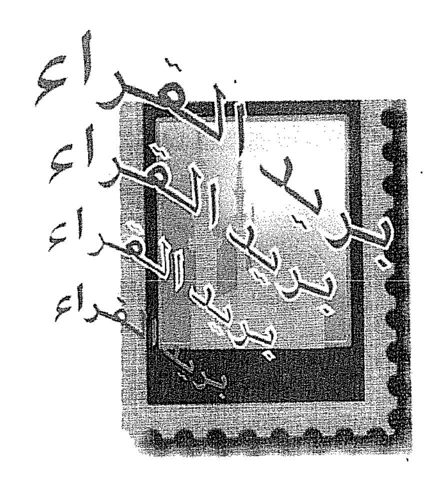
موضوع اللباس وستر العورة في الإسلام من أوليات التعاليم الدينية الدالة على الرقي في الذوق الاجتماعي المتوافق مع الفطرة الإنسانية

الاحتجاج بالسنة في قواعد النحو

٧٢

اختلف علماء اللغة والنحو في الاحتجاج بالسنة في مجال اللغة ما بين مؤيد ورافض... ما دلائل كل من الفريقين في هذه القضية اللغوية؟

الفهـــرس



ترحب الوعي الاسلامي برسائل القراء وتنشر منها ما يتوافق مع سياسات النشر لديها بما لا يتعارض مع حقوق الآخرين وحرية الرأي. وتحتفظ المجلة بحق تنقيح الرسائل واختصارها.

اقتراح

لي رجاء حيث إن هذه المجلة هي النبع الفياض الذي ننهل منه كل شهر كما أنها تعتبر وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله لذلك نرجو منكم تخصيص جانب من المجلة لتفسير آيات القرآن وتوضيح بعض الأحاديث حتى تجمع بين العلم الشامل بعلوم الدين والدنيا وخصوصاً في الوقت الذي أصبحت الأفكار فيه مضطربة في عقول الشباب وبعد أن أصبح القرآن والسنة يفسران حسب الأهواء والأغراض المختلفة.

وبعد أن شغلتنا الحياة الدنيا وأصبحنا نلهث وراء كسب لقمة العيش فليس عندنا الوقت الكافي لتحصيل العلم وبخاصة علوم الدين.

لذلك لي رجاء تلبية هذه الرغبة وكلنا أمل في الله ثم فيكم والله يرعاكم ويوفقكم لما فيه الخير

فايزة محمود حنفي / مصر

مسؤوليتنا عن البيئة

نحن اليوم قاربنا على نهاية القرن العشرين ودخول القرن الحادي والعشرين نشعر في شتى أقطار العالم كأناس اننا بحاجة إلى الطبيعة ولاسيما بعد أن أصبحت بيئتنا هذه مهددة بالأخطار المحدقة من جراء الاستهتار والتهاون وانعدام الشعور بالمسؤولية تجاهها.

أخي القارئ إن الطبيعة ليست محتاجة إلينا نحن بني الإنسان، بل العكس هو الصحيح، فقد باتت أجواؤنا ومياهنا بحاراً وأنهاراً ومياهاً جوفية ملوثة تلويثاً بفعل الإنسان ابن هذه الأرض الجميلة التي أضحت غاباتها تئن من ابنها العاق واستهتاره، فهو قد تنكر لها ولم يعترف لها بجميل وراح يعيث في الأرض فساداً وإفساداً ظاناً أنه قادر عليها في حين أنه لا يعرف أنها قادرة على التكيف والتخلص من عبثه وفساده، أما هو فإنه لا يملك هذه القدرة وسيكون عاقبة أمره وبالاً عليه وعلى حياته، ولهذا تجدنا اليوم مسؤولين بالضرورة تجاه بيئتنا الطيبة، وتبدأ هذه المسؤولية منك أخي القارئ الكريم، وتنتهي في كبريات المصانع والمؤسسات الحكومية والمنظمات الدولية، ومهما حاولت المؤسسات والمنظمات الدولية من رسم الخطط ووضع المشاريع ورصد الميزانيات لحماية البيئة من التلوث فإنها لن تكون قادرة على هذه الحماية بالشكل الذي يضمن صحة العباد إلا إذا كان الوعي على هذه القضية الخطيرة وعياً تاماً يبدأ من الطفل وينتهي بالشيخ الكبير، وأن يكون هذا الوعي شاملاً القارات الخمس فالقضية مصيرية عالمية وليست قضية إقليمية أو محلية، فالإنسان هو الذي يعمر هذا الكون وهو الذي يسخره لصالحه، وهو مسخر فعلاً لصالحنا وطوع بناننا.

محمد عبد الله / مصر

مجرد ملاحظة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على خاتم النبيين

في العدد ٣٧١ من مجلتكم الموقرة تحت موضوع بقلم صلاح حسين محمد شهاب الدين وتحت عنوان «العالم الإسلامي ومواجهة التحديات» ما أثارني هو عدم الوعي بما تتركه مثل هذه المقالات من آثار تعود سلباً على أمتنا ودليلاً على تكهنات الغربيين دون التحدث عن مدى قدرة العالم الإسلامي عن التحدي والمواجهة وبخاصة في الوقت الحالي فليس هناك أحد يضمن التحول الذي سيحول على الدول الإسلامية والعلاقة بينهما والعلاقة المستقبلية بالغرب.

أسئلة عن أدبنا الإسلامي

يشكل الأدب الإسلامي بشتى أجناسه مرآة الأمة الإسلامية وضميرها الذي يعبر عن همومها وآلامها وآمالها، ويتشبث ويدافع - في آن - عن قيمها ومقدساتها الحضارية، وذلك بتوظيف كل إمكاناته وطاقاته الإبداعية حتى يجيء الانتاج في المستوى المطلوب من الناحية الفنية والجمالية، وحتى يعكس الوجه الحقيقي لهوية وحضارة هذه الأمة العظيمة الضاربة في عمق التاريخ.

ترى هل استطاع الأدب الإسلامي — حتى الآن — أن يكوّن لنفسه نظرية مكتملة، وقائمة بذاتها؟ وما قيمته وسط هذا الزخم الكبير من التيارات والنظريات التي تعج بها الساحة الأدبية العالمية؟ وهل بإمكانه أن يتفتح عليها ويستفيد منها دون أن يمس ذلك بأصوله ومبادئه الأساسية؟ وهل استطاع أن يحقق في جميع الأجناس، ذلك التراكم الذي يفسح المجال للعملية النقدية حتى تقوم بالدور المنوط بها على أحسن وجه؟

ولماذا لم يستطع «النقد الإسلامي» أن يتخلص من الرؤية النقدية القديمة (نظراً لخصوصية معاييرها التي كانت تلائم زمانها..) على الأقل في المجال الشعري، باعتباره الجنس الأكثر تراكماً في الأدب الإسلامي الحديث، وإن كانت تتفاوت مستوياته الفنية والجمالية من شاعر إلى آخر؟

وهل يمكن أن نتكلم حالياً عن تميز الأدب الإسلامي عن الأدب العربي وعن باقي الآداب العالمية الأخرى، أو عن صلات وصل بينه وبينها؟ هل يمكن أن نتحدث فعلاً عن التزام في الأدب الإسلامي وعن معيارية منهجه؟

كيف يمكن أن نجعل من هذا الأدب أدباً إنسانياً؟ أصحيح أن التنظير له في المشرق يختلف في بعض الجوانب عن أخيه في المغرب نظراً لعدة اعتبارات؟ أين تكمن أوجه التشابه وأوجه الاختلاف؟ هل هناك فعلاً أزمة في المصطلحات؟ ولماذا كل هذه التنظيرات لازالت تحكمها روح العفوية وتطبقها الفردية وليست الرؤية الجماعية أو المؤسساتية؟ وما موقف الأدب الإسلامي من التخريب والحداثة وما بعد الحداثة..؟

اعتقد أن غيرتي ومحبتي للأدب الإسلامي هي التي دفعتني إلى طرح كل هذه الأسئلة الجوهرية التي تفرض علينا مضاعفة الجهود في جميع الجوانب من أجل أنصاف أدبنا وإعطائه المكانة اللائقة به.

عبد العظيم فوزي - مكناس / المغرب

الوعد الحق

الصمود الشيشاني يعد بكل المقاييس انتصاراً إسلامياً رائعاً، أثلج الله به صدور قوم مؤمنين.

«إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون»... فيما يتفكرون؟... التفكر والتدبر والتأمل في أن الانتصار العسكري ليس قريناً للتفوق التكنولوجي في السلاح، وتعداد الجيوش، وترسانة الحرب النووية، ولكنها قوة الإيمان... ذلك السلاح الجبار الذي لا تقهره كل قوى الأرض المدججة بالسلاح النووي والذري... إنها قوة روحية حين تتمكن من النفس المؤمنة تجعلها تستعلي على قوى الأرض، وتستهين ببطش الطغاة، وتواجه ترسانات السلاح المتقدمة بصدور عارية... لماذا؟

لأن الإيمان المطلق يقوى مع الشدائد والمحن، ويستجيش القوة الكامنة الهائلة التي ما كان يعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت ضربات البلاء... عندئذ تكون النفس المؤمنة بحاجة إلى مساعدة، فتلتجيء إلى الله وحده حينما لا تجد سنداً من دونه، من ساعد الشيشان في محنتهم في مواجهة الترسانة الروسية المدمرة؟.. إنه الله... لا شيء إلا هو... لا قوة إلا قوته... لا إرادة إلا إرادته... لا ملجأ إلا إليه. إن هذه النفوس انتصرت لأنها لم تسأل ماذا ستربح من الحياة، وماذا ستأخذ منها؟ ولذلك لم تخش شيئاً إلا الله... لأن القوة والعزة لله جميعاً.

إن الانتصار الشيشاني المدوي، الذي حدث في هذا الجزء الإسلامي يعد رسالة ربانية واضحة يوجهها لنا المولى سبحانه وتعالى إلى أنه هذا هو الطريق... طريق العزة والقوة والانتصار ولا طريق غيره «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم».

إنها رسالة واضحة إلى كل من يريد أن يعقل ويفهم... إلى كل من يريد أن يبدأ... إنها رسالة جلية لا غبار عليها، وصدق الله العظيم إذ قال:

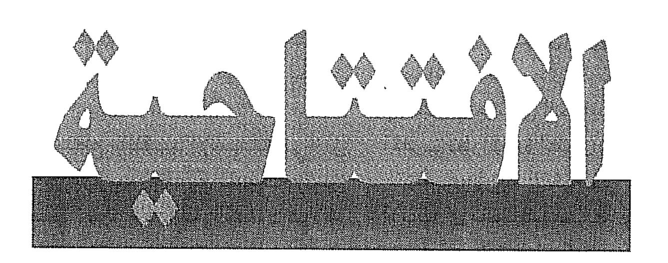
«أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله».

هذا هو وعد الله للمؤمنين، والله لا يخلف وعده... فهل نعي الرسالة قبل فوات الأوان؟

صالح عبد الله صمصم محمد
مصر - الإسكندرية

ردود خاصة

- القارىء قرار بن عبد الحميد / غانا القارئة الأخت أيفي نوفيا / اندونيسيا: حولنا طلبيكما إلى إدارة الشؤون الثقافية فهي صاحبة الاختصاص في الموضوع وشكراً لكما.
- القارىء علي محمد عجمي قاسم / مصر: الصفحة الأدبية ترحب بكم وبآرائكم ومقترحاتكم ما دامت ضمن التوجه العام لآراء المجلة.
- القارىء رشاد أحمد حلمي السيد من مصر والطالب مارا سيدي عبدالصمد من تايلاند: نحن لسنا جهة خيرية. نأسف لتلبية طلبيكما.
- القارىء محمود بدار عبد ربه / مصر: عنوان المراسلة والاشتراك موجود داخل المجلة، وشكراً على ثقتكم بالمجلة.



عندما يكون الفساد في حماية القانون؟!

في خطابه الذي افتتح به أخيراً الاجتماع السنوي لصندوق النقد والبنك الدوليين في واشنطن شنَّ رئيس البنك «جيمس رولنفسون» هجوماً لاذعاً على الفساد في الدول الصناعية والنامية على حد سواء، وطالب جميع دول العالم بمعالجة هذا السرطان ومواجهته والقضاء عليه بكل الوسائل والسبل قبل استفحال الخطر!

وفي إشارة إلى حُماة الفساد في دول العالم قال وكيل وزارة الخارجية الأمريكي الأسبق: «ديفيد نيوسم» في مقالة له نشرتها صحيفة «كريستيان سانيس مونيتور»:

ثمة جرثومة تنخر في جسد النظام العالمي الجديد تدعى «الفساد» وللوقوف على هذه الآفة ما عليك إلا الاستفسار من رجال الأعمال وممثلي الشركات الذين زاروا أو تعاملوا مع جهات رسمية في العديد من بلدان العالم وسيؤكد لك هؤلاء مدى الرشىً والعطايا التي يطالب بها بعض الموظفين الحكوميين في كثير من الأقطار لقاء قيامهم بواجباتهم الرسمية؟!

إن داء الفساد اليوم فرض نفسه في معظم المجتمعات البشرية المعاصرة، بينما الصيحات تتوالى من علماء الاجتماع والنفس ورجال الدين ودوائر الأمن ومؤسسات الإصلاح الاجتماعي معترفة بالفشل في مكافحة هذا الداء الوبيل الذي استشرى في كيانات الأمم هدماً وتخريباً وتبديداً للثروات والطاقات لدرجة أنه طال مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية والإعلامية، وأينما يممنا وجوهنا نجد أن لهذا الداء أشخاصاً وهيئات تروج له وتدافع عنه تحت مسميات ومزاعم باطلة مرتدية في بعض الأحيان لبوس الفضيلة والحق والعدالة، فالرذيلة بمختلف أنواعها كمعاقرة الخمر وتعاطي المخدرات وانتشار الرشىً والسرقة والقتل وإباحة الإجهاض لستر الرذيلة وظاهرة الحمل بين غير المتزوجات، ووجود عائلات ترأسها أمهات غير متزوجات، وغيرها من مظاهر الفساد والإفساد في الأرض، أصبحت تُصان هذه المظاهر وللأسف في كثير من دول العالم، بحكم القانون ومن يتصدى لها ويحاول معالجتها وإنكارها وتخليص المجتمعات من شرورها وآثامها ينعت بالتخلف والهمجية وقصور العقل ويحارب بكل قوة.

ولقد ازداد الأمر سوءاً عندما تحولت السجون والمدارس الإصلاحية والتي من المفترض أن تكون وسائل علاج ووقاية تحولت للأسف إلى بؤرة من بؤر الفساد، بل إلى أماكن لتعليم الجريمة وتطويرها والتفنن في أساليبها وأماكن للراحة والاستجمام وزيادة الوزن!! وهذا يؤكد فشل الوسائل المستخدمة في القضاء على الفساد، وعدم جدية وإخلاص القائمين على مقاومة ذلك كما ثبت أيضاً أن القوانين والنظم الوضعية في معالجة هذا الداء أصبحت غير

مجدية، وأن الانطلاقة الحضارية المادية لم تعد قادرة على إشاعة الأمن والأمان والاستقرار النفسي في المجتمعات البشرية، وذلك لأنها تحولت عن الوجهة التي أرادها الله لعباده في الأرض فانحرف الفكر وانقلبت المفاهيم وأصبحت حضارة الغرب تهدف إلى تحقيق الكسب المادي فقط، مستفيدة في ذلك من التفوق العلمي والعسكري وهنا مكمن الخطر، يقول الكاهن المشهور «جيري فولول» في كتابه اسمعي يا أمريكا:

لديَّ إحصاءات مرعبة عن حوادث الطلاق وتدمير الأسر والإجهاض وجنوح الناشئة والفوضى الجنسية وتعاطي المخدرات وجرائم القتل، إنني أشاهد طعام الإنسان والأرواح المهدورة بأكداس تفوق الإحصاءات، وأن أمريكا بحاجة سريعة إلى الإنقاذ الروحي والأخلاقي إذا كانت تريد ألا تهلك في القرن العشرين!!

إن الإسلام لا يرضى مطلقاً عن تفشي الفساد والرذيلة، على اختلاف أنواعها بين البشر، لأنها تحط من قدر الإنسان وتكون سبباً لكثير من الأمراض الاجتماعية التي تحول دون تقدم الإنسانية، فهو - أي الإسلام - مجتمع الأخلاق والفضيلة والقيم السامية وهو في جوهره ينفر من الفساد ويرفض سلوكيات المفسدين المعوجة التي تنال من الاستقرار الاجتماعي، ويرى أن أمن البلاد واستقرار المجتمع لا يتحقق بالرأفة والوساطة لأجل إنقاذ المجرمين، وإنما بإنزال القصاص العادل بكل من تسوّل له نفسه الفساد والإفساد في الأرض، «والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) المائدة - ٣٣.

إن القصاص من المفسدين والمجرمين في شريعة الإسلام ليس وسيلة للانتقام أو التشفي، بل هو الحياة بعينها للأمة كلها - مسلمها وغير مسلمها - حفظاً لها من الانحدار والسقوط قال تعالى:

«ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون» البقرة - ١٧٩.

وفي هذا الصدد يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله:

«يوم يكون الخطأ زلة قدم لم تألف العوج أو انهياراً مباغتاً في الإرادة الإنسانية وهي تنشد الخير، فإن الإسلام يقف مع العاثر حتى ينهض، ومع المنهار حتى يثبت، والشروط التي وضعها الإسلام لإقامة الحدود والقصاص تؤكد هذه الحقيقة».

إن الحد في الإسلام تسقطه شبهة وقد تسقطه - في بعض المذاهب - التوبة - والقضاء بصير بمواضع العنف واللطف والمهم صون المجتمع من استقرار الفساد والجرأة على المحرمات.

إن التربية الإسلامية للفرد - منذ الولادة وحتى الممات - اتخذت من التدابير الواقية من الجرائم والقضاء على المفسدين ما يكفل سلامة المجتمع والسير به إلى بر الأمان، فاهتمت أولاً بتربية الطفل وتنشئته التنشئة الإسلامية السليمة القائمة على المبادىء والقيم والعادات الإسلامية، حتى يشب عنصراً فاعلاً في المجتمع، ومن ثَمَّ وضعت له من المبادىء والقوانين الرادعة التي تمنعه من الانحراف والسقوط في مهاوي الفساد والرذيلة، فهل يتنبه المربون والمخلصون في العالم أجمع إلى مبادىء الإسلام في التربية ومعالجة الفساد، ومواجهة معاول الهدم لحضارة بني الإنسان ويقومون بتبنيها كنظرية حضارية بديلة... هذا ما نأمله والله من وراء القصد ■

إعادة تنظيم إدارة البحوث والموسوعات الإسلامية في الأوقاف

دراسة السلوكيات الشاذة واقتراح خطط المعالجة الفكرية وتعزيز التبادل مع المراكز الإسلامية

أعاد قرار إداري أصدره وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية خالد الزير أخيراً تنظيم إدارة البحوث والموسوعات الإسلامية في الوزارة مجدداً الغرض الرئيسي منها إعداد الدراسات والبحوث الشرعية التي تلبي احتياجات المجتمع وتعالج الظواهر الاجتماعية السلبية المستحدثة، فضلاً عن تدعيم البعد الحضاري للإسلام في التنمية والتوافق والتكافل الاجتماعي.

وعهد الزير إلى الإدارة وضع نظم وقواعد اختيار المشاريع العلمية في مجالات البحوث والدراسات والموسوعات الإسلامية، وتحقيق كتب التراث وفهرسة أمهات الكتب الإسلامية، وكذلك اختيار موضوعات الموسوعات الإسلامية ووضع خطط وبرامج تنفيذها إلى جانب خطط وبرامج الأبحاث والدراسات الإسلامية التي تعزز من دور الدين الإسلامي وقيمه السمحة.



● خالد الزير

وستقوم الإدارة بالتنسيق مع الجهات المعنية بإعداد الدراسات المتعلقة بالأمور التي تعتبر خروجاً على القيم والتقاليد الإسلامية، واقتراح خطط المعالجة الفكرية لها، مع دراسة جميع البحوث والدراسات الاجتماعية والتربوية والاقتصادية والتشريعية التي تحال إليها من الجهات المعنية على ضوء مبادىء وأحكام الشريعة الإسلامية بالإضافة إلى توثيق الروابط ودعم الاتصالات مع مراكز البحوث الإسلامية من خلال مد قنوات الاتصال الفعال وتعزيز التبادل الفكري والعلمي معها، على ألا تغفل الإدارة عن اقتراح برامج التدريب والإعداد المهني للعاملين في وظائف البحوث والدراسات والموسوعات الإسلامية وتعريفهم بأصول ومناهج العمل بالتعاقد مع إدارة التطوير والتدريب.

في تقرير رفعته إلى ديوان المحاسبة

١١٢ مليون دينار استثمارات أمانة الأوقاف حتى نهاية ١٩٩٦

استثمرت الأمانة العامة للأوقاف أكثر من ١١٢ مليون دينار في العديد من الشركات والمحافظ والصناديق بالإضافة إلى الاستثمار في المرابحات والودائع وحسابات تحت الطلب والعقار وذلك حتى نهاية عام ١٩٩٦م.

وقال الأمين العام للأوقاف عبدالمحسن العثمان رداً على سؤال لـ «الرأي العام» حول مدى إلزامية المادة السابعة من قانون حماية المال العام والتي تلزم فيها الجهات الحكومية بموافاة ديوان المحاسبة بالبيانات المالية وأوضاع استثماراتها.

قدمنا وبفضل الله التقرير المطلوب عن الأموال المستثمرة كما هي في ٣١ ديسمبر ١٩٩٦ لديوان المحاسبة في الموعد القانوني.

وذكر أن وزير العدل ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية ورئيس مجلس شؤن الأوقاف محمد ضيف الله شرار قد أرسل هذه البيانات إلى رئيس ديوان المحاسبة مشيراً إلى أنه حدث تطوير في عرض هذه البيانات استجابة لتعليمات الديوان في هذا الشأن، حيث روعي إدراج القيم السوقية للأموال المستثمرة والعوائد الربحية المحققة لها بالإضافة إلى القيم الدفترية.

وأشار إلى أن إجمالي المبالغ المستثمرة حتى نهاية عام ١٩٩٦ بلغت ١١٢ مليوناً و ٨٠ ألفاً و ٨٢٦ ديناراً وهي موزعة على النحو التالي:

الاستثمار في شركات ١٤,٤٢٥,٠٨٨ د.ك ـــ الاستثمار في المحافظ والصناديق ٢٣,٨١٩,٦٦٠ ـــ الاستثمار في المرابحات ١٣,١٨١,٩٣٧ ـ ودائع وحسابات تحت الطلب ٣,٥٨٣,٧٢٦ ـــ نقد لدى البنوك ١,٦٩٩,٨٧٣ ـ الاستثمار في عقار ٥٥,٣٧٠,٥٤٢.

يذكر أن المادة السابعة من قانون حماية المال العام تنص على أن الجهات التي تستثمر أموالاً تجاوز قيمتها ١٠٠ ألف دينار في الداخل أو الخارج أن تقدم إلى الوزير المختص بياناً كاملاً عن أوضاع الأموال المستثمرة لديها وحالتها. وعن الأرصدة غير المستثمرة كل ستة أشهر وذلك خلال الثلاثين يوماً التالية لهذه الفترة، وعلى الوزير المختص موافاة رئيس ديوان المحاسبة بتقرير عنها خلال شهري يناير ويوليو من كل عام عن الأموال المستثمرة في الجهات التي يشرف عليها.

بحثا التعاون الثقافي بين الأوقاف الكويتية والبحرينية

القناعي يستقبل الشيخ خليفة بن حمد آل خليفة وكيل وزارة الأوقاف المساعد بالبحرين

استقبل وكيل وزارة الأوقاف المساعد للثقافة الإسلامية عبدالعزيز بدر القناعي في مكتبه بالوزارة الشيخ/ خليفة بن حمد آل خليفة وكيل وزارة العدل والأوقاف المساعد في البحرين، خلال زيارته لدولة الكويت والتي استغرقت عدة أيام لبحث أوجه التعاون بين وزارتي الأوقاف الكويتية والبحرينية.

وقد استعرض القناعي خلال اللقاء طبيعة عمل الثقافة الإسلامية في وزارة الأوقاف وأوجه التعاون بينها وبين قطاعات الوزارة الأخرى، وكذلك مع الهيئات والوزارات الأخريفي الدولة، وتحدث عن أنشطة الثقافة الإسلامية وإصداراتها على المستوى المحلي والمستوى العربي والإسلامي، ودورها في إبراز المناسبات الإسلامية والقومية وتعريف المواطنين بها من خلال الاتصال المباشر عن طريق الخطب والندوات والمحاضرات والاتصال غير المباشر عن طريق وسائل الاتصال والإعلام.

كذلك شرح القناعي للضيف جهود إدارة الثقافة الإسلامية في إعداد المسابقة الأدبية السنوية التي تهتم بالأدب والشعر والقصة والبحث والتي يحرص الكثير من المواطنين والمقيمين على الاشتراك فيها حيث بلغ عدد المشاركين سبعة آلاف مشارك ويتم توزيع جوائز نقدية وعينية قيمة على المتميزين كما تقوم ادارة الثقافة الإسلامية بنشر الإنتاج المتميز من خلال إصداراتها «الوعي الإسلامي - المنتدى - وكذلك عن طريق إدارة الإعلام الديني».

واستعرض وكيل وزارة الأوقاف المساعد للثقافة الإسلامية جهود ادارة الثقافة الإسلامية في النهوض بالأنشودة الإسلامية كبديل إسلامي تسعى الإدارة على طرحه بين الشباب، حيث نجحت الإدارة في تنظيمها للعام الثالث على التوالي كنشاط شبابي يقام على أحد المسارح الكبيرة ويحرص عدد كبير جداً من الأسر على الحضور للاستمتاع بالأنشودة الإسلامية، ويشارك فيها وفود من كل من السعودية والإمارات العربية المتحدة، وتقوم الوزارة بتسجيل الأناشيد الإسلامية المنتجة على أشرطة الكاسيت والفيديو كاسيت ، وقد وجه القناعي الدعوة لوفد من دولة البحرين للمشاركة في هذا النشاط الذي سيقام خلال شهر إبريل المقبل وللعام الثالث على التوالي.

ومن جانب آخر شرح القناعي للشيخ خليفة طبيعة عمل لجنة إعداد برامج الوعظ الخاصة بالمؤسسات والتي تقوم عليها الثقافة الإسلامية، حيث يتم إعداد بعض الندوات والمحاضرات الخاصة بكل مؤسسة حسب طبيعتها وطبيعة العاملين بها ويعمل فريق الوعظ في مختلف مؤسسات الدولة ومنها السجن المركزي حيث يوجد فريق متخصص يتولى تزويد النزلاء بالثقافة الإسلامية التي تساعدهم ليعودوا مواطنين صالحين في المجتمع.

وفي ختام اللقاء طلب الشيخ خليفة بن حمد آل خليفة وكيل وزارة العدل والأوقاف المساعد بالبحرين نسخاً من خطط عمل قطاع الثقافة ونسخاً من إصدارات «الوعي الإسلامي - المنتدى - سلسلة ثقافتك الإسلامية» من خطب الوعظ والإرشاد التي تقوم بها الثقافة

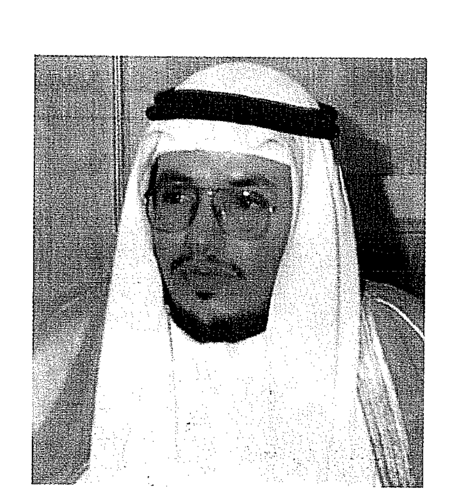
لجنة من الأوقاف لمراقبة سكن حملات الحج

صرح الوكيل المساعد لشؤون الحج والدراسات الإسلامية الدكتور عادل عبدالله الفلاح بأنه تم تشكيل لجنة من أربعة عشر عضواً من جميع قطاعات الوزارة وذلك للإشراف على عملية تقييم السكن المخصص للحملات الكويتية في مكة.

وقال إن اللجنة المكلفة بالإشراف على عمارات وأماكن السكن للحملات الكويتية غادرت البلاد.

ويستمر عمل اللجنة قرابة أسبوعين حتى يتسنى للجنة تقييم الحملات الكويتية ومنحها تراخيص مباشرة العمل.

والجدير بالذكر أن إدارة شؤون الحج والدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والتي يرأسها الدكتور عادل الفلاح هي الجهة المخولة بإعطاء الإذن للجهات المعنية والسماح للحملات الكويتية بممارسة نشاطها في موسم الحج.



● د. عادل الفلاح

استطلاع

إذا حق لمصر الفرعونية أن تفخر بأهراماتها، فإن مصر الإسلامية تتيه فخراً وعجباً بجامع السلطان حسن درة العمارة الإسلامية ومفخرتها، والذي حوى كل فريد وغريب وجديد وجمع شتى الفنون. فلا يوجد مسجد في الدنيا كلها قد حظي بما حظي به جامع السلطان حسن من روعة الفن الإسلامي ورونقه ولا من عجائب البنيان مثلما تواجد في جامع السلطان حسن الكائن بجوار القلعة في القاهرة الإسلامية.

استطلاع:
عبدالحي محمد عبدالحي



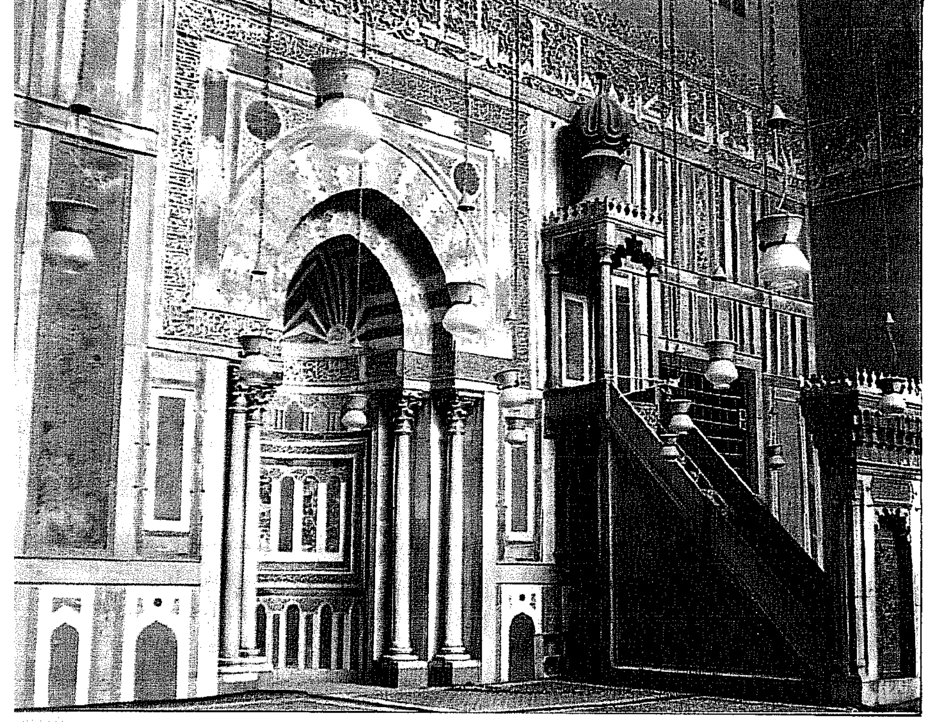
■ الجامع يحوي كل غريب وفريد وجديد، ويجمع شتى الفنون منها القبة العظيمة التي لا مثيل لها في بلاد الإسلام والمنبر الرخام الذي لا نظير له ومئذنته العجيبة

وصف المؤرخ الشهير المقريزي الجامع بقوله: «ولا يعرف في بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذا الجامع، وقبته التي لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلها، بهذا الجامع عجائب من البنيان منها أن ذراع إيوانه الكبير خمسة وستون ذراعاً في مثلها، ويقال إنه أكبر من إيوان كسرى الذي بالمدائن في العراق، ومنها القبة العظيمة التي لا مثيل لها في البلاد الإسلامية، ومنها المنبر الرخام الذي لا نظير له، ومنها البوابة العظيمة والمدارس الفقهية الأربع بدور قاعة الجامع».

وقال المؤرخ ابن تغري بردي عن الجامع: «إن جامع السلطان حسن ومئذنته وقبته من عجائب الدنيا، وهي أحسن بناء بني في الإسلام» بينما يصفه المؤرخ الشهير غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري قائلاً: «ليس لجامع السلطان حسن نظير في الدنيا، فقد حكي أن السلطان حسن لما أمر بعمارته طلب المهندسين من أقطار الأرض وأمرهم بعمارة جامعه، ولم يعمر أعلى منه، فعمر وعمر به أربع منارات هدم منها اثنتين وبقيت اثنتان وهي عجيبة من عجائب الدنيا».

وقد كتب الرحالة العرب ـ الذين زاروا الجامع وأعجبوا به أيما إعجاب ـ عنه كلاماً رائعاً منه ما كتبه الرحالة المغربي «الورتيلاني» حيث قال: «إنه جامع لا ثاني له في مصر ولا في غيرها من بلاد الإسلام من فخامة البناء ونباهته وارتفاعه وإحكامه واتساع حناياه وسعة أبوابه كأنها جبال منحوتة تصفق الرياح في أيام الشتاء بأبوابه كما تفعل في شواهق الجبال، وفي أحد أبوابه سارية رخامية لطيفة يقال إنها من إيوان كسرى وفيها نقوش عجيبة».

وقد جمع الأستاذ جاستون فييت مدير إدارة الآثار العربية» سابقاً كل ما كتبه الرحالة الغربيون عن جامع السلطان حسن في دراسة علمية حول الجامع قدمها بقوله: «إن هذا الجامع هو الوحيد بين جوامع القاهرة الذي يجمع بين قوة البناء وعظمته، ودقة الزخرفة وجمالها، وهو العمل العظيم في الإسلام الذي روعي في تشييده مكانة البناء، فهو كالمعابد القديمة يتحدى الزمن، وينطبق عليه ما تخيله شاعر عربي من أن الزمن هو الذي يقاوم قوة المباني الضخمة، ولاريب في أن هذا البناء العالمي الشهرة، والعظيم القيمة رمز لمجد



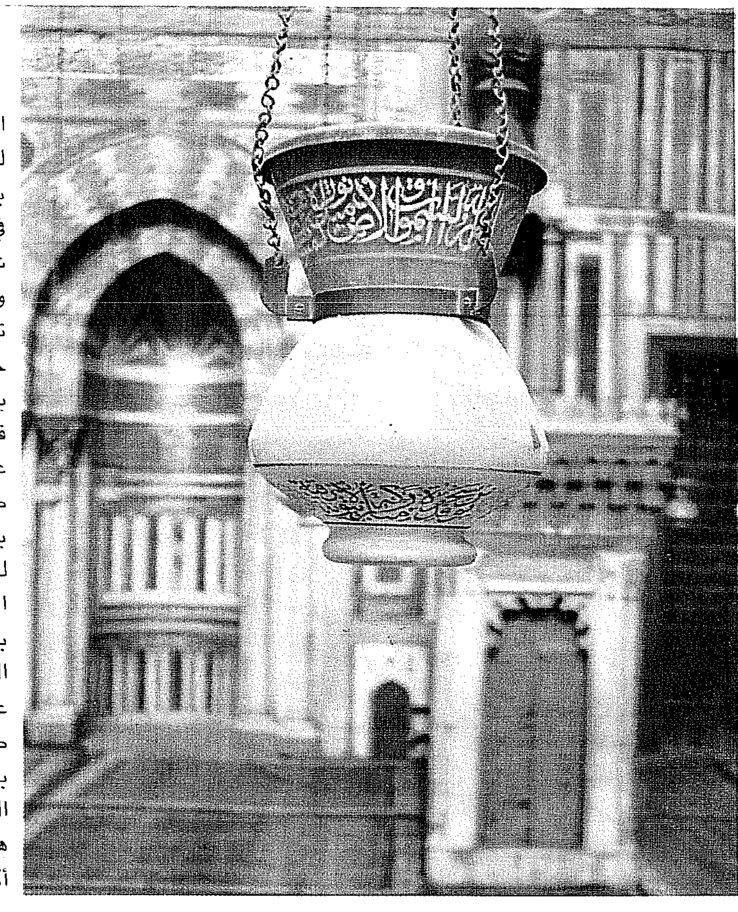
الإسلام وقوته وعظمته».

من السلطان حسن؟

والسلطان حسن هو السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون المملوكي، ولد في سنة ١٣٣٤م وسميُ أولاً قمارى ، ولما ولي ملك مصر اختار اسم حسن فعرف به، ولصغر سنه عندما تولى الحكم (١٣سنة) ناب عنه في إدارة شؤون الدولة الأمير بليغاروس ملك السلطنة، وفي سنة ١٣٥٧م أثبت القضاة أن السلطان حسن بلغ سن الرشد، إلا أن الأمراء تآمروا عليه وأقصوه عن الملك وتم اعتقاله في الدور السلطانية، إلا أنه أعيد مرة أخرى إلى ملك مصر، فدانت له وتزايد سلطانه وكثرت مماليكه، إلا أن أمراء المماليك تآمروا عليه مرة أخرى وقيل إنهم خنقوه وألقوا به في البحر ولم يعرف له قبر.

وكان رحمه الله متديناً عاقلاً مفرط الذكاء، فيه رفق بالرعية، كما كان حازماً شجاعاً منزهاً عن كثير من نقائص المماليك، وكان ينفر منهم ويقرب غيرهم من أبناء المصريين ويعينهم في حاشيته.

وقد بدأ السلطان حسن في بناء جامعه سنة ٧٥٧هـ واعتنى به عناية شديدة، واستمرت العمارة جارية فيه ثلاث سنوات بلا انقطاع رغم ما ألم بمصر حينذاك من مجاعة شديدة، وروي أن السلطان حسن قال: «لولا أن يقال إن ملك مصر عجز عن إتمام بناء بناه لتركت بناء هذا الجامع من كثرة ما صرف عليه»، وقد احتفل السلطان حسن قبيل اغتياله بافتتاح جامعه وصلى به الجمعة، وأنعم على البنائين والمهندسين، وأقيمت فيه الدروس في حياته، كما قرر لجامعه ـ والذي يعرف أيضاً بمدرسة السلطان حسن والتي تضم ٤٠ مدارس تعليمية للمذاهب الفقهية ـ وقفية مؤرخة في شهر رجب



٧٦٠هـ ورصد عليها عقارات وأراض تغل للصرف على المدارس والجامع، وعين به الموظفين والقراء، وفرشه وعلق به الثريات والمشكاوات وعين له إماماً.

موقع الجامع

ويقع جامع السلطان حسن بجوار قلعة صلاح الدين الأيوبي، وحينما تصل إليه تقف مبهوراً أمامه لروعته المعمارية الإسلامية، تبلغ مساحة الجامع ما يقرب من ٧٩٠٦م٢، وهي على شكل مستطيل غير منتظم الأضلاع، وخال من جميع الجهات، ولذا فإنه يحتوي على أربع واجهات، وتقع الواجهة الرئيسية للمسجد في الضلع الشمالي والذي يبلغ طوله ١٤٥م، وقد زخرفت تلك الواجهة بإثنتي عشرة حنية تمتد بارتفاع الواجهة والذي يبلغ ٣٧,٨٠م.

وأنت ذاهب إلى صحن الجامع لا تشعر وأنت تسير أنك تنحرف شمالاً ثم يميناً ثم شمالاً، وتحس بتكييف في الهواء نظراً لمساقط الهواء التي تتخلل البناء، والمدخل ينقسم إلى ثلاثة أقسام، الأوسط منها وهو الذي يوجد فيه فتحة الباب إذ يبلغ اتساعه ١٢م، أما الجانبان فيبلغ اتساع كل قسم ٧م، وقد زخرفت هذه الأقسام الجانبية للمدخل الرئيسي بزخارف منقوشة في الحجر على شكل مربعات ومستطيلات في ترتيب هندسي جميل، أما فتحة باب المدخل فتوجد في تجويف عميق تعلوه طاقية تنتهي بنصف كرة ولفت للانتقال من المربع إلى الدائرة بصفوف من الدلايات بلغ عددها عشرين صفاً، وقد جمعت بعض هذه الصفوف على هيئة مثلثات مما أكسبها منظراً جميلاً خلاباً لا مثيل له في الواجهات المصرية ويكتنف هذا المدخل حنيتان يعلوهما دلايات رصعت بالرخام الأخضر بأشكال هندسية جميلة وكتب أعلاها بالخط الكوفي المزدهر قوله تعالى: (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً. ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يعلوهما تربيعتان كتب على إحداهما بالكوفي المربع «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وعلى الثانية أسماء الخلفاء الراشدين الأربعة «أبو بكر وعمر وعثمان وعلي».

مدخل الجامع

وباب المدخل له مصراعان من الخشب

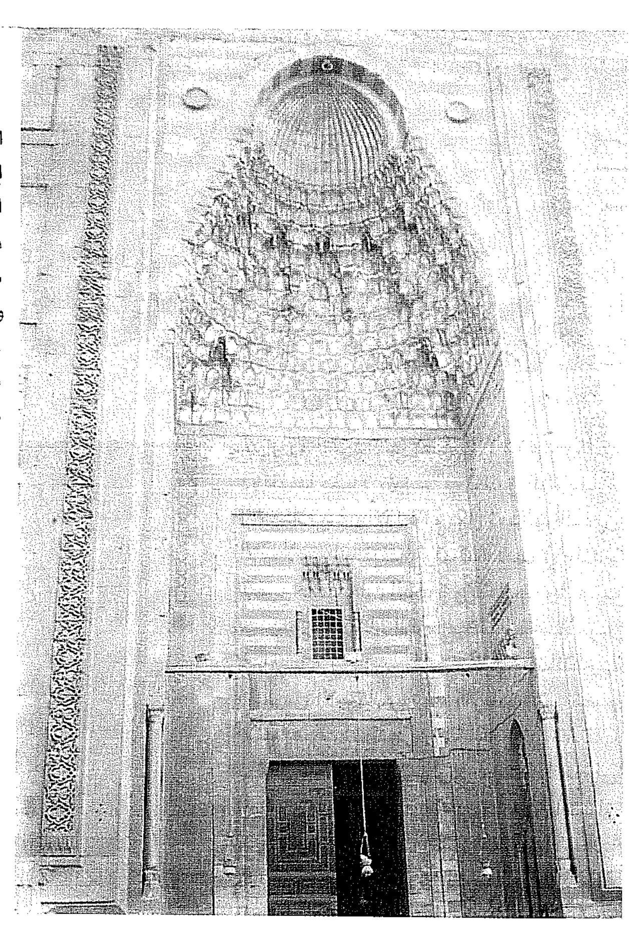
> ■ الجامع هو الوحيد بين جوامع الإسلام الذي يجمع بين قوة البناء وعظمته ودقة الزخرفة وجمالها

مغشيان بالنحاس من أنفس الأبواب النحاسية، ويغطي الباب مجموعة كبيرة من المقرنصات ومليء بالزخارف التي لا نظير لها في الديار المصرية، وأمثالها كثير الوجود فبآثارآل سلجوق، ويؤدي الباب إلى مدخل مربع الشكل مكون من ثلاثة إيوانات مغطاة بمقرنصات تتوسطها قبة حجرية ملبسة بالحجر الأحمر، وبصدر هذا المدخل مصطبة تشغل أحد الإيوانات حلي صدرها بالرخام الملون الملبس في رخام أبيض وشباك من الجص الدقيق ودوائر ومستطيلات زخرفية دقت في الحجر بدقة لا تقل عن الحفر في الخشب أوالجص.

ومن هذا المدخل نصل إلى سلم ذي خمس درجات يؤدي إلى دهليز معقود ينثني دفعة واحدة إلى اليسار وينتهي إلى صحن كبير مفروش بالرخام الملون مساحته ٣٤,٦٠م في ٣٢م، يتوسطه فسقية تعلوها قبة محمولة على ثمانية أعمدة رخامية مكتوب بدائرهاآية الكرسي وتاريخ الفراغ منها، وحول الصحن أربعة إيوانات أكبرها إيوان القبلة، وهو إيوان كبير لا نظير له في سعته وارتفاعه إذ تبلغ فتحته ١٩,٢٠م يحيط به أفريز نادر من الجص مكتوب عليه بالخط الكوفي المزدهر ما نصه: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً إلى قوله تعالى... فوزاً عظيماً»، ويتخلل الكتابة زخارف دقيقة ويتوسطه دكة من الرخام يلفت النظر فيها تلبيس عمد الرخام الملون في نواصيها، وبصدره المحراب المغشى بالرخام الملون والمحلى بزخارف نباتية مورقة تتخللها عناقيد العنب، ويجاور المحراب منبر من الرخام له باب من النحاس المفرغ، ويكتنف المحراب بابان يوصلان إلى القبة خلف المحراب أحدهما قبلي مغشى بالنحاس المكفت بالذهب وعليه اسم السلطان حسن، والآخر فقدت كسوته، وعلى جانبي المحراب لوحتان مكتوب عليهما «جدد هذا المكان المبارك حسن أغا خزيندار الوزير إبراهيم باشا الفقير محمد سنة ١٠٢٨هـ.

قبة المسجد

والقبة مربعة طول كل ضلع من أضلاعها ٢١م وارتفاعها إلى ذروتها ٤٨م، وبها محراب من الرخام محلى بزخارف دقيقة ووزرة مرتفعة نحو ثمانية أمتار، يعلوها أفريز خشبي به كتابة بارزة نصها: «بسم الله

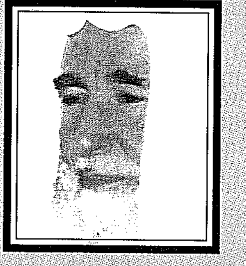


الرحمن الرحيم. الله لا اله إلا هو الحي القيوم» الآية، وكان الفراغ من هذه القبة المباركة في شهور سنة أربع وستين وسبعمائة وصلى الله على محمد صلى الله عليه وسلم، يعلو ذلك شبابيك ودوائر جصية ومقرنصات خشبية محلاة بزخارف ملونة ومذهبة، وغطاء القبة الحالي ليس الغطاء القديم، فقد كانت القبة خشبية مكسوة بالرصاص، ووضع القبة خارجاً عن سمت جدار المحراب وخارجاً عن المسجد. ويعتبر وصفاً شاذاً سبقه فيه المشهد الحسيني، ويتدلى من عقود الإيوانات مجموعة من السلاسل النحاسية كانت معدة لحمل مشكاوات زجاجية مشغولة بالمينا وعليها اسم السلطان حسن، وقد حفظ ما تبقى منها وعددها ٤٣ مصباحاً مع ثريتين من النحاس بدار الآثار العربية.

ويحيط بالصحن أربع مدارس للمذاهب الأربعة تعتبر من تصميمها مساجد صغيرة محدقة بالجامع الكبير أكبرها المدرسة الحنفية إذ تبلغ مساحتها ٨٩٨م٢ ويتكون كل منها من إيوان وصحن تتوسطه فسقية، ثم طبقات بعضها فوق بعض تشرف على صحن المدرسة وعلى الواجهات.

وقد ظل جامع السلطان حسن قرابة واحد وخمسين عاماً مغلقاً في العصر العثماني حتى سنة ١٢٠٠هـ، حيث أصلحه سليم أغا وفتح بابه، وقد بذلت لجنة حفظ الآثار العربية مجهوداً كبيراً في العصر الحديث، فأكملت بناء مناراته وأصلحت جدرانه ورخامه وأرضية صحنه الرخامية وانتهت مؤخراً هيئة الآثار المصرية من ترميم بعض جدران الجامع ومحرابه ليعود له رونقه وروعته بصفته مفخرة للعمارة الإسلامية.

في ذمة الله
العلامة المحدث الشيخ عبدالفتاح أبو غدة



فقدت الأمة الإسلامية في يوم ٩ شوال ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٧/٢/١٦م عالماً بارزاً من علمائها الأفاضل ممن تركوا بصمات واضحة في سيرة الفكر والدعوة إلى الله على هدى وبصيرة، إنه فضيلة الشيخ العلامة المحدث عبدالفتاح أبو غدة ـ رحمه الله.

ولد الشيخ أبو غدة في مدينة حلب ـ شمال سوريا ـ سنة ١٩١٧م في أسرة متدينة محافظة، ونهل منذ طفولته من مبادىء علوم الشريعة الغراء وتربى عليها وأمضى حياته في طلب العلم الشرعي حتى نبغ فيه واجتهد وغزر إنتاجه، جمع الشيخ أبو غدة بين سعة الاطلاع ودقة الفهم ورصانة الأسلوب وكان يتمتع بجلد وصبر منقطع النظير، أخذ الاجازة في الحديث عن أكثر من مئة عالم من أعلام الحديث في الشام ومصر وتركيا والهند وباكستان. وخلف لنا ثروة فكرية قيمة فاقت الخمسين كتاباً ما بين تحقيق وتعليق وتأليف وفهرسة من أهمها:

الرفع والتجميل في الجرح والتعديل ـ الأجوبة الكاملة ـ شرح مختصر الجرجاني ـ قواعد في علوم الحديث ـ التصريح بما تواتر في نزول الحديث ـ الأحكام في تمييز الفتاوى ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف ـ فتح باب العناية ـ الموقظة ـ قاعدة في الجرح والتعديل ـ الرسول المعلم.

وقد قام مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية في لندن بتكريم الشيخ، فاختاره لجائزة العلم التي قدمها له سلطان بروناي عام ١٩٩٦م تقديراً لجهوده في التعريف بالإسلام ومساهمته القيمة في الحديث النبوي الشريف.

وبعد حياة حافلة بالعلم والعطاء انتقل إلى جوار ربه ودفن في المدينة المنورة مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لينضم إلى قافلة الصحابة والتابعين والعلماء والصالحين الذين دفنوا في ثراها الطيب طيبها الله.

رحم الله الفقيد وأدخله فسيح جناته وحشره في زمرة العلماء العاملين ورثة الأنبياء الذين لم يخلفوا درهماً ولا ديناراً وإنما خلفوا العلم الشرعي لتستضيء به الأجيال المقبلة.

إنا لله وإنا إليه راجعون

الوعي الإسلامي

المفكر التتري د.آرثور سعدييف:

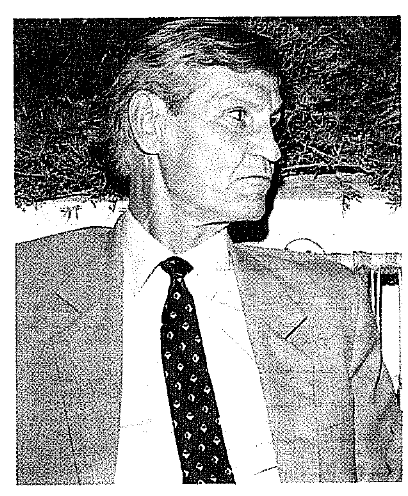
التتار تعرضوا لأكبر غارة شيوعية معاصرة

حوار

حاوره:
محمود بيومي

أكد المفكر الاسلامي التتري الدكتورآرثور سعدييف ان شعب التتار المسلم قد تعرض للتشريد والضياع بسبب ايديولوجية الروس الشيوعية.. التي استهدفت تفريغ شبه جزيرة القرم من الوجود الاسلامي.. والقضاء على معالم الحضارة والثقافة الاسلامية في هذا الجزء من العالم وان الروس السوفيت تعمدوا تجويع الشعب التتري وإبادته.. في حملات التهجير الجبري الى سيبريا التي راح ضحيتها أكثر من ١٢٠ الف نسمة من مسلمي هذا الشعب خلال الاسبوع الأول من تنفيذ هذه المؤامرة.

وأوضح في حواره لـ« الوعي الاسلامي» ان المؤامرات الشيوعية لم تستطع القضاء على هوية المسلمين التتار.. وذلك بسبب تمسكهم بأهداب دينهم الحنيف.. حيث تغلب التتار على القهر الشيوعي بأن صاغوا تعاليم دينهم في قالب شعري رددته الاجيال المسلمة فصانت مبادىء الدين الحنيف.. وقد اندثرت الشيوعية في عقر دارها وتحطمت جميع الدسائس والمؤامرات التي استهدفت تشويه العقيدة الاسلامية.



● آرثور سعدييف

واشار الدكتورآرثور سعدييف الى ان تتار القرم قد عاشوا مأساة كاملة.. وبالرغم من شراسة المأساة فانهم مصممون على العودة الى وطنهم الذي ضمه الروس عنوة الى أوكرانيا.. كما تناول الحوار العديد من القضايا التي تهم الأمة الاسلامية.

المأساة التاريخية

في بداية الحوار.. أسأل الدكتورآرثور سعدييف عن ابعاد المأساة التي تعرض لها التتار على أيدي الروس فيقول:

لقد كانت لنا دولة اسلامية اقمناها في شبه جزيرة القرم منذ العام ١٤٢٧م.. وكانت دولتنا مثالا طيبا في تطبيق الشريعة الاسلامية والالتزام بكل تعاليم الدين الاسلامي الحنيف.. وقد انتعشت في بلادنا جميع مؤسسات الدعوة والتعليم.. وشهدت جمهورية تتار القرم حضارة اسلامية غامرة في جميع المجالات.. فانتشرت المدارس الاسلامية والمكتبات التي تضم ابداعات المفكرين المسلمين في مختلف نواحي المعرفة.. وتميزت دولتنا بالعمران البشري في قطاعات متعددة.. ولأن التتار من الشعوب المسلمة التي اعتنقت الاسلام في وقت مبكر.. وآمنوا بالرسالة الاسلامية الصحيحة لذا عملوا على نشره وتوسيع نطاقه.. فنشروا الاسلام في شرق أوروبا وشمالها.. لأننا شعب من الدعاة.. ولم تقف اكثر مناطق العالم برودة حجر عثرة في سبيل نشر رايات الاسلام.. فانطلق الدعاة الى سيبريا واسسوا هناك مجتمعات اسلامية صحيحة التزمت بأحكام الدين الحنيف.

واضاف الدكتورآرثور سعدييف: كما اتسع نطاق المد الاسلامي التتري.. فأخضع التتار ولاية« موسكو» للحكم الاسلامي لاكثر من قرنين من الزمان.. وذلك في الفترة من ١٥٥٧ الى ١٧٨٣ميلادية.. وكانت ادارة موسكو تقدم الجزية للتتار المسلمين.. وبعد هذا التاريخ تعرضت جمهورية تتار القرم للغزو الروسي لتبدأ مأساة المسلمين على أيدي الروس.

تجويع واعتقال التتار

ويواصل المفكر التتري حديثه عن المأساة فيقول: لقد مارس الروس ضد التتار اكبر حملة شرسة من العداء.. فتم اعتقال قادة العمل الاسلامي وهدموا وأغلقوا مئات المساجد والمدارس.. وفرضوا« النصرانية»

الاسلام لايعرف الصراعات العقائدية والعرقية

بالاكراه على الشعب التتري المسلم.. وبدأوا في حملة امتصاص خيرات الوطن لصالحهم وذلك في نطاق حملة لتجويع المسلمين وحرمانهم من خيرات بلادهم.. ومع استمرار حملة الاستنزاف الروسي لجميع طاقاتنا.. دعا قادة العمل الاسلامي والسياسي في البلاد لعقد مؤتمر شعبي لمناقشة الاوضاع المتدهورة في بلادنا في ظل الحكم الروسي.. وكانت النتيجة زيادة جرعات التجويع والاعتقال.. حتى ان الروس اعدموا رئيس جمهورية تتار القرم وقادة العمل الاسلامي.. وقاموا بنفي اكثر من ٥٠ الف مسلم الى مناطق متفرقة في روسيا.. حتى ان افراد الاسرة الواحدة تم تشتيتهم الى مناطق جغرافية متباعدة.. ومارسوا كل صنوف القهر ضد الانسان المسلم.



التهمة الجاهزة

واستوقفه قائلا: الشائع تاريخيا ان الروس ألغو جمهورية تتار القرم بسبب تعاونهم مع المانيا في الحرب العالمية الثانية ضد الاتحاد السوفيتي فماردكم على هذا القول؟

ويصمت الدكتور آرثور سعدييف لحظة ليقول وقد ارتفعت نبرات صوته: هذه تهمة جاهزة ألصقها الاتحاد السوفيتي السابق بشعب التتار المسلم.. لتبرير ممارساته العدائية ضد هذا الشعب.. والدليل على ذلك ان السوفيت وجهوا هذه التهمة الى غالبية القوميات الاسلامية.. ثم عادوا وأعلنوا براءة الشعوب المسلمة.. اما التتار فقد عوقبوا بالغاء جمهوريتهم في اواخر العام ١٩٣٤ م.. وقد تضمن العقاب تشتيت الشعب المسلم الى اكثر مناطق العالم وعورة وهي سيبريا وبعض المناطق الجبلية الجليدية فيآسيا الوسطى واوروبا الشرقية.. كما ان السوفيت لم يعلنوا على العالم قرارهم بالغاء جمهوريتنا الا بعد ثلاثة اعوام تقريبا.. نال خلالها التتار اكبر قسط من الجرائم السوفيتية.

واضاف: اننا نذكر يوما واحدا من ايام العام.. ونعتبره يوم الحزن التتري.. ذلك اليوم الذي يحمل تاريخ ١٨ مايو ١٩٤٤م.. حيث داهمت القوات السوفيتية جميع منازل المسلمين في وقت متأخر جداً من الليل.. وانتزعت هذه القوات الاطفال من احضان امهاتهم ورمتهم في العراء.. كما اصدرت اوامرها لجميع المسلمين ان يخرجوا من منازلهم.. ثم قاموا بتفجيرها امام اصحابها، كما هدموا حوالي ١٥٠٠ مسجد وعدد كبيرمن المدارس الاسلامية.. وشحنوا ابناء الشعب التتري في شاحنات حملتهم الى القطارات المخصصة لنقل الحيوانات.. وسارت هذه القطارات لمدة اسابيع.. دون تزويد المسلمين بالطعام او الماء وقد استشهد في هذه الحملة الشرشة غالبية الشعب التتري.. في اثناء عملية تهجيرهم.. ومن بقى منهم مات في ارض المهجر او المنفى بسبب العلل والامراض الكامنة.. ولم يبق على قيد الحياة الا عدد بسيط من ابناء هذا الشعب المسلم.. وقد شملت عمليات التهجير الجبري اكثر من خمسة ملايين تتري مسلم.. فقد نصفهم بسبب التهجير اللا إنساني بينما لجأ اكثر من مليون تتري الى البلدان المجاورة.

التتار خامس قومية اسلامية في آسيا الوسطى واوربا الشرقية

هوية التتار

● هل تعتبر جمهورية تتاريا الموجودة حاليا في شرق روسيا تعويضا للتار عن فقد جمهوريتهم في شبه جزيرة القرم؟

يقول الدكتور آرثور سعدييف: التتار هم خامس قومية اسلامية فيآسيا الوسطى واوروبا الشرقية. والتتار ينتشرون في مناطق متعددة من العالم خصوصاً في هذا الجزء الذي كان واقعا في نطاق الاتحاد السوفيتي المنهار.. والثابت تاريخيا ان الله تعالى قد أعز المسلمين بالتتار الذين اعتنقوا الاسلام في القرن الرابع الهجري.. واعز التتار بالاسلام لانهم اخلصوا الدعوة للدين الحنيف.. كما انهم صمدوا في مواجهة التحديات الروسية المعادية.. كما قاوموا المنهج الشيوعي واعتبروه غزوة فكرية لايستجاب لها.. وفي يقيني ان شراسة الاضطهاد السوفيتي مرجعها الاول الى صلابة وصرامة التتار في رفضهم للشيوعية.

واضاف: جمهورية «تتار ستان» وان كانت تنسب الى التتار الا انها لاتمثل الوجود

الكـامل للشعـب التتري المسلم.. ولايمكن الاستعاضـة بها عن جمهورية تتـار القرم التي كان لها وجود سياسي العام ١٩٤٣ م.. وقد بلغ عدد التتار ١٨ مليـون نسمة يوجد منهم في تتـارستان ٣ ملايين نسمـة فقط.. بينما يعـاني اكثر من ١٥ مليـون تتري من التشرد والضياع وفقدان الهوية.

مؤامرة تنصير التتار

● وسألتـه عن الجهود التي بذلت لتغيير عقيدة التتار المسلمين.. واجبارهم على اعتناق المسيحية ثم الشيوعية؟.. فأجاب الدكتور آرثور سعدييف:

لقد مارس الروس منذ احتلالهم لبلادنا في شبه جزيرة القرم في العام ١٧٨٢ م .. جميع الضغوط من اجل تنصير المسلمين.. فكانوا يجبرون المسلم على التوقيع على اقرار كتابي يقر فيه بترك الخطايا- وكان الاسلام في نظرهم من اكبر هذه الخطايا- وقد استغلت هذه الاقرارات في تسجيل اسماء المسلمين على انهم من النصارى.. وهذا تزوير عقائدي وتاريخي فيآن واحد.. وهذا ايضا من الاسباب التي اعتمدت عليها روسيا القيصرية ثم السوفيتية في تقليل اعداد المسلمين.. كما صدرت العديد من القوانين التي تحارب الدعوة للاسلام.. فكانوا يعدمون ويسجنون دعاة الاسلام بتهمة تغيير عقيدة النصارى.. ولكن شعب التتار المسلم مارس حقه في ابلاغ دعوة الاسلام سرا.. وقد تمكن التتار من نشر الاسلام بين ٥٧ الفا من النصارى.. ولما اعلن الانفراج النسبي عن الدعوة الاسلامية في العام ١٩٠٥ م.. شهرت اكثر من مائة اسرة روسية اسلامها.. وذلك نتيجة لنشاط التتار في ابلاغ مفاهيم الدين الاسلامي.

الجامعة الاسلامية التترية

●باعتباركم من كبار المفكرين التتريين وتشغلون منصب رئيس الدراسات الاسلامية في اكاديمية العلوم في تتاريا.. فما اهم الدراسات التي تناولت احوال المسلمين في تتاريا؟

يقول الدكتور آرثور سعدييف: لقد قمنا بعمل دراسات عن مدينة «قازان» عاصمة تتارستان.. وقد اكدت هذه الدراسات انها من المدن الاسلامية الخالصة ولاتقل شأنا عن المدن ذات الشهرة في التاريخ الاسلامي مثل« طشقند» و«بخاري» و«سمرقند».. فسكان هذه المدينة التي تقع على الضفة اليسرى من نهر الفولجا.. اكثر من مليون نسمة غالبيتهم من المسلمين التتار.. وكان في هذه المدينة اكبر جامعة اسلامية في هذه المنطقة من العالم.. التحق للدراسة بها اكثر من ٩آلاف طالب من ابناء الجمهوريات الاسلامية.. وهي جامعة قازان الاسلامية. كما كان في العاصمة مطبعة كبرى تخصصت في طبع ونشر الكتب الدينية باللغات العربية والتركية والفارسية اضافة الى لغات القوميات المسلمة المنتشرة فيآسيا الوسطى واوروبا الشرقية الى جانب اللغة الروسية التي فرضت على جميع شعوب هذه المنطقة.. وقد أدى الدعاة الذين تخرجوا في هذه الجامعة دورا هاماً في نشر الدعوة الاسلامية.. ولما احس الروس بالخطر وازدهار التعليم والثقافة الدينية.. اغلقوا جامعة قازان الاسلامية.. وبالتالي اغلقت المطبعة والمكتبة الاسلامية.

الوحدة الاسلامية

● نعرف ان التتار هم اصحاب اول دعوة لتوحيد جميع المسلمين فيآسيا الوسطى واوروبا الشرقية في كيان سياسي واحد.. فهل يمكن تسليط الضوء على مفهوم هذه الدولة المسلمة؟

يجيب الدكتور آرثور سعدييف قائلا: المعروف ان الروس قد استولوا على منطقة التركستان الغربية.. كما قامت الصين بالاستيلاء على تركستان الشرقية.. والمعروف ايضا ان التركستان كلها تضم مجموعة من القوميات واللغات الاسلامية.. ونظراً لأن الاسلام يعتبر المسلمين أمة واحدة فقد برزت الى الوجود فكرة توحيد المسلمين في كيان سياسي واحد يتحد مع الروس في دولة واحدة.. ولكن الروس لم يتعاملوا مع المسلمين على قدم المساواة.. لذا رفضوا مبدأ الوحدة من أساسها وحاربوا كل من دعا اليها.. حتى الذين تقربوا للروس وتعاونوا معهم ومنهم السلطان علي اوغلي.. قبضوا عليه واعدموه في العام ١٩٣٧م.. وهكذا وئدت الدعوة الى ايجاد وطن قومي للمسلمين في نطاق الاتحاد السوفيتي في المهد.. وقد قاوم الاتحاد السوفيتي كل دعوة لتوحيد المسلمين في كيان سياسي واحد.. واخمدت جميع الثورات االتي قامت من اجل هذه الغاية.. وكانت النتيجة هي المزيد من التفريق والتشتيت.. فإلغاء جمهورية تتار القرم مؤامرة روسية سوفيتية لتمزيق فكرة الوحدة الاسلامية.. ولمحاربة هذه الفكرة قامت السلطات الروسية بتهجير اعداد كبيرة من الروس الى المناطق الاسلامية.. وهجرت اعدادا كبيرة من المسلمين من اوطانهم الى مناطق اخرى.. كما حاول السوفيت ايجاد فتنة بين القوميات الاسلامية المختلفة.. ولكنها فشلت في هذا المجال لان قومية المسلمين مهما تعددت فهي قومية واحدة ترتكز على الدين الاسلامي الحنيف.

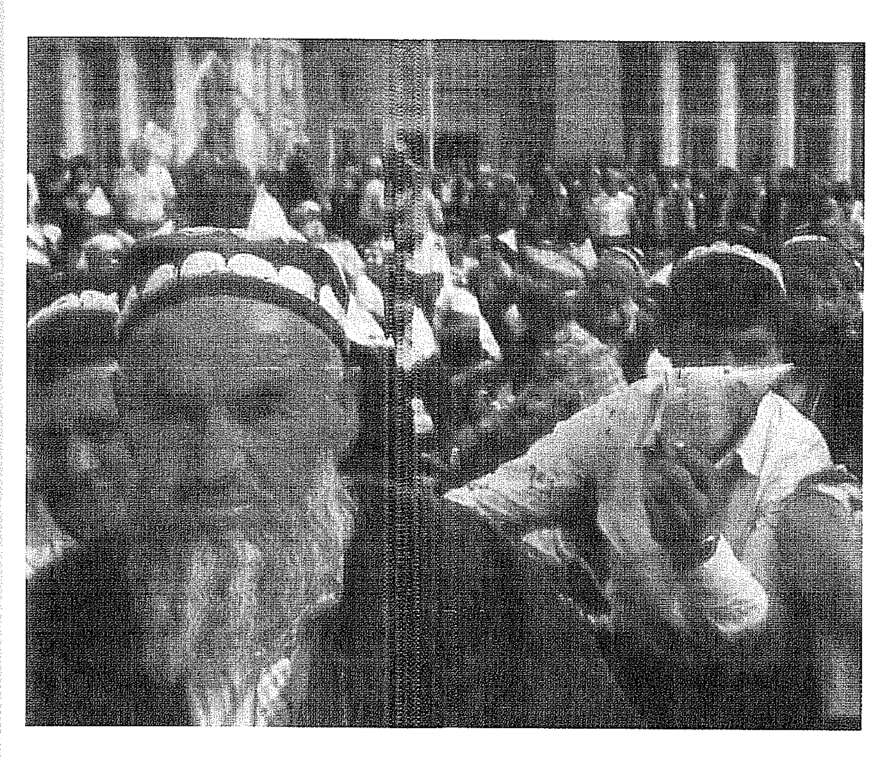
> **الاسلام هو الدين الذي لا يعرف الصراع بين معتنقيه وبينهم وبين غيرهم**

القوميات الاسلامية

● وماهم القوميات واللغات الاسلامية في منطقة التركستان؟

والموقع الذي تحتله اللغة القرآنية على خريطة العمل الاسلامي؟

يقول الدكتور آرثور سعدييف: تتعدد القوميات الاسلامية في منطقة التركستان لتبلغ ١٢٦ قومية.. كما تتعدد اللغات لتصل الى ١٢٤ لغة. وجميع هذه القوميات تنبث من ٤٣ قومية اساسية.. من اشهرها القوميات الآزيكية والتترية والآذربيجانية والقوقاز والتركمان والقرغيز والباشيكر والويغور والقريميك والبلكار والشركس والشاشان والاينجوس والكابردين والانجاز والأسيج والدرجين والنوجاي وغيرهم.. وهؤلاء لهم كيانات سياسية يعيشون في نطاقها.. كما ان اللغات الخاصة بهذه القوميات متعددة ايضا وكما سبق



القول ان تعدد القوميات لايؤثر سلبا على حرية المسلمين ووحدتهم الثقافية والعقائدية وتخلو ساحة القوميات من الصراع العرقي وذلك بفضل تمسكهم بأهداب الدين الاسلامي الحنيف.

وأضاف: ولقد جاء الروس باللغة الروسية وفرضوها على المسلمين.. وقد تعلمت جميع الشعوب المسلمة اللغة الروسية وتحدثوا بها كما احتفظوا بلغاتهم في اطار حفاظهم على قومياتهم وفي نطاق العقيدة الاسلامية الواحدة فجاءت اللغة الروسية كوسيلة اضافية انعشت حركة المد الاسلامي للتعريف بحقائق الاسلام بين المتحدثين بهذه اللغة.. واذا كان الاتحاد السوفيتي قد فرض انواعا وصنوفا من القهر ضد المسلمين في نطاقه.. فإنه لم يستطع جذب المسلمين واستيعابهم في نطاق الايديولوجية الشيوعية.. وبالرغم من الحرب التي استمرت ضد الاسلام ولغة القرآن الكريم.. الا ان المسلمين حافظوا على معرفتهم باللغة القرآنية.. بالقدر الذي يستطيعون به اقامة شعائر الدين الاسلامي.

واضاف: وقد جاء استقلال الجمهوريات الاسلامية إثر تفكك الاتحاد السوفيتي.. بداية جديدة لعودة اللغة العربية الى هذه المنطقة من العالم حيث اشتملت مناهج التعليم على الاهتمام بتدريس هذه اللغة التي كرمها الله تعالى بالقرآن الكريم.. كما بدأت الشعوب المسلمة كتابة لغاتها بالحروف العربية بعد ان تم الغاء تدوين اللغات بالابجدية العربية.. ولنأخذ من ذلك موعظة حيث تعرض الذين حاربوا دعوة الاسلام الى الزوال.. بينما بقي دين الله الخالد وبقيت اللغة القرآنية عامرة في قلوب المسلمين.. مهما تنوعت المؤامرة التي استهدفت النيل من اللغة القرآنية.

الصراع العرقي والعقائدي

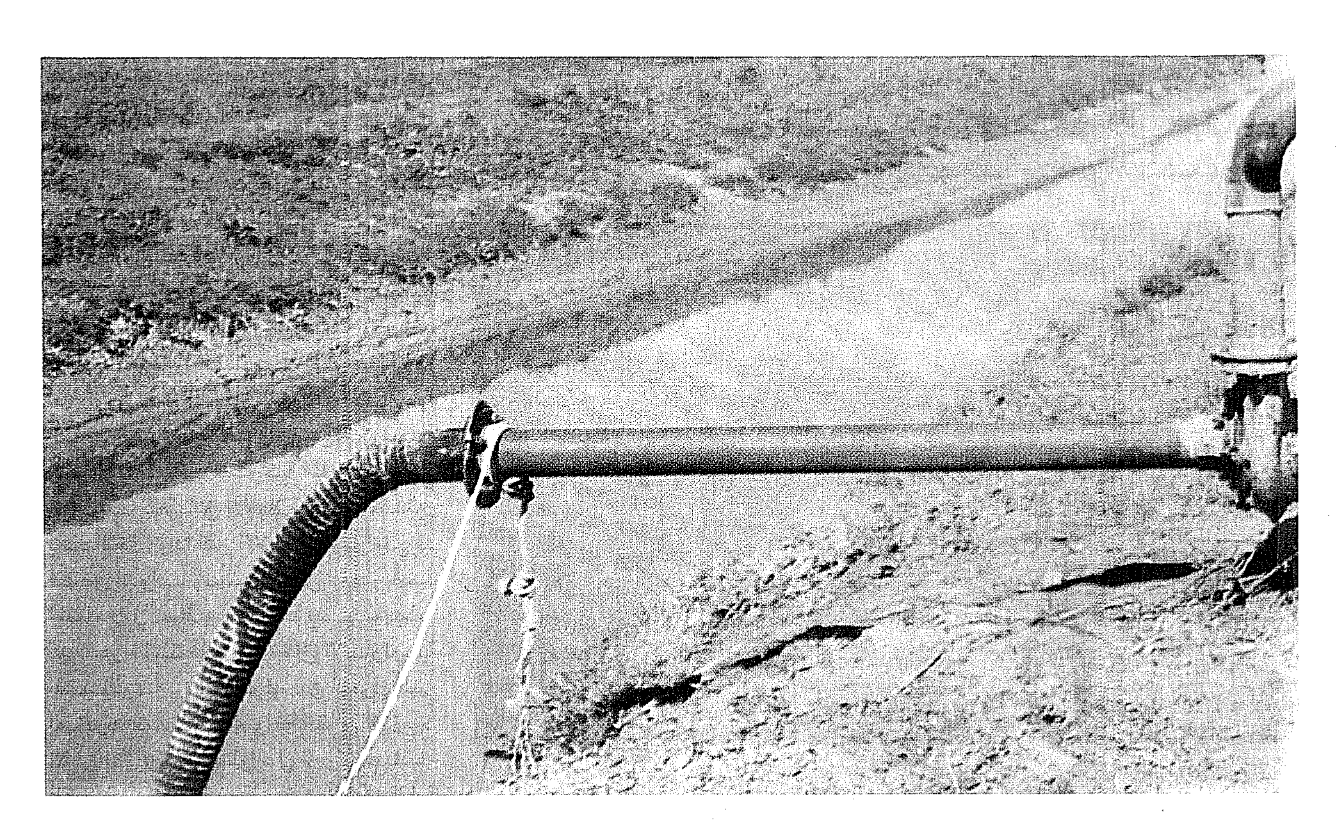
● **وأقول للدكتورآرثور سعدييف: وهل ترى ان اضطهاد الصرب لشعب البوسنة والهرسك.. واضطهاد الهندوس للمسلمين في شبه القارة الهندية.. نتيجة للصراع العرقي والعقائدي في هذه المناطق ..فيقول:**

الاسلام هو الدين الذي لايعرف الصراع بين معتنقيه وبينهم وبين غيرهم.. فلو كان الاسلام يقر منهجية الصراع العرقي او العقائدي.. لقضى الاسلام والمسلمين على الهندوس في شبه القارة الهندية..عبر القرون الطويلة التي كانت راية الاسلام والمسلمين هي المرتفعة في هذه المنطقة فيآسيا.. ولكن التسامح الاسلامي هو الذي ابقى على الوثنيات في شبه القارة الهندية.. والتاريخ أمامنا لم يسجل حالة واحدة من اعتداء المسلمين على المعابد الهندوسية والوثنية المنتشرة هناك..

ولكن عندما احس الهندوس بزوال الحكم الاسلامي وتحويل المسلمين الى اقلية.. مارسوا ضد المسلمين كافة الاضطهادات والتي تشهد عليها مجازر«آسام» و«كشمير» و«البنجاب» وغيرها.. وهدم مساجد المسلمين وفي مقدمتها مسجد «ايوديا» التاريخي.. فالصراع العرقي والعقائدي من اهم مسببات أوجاع المسلمين اليوم.

واضاف الدكتورآرثور سعدييف: أما الشعب المسلم المسالم في البوسنة والهرسك.. فقد تعرض لاكبر غارة همجية في التاريخ المعاصر.. اختلطت فيها صراعات العقائد والاعراق والاعراف.. وكانت النتيجة التي يعرفها كل انسان في هذا العالم.. المزيد من التشريد والمزيد من المذابح والعديد من الجرائم الصربية ضد المسلمين في البوسنة والهرسك.. والتي قد تمتد شرارتها وشراستها لتصيب المسلمين في مناطق اخرى في البلقان او مناطق اسلامية متعددة خارج هذا الحزام الجغرافي.. وكان من الأجدى ان يواجه المجتمع الدولي وهو يخوض تجربته الاولى في مسؤوليته عن حفظ السلام والآمن في العالم اجمع.. ان يواجه جرائم الصرب الوحشية بجدية وايجابية اكثر حسماً.. ونحن لانعفي الامة الاسلامية من تهمة التقصير في نجدة شعب مسلم واغاثته ضد البغي الصربي الشرس. ■

السوفيت حاربوا انشاء وطن قومي للمسلمين في تركستان



في تقرير مركز الدراسات الإسلامية في واشنطن:

قضايا دولية

الشرق الأوسط وحرب المياه

الماء أصل الحياة وأساس الطبيعة وهذا ما أكده المولى جل وعلا في أكثر من موضع في القرآن الكريم، كما لم يذكر لنا التاريخ أن هناك حضارات قامت من دون الموارد المائية، ومنذ القدم تمثل الأنهار «النواة» التي تتكون حولها المدن وتزدهر الزراعات والصناعات وبالتالي تزدهر الحضارات.

إعداد: رضا محمد شعبان

الآن يمثل الماء ضرورة حياتية بالنسبة للعالم أجمع على وجه العموم وللعالم العربي على وجه الخصوص ولا سيما أن معظم الأراضي العربية والإسلامية تقع في المناطق الجافة وشبه الجافة، بالإضافة إلى تأثر غالبيتها بمجموعة من عوامل التصحر

أزمة المياه قد تصل إلى نزاع مسلح لأنها قنبلة موقوتة في طريقها إلى الانفجار

وتدهور الغطاء النباتي وانجراف التربة السطحية، وفي الآونة الأخيرة شهدت المنطقة العربية ومنطقة «الشرق الأوسط» تدهوراً خطيراً في الموارد المائية مما جعل المنافسة عليها تأخذ بعداً أخطر أشبه بالصراع، مما قد يؤدي في «الوقت القريب» إلى حدوث نزاعات وتوترات سياسية وصراعات عسكرية بين أطراف المنطقة — حسب توقعات وتقديرات المراقبين — فالمطامع كثيرة «ظاهرة ومقنّعة» من اتجاه «تل أبيب» وذلك مما يشكل خطراً جاثماً على صدر الأمة العربية والإسلامية لا ينجو منه قطر عربي «قريب أو بعيد»، لذا يجب استنهاض الهمم العربية والإسلامية لوضع حلول سريعة وخطط استراتيجية قصيرة وبعيدة المدى لتجنب هذه الكارثة التي تهدد الأمن القومي العربي وذلك لن يتم إلا بالعمل المشترك،

وأيضاً بإجراء الدراسات المتعمقة في كيفية إيجاد وسائل تحقق التوازن المائي بين المطلوب والمتاح حالياً.. وهو ما بدأت تنبه إليه «بعض الدوائر المهتمة بهذه الأزمة».



تقرير الدراسات الاستراتيجية

ففي أحدث تقرير أعده مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في واشنطن والذي شاركت فيه أيضاً دوائر حكومية أمريكية وأخرى من المنطقة، وقد صدر أخيراً عن مؤسسة الدراسات والبحوث الإنمائية، وهو يرصد الصورة العامة للمنطقة في احتياجاتها المائية مع حلول العام ٢٠٠٠م، كما يؤكد على أن حرب المياه ودول الجوار لإسرائيل وتركيا وأثيوبيا قادمة لا محالة في غضون سنوات قليلة!!

ويصف التقرير الظروف القاسية التي ستعانيها المنطقة من احتياج شديد للمياه ويقول إن حاجة إسرائيل من المياه المتاحة لديها سوف تتجاوز ٣٠٪ ــ بينما سيعاني الأردن من عجز في المياه يصل إلى ٢٠٪ ويتوقع أن الأردن وإسرائيل سيصلان إلى نقطة حرجة في استغلالهما للمياه بعد الوصول إلى أقصى حد في تطوير كل مصادر المياه القابلة للتجديد.

ويؤكد التقرير أن حدة الصراع سوف تكون أكثر لهيباً مع استمرار سورية في تنفيذ برامج تطوير أعالي اليرموك، حيث يؤدي تنفيذها إلى زيادة مستويات الملوحة في مياه الحوض الأدنى لنهري «اليرموك» و «الأردن» وانخفاض منسوب المياه في البحر الميت ونقص مياه الري التي يحتاجها مشروع تطوير الغور الشرقي في الأردن، بالإضافة إلى الحد من الاستفادة في ري وادي الأردن، كما تؤثر هذه البرامج على كميات المياه التي تحصل عليها إسرائيل من الحوض الأدنى للنهر ــ ووفقاً لهذه الصورة، فإن تصاعد التوتر والنزاع العسكري بين أطراف دول «نهر الأردن» أمر وارد مع نهايات هذا القرن.

الإمكانات المائية في الضفة الغربية

وعن الضفة الغربية يكشف التقرير أن الإمكانات المائية فيها يتم استغلالها بأقصى حدود، ويشير إلى أن حكومة إسرائيل تخطط مع نهاية القرن الحالي إلى تخصيص ١٣٧ مليون متر مكعب سنوياً للسكان العرب في الضفة، والمتوقع أن يصل عددهم إلى مليون نسمة، وذلك في مقابل ١٠٠ مليون متر مكعب من المياه لليهود الذين يصل عددهم إلى «١٠٠ ألف نسمة فقط»!!!

الوضع في غزة

أما الوضع في غزة فيوصف بأنه قنبلة موقوتة في طريقها إلى الانفجار!؟ والسبب هو: الإفراط في ضخ مياه الخزان الجوفي الكبير الذي يوفر كل الاحتياجات المائية للمنطقة والذي أدى إلى تلوث جزئي نتيجة تسرب مياه البحر إليه.

وعلى صعيد آخر يكشف التقرير عن المشاريع الإنمائية التركية الطموح، خصوصاً مشروع جنوب شرق الأناضول الذي يشمل ١٣ مشروعاً للري والكهرباء وسوف تؤدي إلى نقص وتقليص إيرادات سورية والعراق من مياه الفرات، وهذا المشروع «عند اكتماله» من المتوقع نقص إيراد العراق السنوي من ٣٠ مليار متر مكعب إلى ١١ مليار متر مكعب، هذا في الوقت الذي يبلغ فيه الحد الأدنى من الاحتياجات العراقية من مياه الفرات ١٣ مليار متر مكعب من المياه، مما قد يؤدي أيضاً إلى زيادة حدة الصراع والتوتر السياسي بين دول المنطقة.

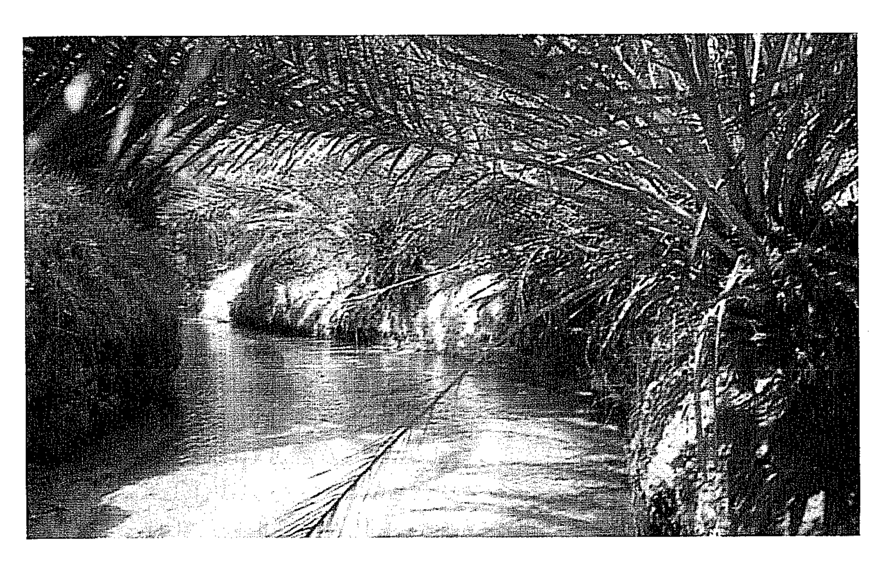
الحرب مقبلة في الشرق الأوسط قبل نهاية القرن لا محالة وأثيوبيا المجهول الأكيد لدول حوض النيل

ويكمل التقرير جوانب الصورة بالتأكيد على الدور الأثيوبي في منطقة حوض النيل، وذكر أن أثيوبيا ستظل المجهول الأكيد بين دول حوض النيل ويتوقع أنها ستقوم بدور أكثر هيمنة في المستقبل نظراً لأنها المنبع الذي يتحكم في ٨٢٪ من مياه النيل، كما أن مركزها المتميز ومشروعات التطوير التي تنوي تنفيذها مثل برامج الري في حوض «النيل الأزرق» وحوض نهر «البارو» التي سوف تؤدي إلى عواقب وخيمة بالنسبة لمصر والسودان، ويشير التقرير إلى أن أي اقتطاع من المياه في أعالي النيل سيؤدي بالتأكيد إلى تقليص المتاح من المياه لمواجهة الطلب الداخلي المتزايد في مصر، بالإضافة إلى الإضرار بعملية توليد الكهرباء من السد العالي، كما يرصد أن مصر أدركت منذ فترة طويلة أهمية متابعة برامج التطوير في دول أعالي النيل، لكنها لم تمارس أي تأثير تقريباً على التخطيط الفعلي لهذه البرامج وتنفيذها، ولكن هناك جهود كثيرة ومتعددة من قبل الحكومة لعمل دراسات شاملة حول الموارد المائية في مصر والتدفقات الموسمية للنيل بدعم من البنك الدولي.

أزمة المياه على مائدة منظمة التضامن الأفروآسيوية

وفي الاجتماع الثالث عشر لمنظمة التضامن الأفروآسيوية الذي عقد في العاصمة اللبنانية بيروت قبل شهرين، طرحت القضية نفسها، وكانت أهم محاوره حيث دارت مناقشات عديدة ودراسات شاملة حول «أزمة المياه في الشرق الأوسط من منظور الأمن القومي»، حيث تحدث الأستاذ الدكتور «عبدالوهاب عامر» رئيس قسم الري والهيدروليكا في هندسة القاهرة، وأكد أن التدهور الملحوظ في الموارد المائية يرجع إلى العديد من العوامل المتداخلة «اجتماعية واقتصادية وبيئية وطبيعية»، لذلك فالمنطقة مقبلة على أزمة مائية كبيرة مما ينبىء بحدوث صراعات بالغة التعقيد، إلا إذا تحركت الدول المعنية بصورة جماعية لمواجهتها قبل انفجارها... وأضاف أنه قد ظهرت بوادر في السنوات الأخيرة وأحداث تشير إلى أن المياه العذبة ستصبح مع بداية القرن الحادي والعشرين سلعة استراتيجية تتجاوز في أهميتها «النفط»... ومن بين هذه الأحداث قيام تركيا بحجز مياه الفرات في بحيرة سد أتاتورك، ووقف سريان مياه النهر نحو سورية لمدة شهر كامل خلال يناير ١٩٩٠.

ويضيف الدكتور عامر أن هناك أيضاً دلائل تشير إلى أن بعض الخبراء الإسرائيليين يقومون بإجراء دراسات في أثيوبيا للبحث عن إمكانية إقامة مشروعات على روافد النيل الأزرق، بالإضافة إلى اقتراح «حاييم بن شاهار» رئيس جامعة تل أبيب الأسبق: «بأن تقوم مصر بتقديم حصة من مياه النيل لإسرائيل!.. ووصف الدكتور عامر هذه الأحداث الثلاثة بأنها مرتبطة ببعضها فيما يمكن تسميته «بصراع المياه في الشرق الأوسط» وهو ليس بجديد على المنطقة، حيث بدأ ذلك خلال السنوات الثلاثين الماضية للحصول على «مياه الليطاني» و «مشروع تحويل نهر الأردن» وبعدها السيطرة على المياه العربية السورية في الجولان المحتلة وعلى جزء من مياه «اليرموك» بالإضافة إلى قيام إسرائيل بفتح آبار كثيرة في الجولان للمستوطنات واستخدام مياه نهر اللدان الغربي لإرواء شمال غور الحولة.. والعديد من الأمثلة الأخرى التي توضح اتجاه إسرائيل للسطو على المياه العربية وتحويل المنطقة إلى بؤرة للصراع المسلّح.



كلمة الوفد السوري

كما ضم الاجتماع كلمة للوفد السوري حول قضية المياه، حيث تحدث رفيق درويش رئيس لجنة التضامن السورية الذي أكد أن عملية إيجاد حل لمشكلة المياه في الوطن العربي والإسلامي تبرز أهميتها القصوى إذا اطلعنا على الإحصائية الأخيرة التي تضمنها تقرير منظمة الأغذية والزراعة بالأمم المتحدة التي تعلن أن نصيب الفرد في الوطن العربي من المياه في العام ٢٠٠٠م سيقل عن نصيب الفرد في شتى مناطق العالم!! ويزداد الأمر تعقيداً عندما نعلم أن ١٦١ مليار متر مكعب من المياه العذبة التي يعتمد عليها الوطن العربي تأتيه من أنهار دولية تقع منابعها خارجه، الأمر الذي يمكن أن يهدد هذه المصادر المائية بالخطر في حالات التوتر السياسي مع الدول المجاورة.. وإضافة إلى تلك المخاطر، فإن هناك توقعات تشير إلى احتمال أن يواجه معظم العرب والمسلمين انخفاضاً في حصة الفرد من المياه إلى أقل من ٦٠٠ متر مكعب سنوياً العام ٢٠٢٥م وهو ما يعد مؤشراً خطيراً للغاية.

المياه العذبة ستصبح في بداية القرن الجديد سلعة ذات أهمية استراتيجية تتجاوز في أهميتها النفط

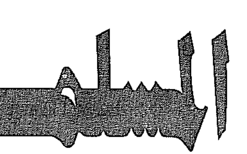
خلاصة التقارير

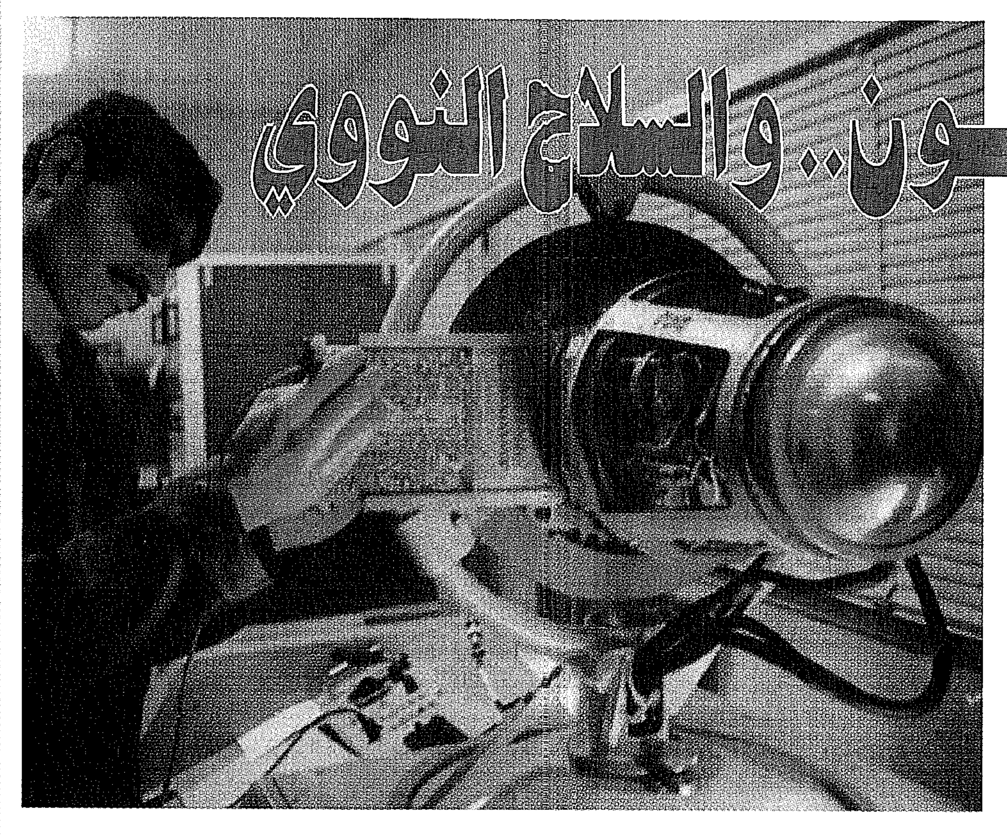
وبعد هذه الجولة القصيرة بين الدراسات والتقارير وآراء المهتمين وبالربط بينها واجترار الماضي القريب والبعيد لمحاولات الحصول على المياه العربية والإسلامية من جانب الكيان الغريب «إسرائيل» الذي قال ممثله «السابق» «شيمون بيريز» حينما كان وزيراً للخارجية وبالنص:

«إذا اتفقنا مع العرب على الأرض ولم نتفق على المياه فسنجد أنفسنا في النهاية لم نصل إلى أي اتفاق معهم»!!؟

وهو ما يمثل حجم الأطماع الإسرائيلية في المياه العربية، إلى جانب قيام تركيا بحجز المياه لمدة طويلة عن دولتين عربيتين هما «سورية والعراق» إلى جانب مشروعاتها الضخمة في جنوب شرق الأناضول والتي ستتسبب في تقليص حجم المياه الواردة للدول التي تليها.

وبالإضافة إلى قيام أثيوبيا بنقض العديد من الاتفاقات الدولية الخاصة بمياه النيل مع دول الحوض، وبالربط بين هذه الاتجاهات كلها نجد أن المنطقة قد دخلت بالفعل في مرحلة الصراع المصيري والاستراتيجي على المياه، مما يهدد الأمن القومي العربي ومنطقة الشرق الأوسط بعدم الاستقرار والعودة إلى شفا جرف هار. ■





المسلمون.. والسلاح النووي

بقلم:
معالي عبد الحميد حمودة

لا يختلف إثنان على ان السلاح النووي رغم انتهاء الحرب الباردة مصدر إزعاج البشرية بصفة عامة والعرب بصفة خاصة. ذلك انه اذا كانت الحرب الباردة قد طويت صفحاتها فالصراع العربي الاسرائيلي لايزال قائما رغم مساعي السلام والمباحثات العربية الاسرائيلية في هذا الاطار، إلا ان المناورات الاسرائيلية ليست بخافية على أحد، بل تجعل الشكوك والمخاوف من الهيمنة على المنطقة العربية تحت وطأة التهديد بهذا السلاح النووي.

ولايختلف اثنان، منصفان، على أن الغرب يقف ضد العالم العربي والاسلامي موقفا عدائيا في جميع المجالات، ويبتعد عن العدل والمنطقية تجاه أية محاولة جادة لتحقيق التقدم والرفاه في العالم الإسلامي، والغرب يقاوم كل المحاولات التي تسعى الى تحقيق قدر من الكفاية في المجال النووي لدى الدول العربية والاسلامية، ويقاوم الغرب – أيضا – أية محاولة في هذا الاتجاه من خلال الإدّعاء انها محاولة للتسلح النووي؟؟ في حين ان الغرب كله سمح لإسرائيل وساعدها وعاونها علمياً ومادياً من أجل الحصول على السلاح النووي، وجاءت إسرائيل اليوم تضع تحت إبطيها كماً كبيراً من القنابل النووية بالطبع دون أي اعتراض أو حتى استنكار من جانب الغرب.

وبعيدا عن سياسة «الغموض النووي» التي تلجأ لها إسرائيل بمقولات عديدة مثل ان إسرائيل لن تكون البادئة بإدخال السلاح النووي الى المنطقة وما شابه ذلك، إلا ان التقارير العسكرية الغربية نفسها أكدت تماما أن إسرائيل تمتلك أكثر من مائتي قنبلة نووية، ونظاما كاملا للتخزين تحت الارض، وقواعد صاروخية، ومعامل أبحاث نووية تخضع لنظام أمني معقد، ووجود المركز النووي في ديمونة في صحراء النقب والمخصص لإعداد البلوتونيوم، ومركز (السوربك) المخصص للأبحاث النووية، ومركزا (بوديغات) و(البابونا) وهما مخصصان للأسلحة النووية التكتيكية، كما ان بعض الأقمار الصناعية الروسية والفرنسية المخصصة لأعمال التجسس كشفت عن وجود خمسين مخزنا تحت الأرض تحتوي على قواعد لإطلاق الصواريخ (جريكو-٢) وهي صواريخ طويلة المدى قادرة على حمل رؤوس نووية، هذا كله وغيره كشفت عنه في أواسط العام ١٩٩٥ مجلة (جينز انتلجنس ريفيو) البريطانية المتخصصة في الأمور العسكرية.

كما أنه معروف ان إسرائيل امتنعت عن التوقيع على معاهدة حظر الانتشارالنووي خلال المؤتمر الذي انعقد في جنيف في أبريل العام ١٩٩٥، والولايات المتحدة الامريكية التي تعلن أنها ترفض انتشار الأسلحة النووية بين الدول لم تمارس أي ضغط على إسرائيل لكي توقع على معاهدة حظر الإنتشار النووي، في حين أنها مارست ضغوطا عنيفة على بعض الدول العربية التي أعلنت أنها لن توقع على معاهدة حظر الإنتشار النووي.

وبمناسبة تلك المعاهدة علينا ألا نعلّق الآمال عليها، فإسرائيل لم ولن توقّع على هذه المعاهدة، ولم يحدث ان دولة نووية نزعت سلاحها، بل ان الاتفاقيات الدولية أدت في التطبيق الى تكاثر الحائزين على السلاح النووي، إذ سيصل أعضاء (النادي الذري) مع مطلع العام ٢٠٠٠م الى ٣٥ دولة.

ولقد تأكد امتلاك الكيان الصهيوني لترسانة نووية كبيرة، وعلينا ان نقلع عن الاستغراق في تحليل حالة (الغموض النووي الاسرائيلي) وما اذا كانت إسرائيل لديها سلاح نووي من عدمه، ولقد تأكد تماما امتلاك إسرائيل لترسانة نووية كبيرة، وايضا تمتلك صواريخ مضادة للصواريخ من طراز (أرو) ومشاركتها في برامج خطيرة أخرى تستهدف الحد من تأثير الصواريخ البالستية العربية، مثل أسلحة الطاقة الحركية التي تعمل بالطاقة الكهرومغناطيسية، وأسلحة الطاقة الاشعاعية التي تعمل بأشعة إكس وغيرها.

الخطر النووي الإسلامي؟

بعد حرب تحرير الكويت وسقوط الاتحاد السوفيتي كثر الحديث عن السلاح النووي وخطر المسلمين في حالة امتلاكهم وحصولهم على سلاح نووي، كما أعيد طرح امتلاك باكستان للسلاح النووي، ووصف ذلك كله بـ (الخطر النووي الإسلامي) ومن ثم ازدادت

الحملة الاعلامية ضد الأمة الاسلامية، بعد ان تم اكتشاف ان العراق كان قد وصل الى (العتبة النووية) وهناك ايضا حملة منظمة ضد ايران تحت ادعاء ان ايران على وشك ان تمتلك السلاح النووي.
ومن ناحية اخرى يغض الغرب الطرف تماما عن ان الهند - عدوة الباكستان- تمتلك السلاح النووي، والهدف غير المعلن من ذلك، انه من الافضل ان تظل الهند مسلحة ذريا لمواجهة خطر الاسلام في الباكستان

وقبل ان نتحدث عن (المسلمين والسلاح النووي) يهمنا ان نقول: صحيح ان الاسلام دين رحمة وهداية، وصحيح ان الاسلام ينهى عن الدمار، وصحيح أننا أمة لا تسعى برغبتها الى الحصول على السلاح النووي وغيره من اسلحة الدمار الشامل، الا اننا أمة اسلامية مستهدفة ومهددة. كما لم يحدث من قبل من عدو حاقد يحتكر السلاح النووي وحده في المنطقة، ويصمم على أن يجعل الأمة الاسلامية واقعة تحت رحمته وتحت رحمة السلاح النووي الصهيوني.

واذا أردنا اليوم أن نتحدث عن التسلح النووي والتقنية المتطورة والسلاح النووي في اطار الاسلام، فسوف نتعرض بالطبع لاسئلة لا حصر لها واستفسارات واعتراضات تتجمع كلها في النهاية تحت مقولة: كيف ان الاسلام وهو دين رحمة يدعو الى التسلح بأسلحة الدمار؟ وكيف ان دعوتنا للتسلح بالسلاح النووي سوف تزيد من الصخب الاعلامي — الصهيوني - الغربي الذي يثير مخاوف العالم من (الخطر النووي الاسلامي)؟؟

والحقيقة الواضحة ان حديثنا عن الاسلام والسلاح النووي ليس مجرد سفسطة، كما انه ليس حديثا يتفق مع وجهة نظر الغرب، ذلك ان الغرب عندما صنع السلاح النووي وتسلح به لتحقيق المنفعة، وهدفه تركيز السياسة الاستعمارية التي هي نتيجة حتمية للنظام الرأسمالي القائم على الجشع والطمع والسلب والنهب والهيمنة.

والمتتبع لتاريخ السلاح النووي في العالم يجد ان الولايات المتحدة الامريكية عندما صنعت قنبلتها النووية لم يكن هناك خطر مباشر عليها خصوصاً وان القوة النازية الالمانية تحطمت بالسلاح التقليدي، واليابان كانت قاب قوسين أو أدنى من السقوط النهائي، ولم يكن الاتحاد السوفيتي - وقتها- يمثل ذلك الخطر العسكري على امريكا. ومع ذلك قامت الولايات المتحدة الامريكية بضرب اليابان - مرتين - في اغسطس ١٩٤٥ بالسلاح النووي.

كانت امريكا تريد ان تخرج من عزلتها وان تسيطر على العالم واستغلال خيراته دون مشاركة من أحد.

وبريطانيا وفرنسا وتصنيعهما للسلاح النووي كان لمنافسة امريكا والدول الاخرى في ابتزاز ثروات العالم وخيراته، ولم يكن هناك أي خطر مباشر- أو غيرمباشر- يتهدد بريطانيا وفرنسا.

وروسيا(الاتحاد السوفيتي السابق) والصين اليوم اعتنقتا المبدأ الرأسمالي بعد سقوط الشيوعية، فصارت المنفعة والمصلحة اساسا لأعمالهما، واسرائيل التي صنفت أخيراً انها خامس قوة نووية في العالم وفقا للتقارير العسكرية الغربية عن عدد الرؤوس النووية التي تملكها اكبر ثماني دول في العالم، تعتمد على بسط نفوذها الاخطبوطي على كل البلاد الاسلامية وبخاصة البلاد العربية استنادا الى الايديولوجية العنصرية التي قام عليها الكيان الصهيوني من النزعة التوسعية باستخدام الغزو والقوة العسكرية، والسيطرة والهيمنة على الاسواق العربية والاسلامية.

المسلمون لايسعون الى تكوين قوة استعمارية خاصة بهم، ولا يطمعون في احتلال غيرهم ولا يسعون الى نهب الدول الاخرى، بل الأمة الإسلامية مهددة من قبل الكيان الصهيوني، ولذا فالمسلمون اليوم امامهم خيارات ثلاثة:

-التسلح بالاسلحة النووية وخوض السباق في هذا المضمار.
-التخلي عن الاسلحة النووية.
-التسلح النووي لردع من تسوّل له نفسه تهديد المسلمين والأمة العربية والإسلامية.

وقبل أن ننتقي الخيار المطلوب نقول: ان الاسلام يحرم بالطبع اقتناء الاسلحة النووية، لانها تهلك البشر وتدمر الكون، ولكن هذا التحريم بالطبع، يطبق اذا لم يكن هناك من يمتلك هذه الاسلحة النووية، ولديه الاستعداد والرغبة والحقد لاستخدامها ضد الاسلام والمسلمين.

والخيار الذي يناسب الأمة الاسلامية في مجال التسلح بالسلاح النووي هو الخيار الثالث (التسلح من أجل الردع) وهو ما تعبّر عنه المصطلحات العسكرية في هذا المجال بأنه (الردع النووي لتحقيق التوازن في السلاح النووي).

وإسرائيل بالمفهوم الديني المعتمد على عنصرية ديانتها وتوراتها المتداولة لجأت الى ذلك منذ سنوات بعيدة على اساس ان (احتكار إسرائيل للسلاح النووي في المنطقة سيكون من شأنه ردع الأمة العربية عن وضع استراتيجيات تهدد وجود اسرائيل)، ومع ذلك لم تخرج الصحافة الغربية لتقول - وقتئذ- الخطر النووي العبري؟

وتعيش الأمة العربية والاسلامية اليوم معادلة فريدة وخطيرة، فاسرائيل تمتلك السلاح النووي ولايوجد لديها أية موانع لاستخدامه، في حين أن الامة العربية الاسلامية لاتمتلك هذا السلاح، ومن ثم فالكيان الصهيوني يتجول اليوم في المنطقة العربية وفي وسعه أن يفعل مايشاءلأن تحت يده (سلاحاً نووياً جاهزا للاستخدام).

وليس هناك اذن مانع شرعي في ان تمتلك الأمة الاسلامية السلاح النووي، وان تستعمل هذا السلاح في حربها مع العدو، ولأن الدول كلها تستبيح استعمال الاسلحة النووية في الحرب فيجوز استعمالها طالما وجد من يبيح استعمالها، وبالتالي فإن امتلاك الاسلحة النووية فرض على المسلمين وتدخل في باب (الإعداد الواجب لردع العدو).

ومن جهة اخرى فإنه يجب على المسلمين امتلاك السلاح النووي، صحيح ان اسرائيل تمتلك السلاح النووي ولم تستخدمه بعد ضد الأمة الإسلامية، ولكن ليس هناك أي مانع يمنعها من ان تستخدمه ضد المسلمين، خصوصاً وان اسرائيل تتزعم مع الغرب حملات حاقدة تستند الى رغبة واضحة وهي محو الأمة العربية والاسلامية من خريطة العالم.

ومن المهم تأمل ما قاله أحد الخبراء الاسرائيليين ويدعى (شاي فيلدمان) حيث كتب ان اسرائيل عندما تلجأ الى استخدام السلاح النووي فإنها سوف تضرب: مصر وسوريا والعراق والأردن والمملكة العربية السعودية وليبيا وأضاف (فليدمان) بالحرف الواحد:

(ان السبب في اختيار اسرائيل لهذه الدول لأنها تمثل جميع آمال الدول العربية في مستقبل افضل).

كما ان الباحث (يائير ايفرون) يقول في كتابه (المأزق النووي الاسرائيلي): ان اسرائيل تخطط لضرب مستقبل العالم العربي والاسلامي، وانها تصر على احتكار السلاح النووي وتمنع العرب بشتى السبل والوسائل من حيازة الخيار النووي العسكري.

هل نمتلك السلاح النووي؟

لاشك ان بعض ما ذكرنا، يثور السؤال المهم :هل نستطيع امتلاك السلاح النووي وذلك لتحقيق اسلوب الردع النووي مع اسرائيل النووية؟

بداية إن السلاح النووي العربي الاسلامي أصبح ضرورة أمنية في المقام الاول، بل هو حياة أو موت فعلا بالنسبة للأمة، وامتلاك الأمة للقدرة النووية أمر بالغ الضرورة من اجل تحقيق التوازن النووي مع العدو الصيهوني.

ومنذ سنوات كان تصنيع السلاح النووي أمراً شبه مستحيل بالنسبة للدول التي يصنفها (كبار العالم) على أنها دول متخلفة، أما اليوم – ورب ضارة نافعة– فإنه بعد سقوط الاتحاد السوفيتي (السابق) فقد تحول المخزون الروسي النووي والمواد المشعة الى (سلع مطروحة في الاسواق) وكلنا قرأ انه تم ضبط اشخاص يحملون معهم مواد نووية، كما ان الشحنات التي تم ضبطها في المانيا – منذ عام ونصف– كانت من النوع الذي يستخدم في انتاج الاسلحة النووية، بل ان بعضها يحتوي على مادة (اللثيوم–٦) وهي مادة تستخدم في انتاج القنبلة الهيدروجينية.

وقد تعدت المسألة تهريب المواد النووية الى تهريب علماء (ذرة روس) أيضاً.

واليوم ليس هناك أي مانع من الحصول على السلاح النووي، بل ان الدكتور(فرانك برنابي) الخبير في الفيزياء النووية يقول:

(يحتاج الخبراء العسكريون الى ٣ كيلو غرامات بلوتونيوم لانتاج قنبلة نووية، وأي شخص مبتدىء يمكنه الوصول الى نفس النتيجة باستخدام ٣٥ كيلو غراماً من اكسيد البنتونيوم، وانه يمكن استخدام كراج أو مخزن متوسط كمعمل اذا ما تم تجهيزه بالمواد اللازمة لانتاج قنبلة في ٢٤ ساعة، وطرق انتاج القنبلة شائعة ومتوافرة في كتب الفيزياء في المدارس والجامعات).

وما يستطيعه الاشخاص تستطيعه الدول بالطبع، فالدول العربية تستطيع ان تفعل الكثير، فهناك اليورانيوم متوافر في سيناء وصحراء مصر الشرقية وبعض الدول العربية المسلمة، وهناك قواعد علمية كبيرة للغاية موجودة في مصر العربية.

والمال ليس عقبة في سبيل ذلك، فالدول العربية تمتلك إذن المواد اللازمة لتصنيع القنبلة النووية والقاعدة العلمية المكونة من العلماء والباحثين والمال اللازم، فلماذا إذن هذا التواكل والتقاعس والإهمال في انتاج السلاح النووي لنردع به هذا العدو الحاقد والواقف على حدودنا وبجوارنا؟

ويجرنا الحديث اليوم الى الطاغية الأحمق صدام حسين الذي لو كانت نيته سليمة تجاه الامة العربية والاسلامية، لما فعل ما فعله في اغسطس العام ١٩٩٠ عندما غزا دولة الكويت، واستتبع ذلك بالطبع إجباره على الانسحاب من الكويت وطرد جيشه كما هو معروف، ثم جوصرت القدرات النووية العراقية، ولو كان حاكم العراق يخلص لأمته، ويخشى التهديد النووي الاسرائيلي، لسار في الطريق المرسوم بالتنسيق مع الدول العربية، ولكان اليوم هناك قدرة نووية يمكن تطويرها الى سلاح ردع نووي عربي اسلامي.

وايران لو أخلصت توجهاتها ووضحت سياستها مع جيرانها العرب والمسلمين، لكان في وسعها ان تضع يدها في ايدي بعض الدول الاسلامية لتحقيق انتاج السلاح النووي.

ونعود لنتحدث عن(السوق السوداء النووية) الموجودة في العالم، هذه السوق زادت معروضاتها بشدة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وفي السنوات الأخيرة نشطت عمليات التهريب النووي من روسيا، وعبر المانيا وحدها تم ضبط ٤١ حالة في العام ١٩٩١ وتزايد التهريب الى ١٥٨ حالة في العام ١٩٩٢ ثم ٢٤١ حالة العام ١٩٩٣ثم ١٠٠ حالة العام ١٩٩٤.

إذن امتلاك الأمة العربية الاسلامية للسلاح النووي ليس من رابع المستحيلات، بل هو شيء يمكن تحقيقه بالتعاون بين العرب والمسلمين في العالم، وهناك تجربة باكستان التي لن تتوانى – اذا كان الهدف اسلامياً– في التعاون مع الدول العربية الاسلامية الاخرى في الحصول على السلاح النووي، كما ان قازاقستان دولة نووية.

والحل المطروح الآن في سبيل امتلاك الامة العربية الاسلامية السلاح النووي، مع الأخذ في الحسبان ان الغرب واسرائيل لن يسمحا للدول العربية الاسلامية بامتلاك السلاح النووي، الحل هو إنشاء (هيئة عربية اسلامية نووية) والهدف بالطبع ألا تعاقب دولة عربية أو إسلامية بعينها على الشروع في الانتاج النووي، ويصعب بالطبع مقاطعة الدول العربية والاسلامية مجتمعة، ومن المستحيل ان تتعرض كل الدول العربية والاسلامية للاعتداء من اسرائيل كما يتصور البعض.

وختاما...

فإن اسرائيل بين الحين والحين تستعرض عضلاتها النووية إما لإثبات أنها القوة النووية الوحيدة في المنطقة القادرة على فرض سيطرتها وهيمنتها على العرب، وإما لإجبار بعض الدول العربية على توقيع معاهدات (سلام) معها بالشروط التي تفرضها هي.

والأمة العربية الاسلامية يجب ألا تقف مكتوفة الأيدي تجاه هذه التهديدات، ولابد أن تتوافر القوة النووية العربية الاسلامية، وبأي شكل، لكبح جماح العدو الصهيوني.

ان السلام الشامل العادل لن يتحقق الا اذا اقتنع العدو الصهيوني بوجود قوة عربية اسلامية نووية تستطيع مواجهة اطماعه التوسعية.

والأمة الاسلامية مطالبة اليوم ان يتخذ أولو الأمر هذه القرارات السياسية الحازمة لامتلاك السلاح النووي وتحقيق نظرية الردع النووي بيننا وبين العدو الصهيوني.

وانه من غير المعقول أن يظل الوضع هكذا: العدو الصهيوني لديه السلاح النووي ويفرض شروطه ويحقق اهدافه، ونحن لايوجد لدينا السلاح النووي الذي نستطيع به ان نواجه هذا الكيان الغاشم ، ونرغمه على أن يوقف أهدافه ومخططاته... ألا هل بلغت ■

المراجع

● الخيار النووي الاسرائيلي، شاي فيلدمان، تعريب :غازي السعدي، دار الجليل للنشر، عمان، الاردن، طبعة اولى ١٩٨٤.
● اسرائيل خامس قوة نووية في العالم، دراسة للدكتور احمد على الزيني، مجلة الحرس الوطني السعودي، العدد ١٥٥، يوليو ١٩٩٥.
● الخيار النووي الاسلامي بين محاولات الاعداد ومبررات النمو، دراسة منشورة بمجلة العالم، لندن، العدد ٥٣١، يونيو ١٩٩٥.
● الأمة العربية وامتلاك السلاح النووي، معالي عبد الحميد حمودة، دراسة منشورة بمجلة الجندي، دبي، العدد ٢٥٧، يونيو ١٩٩٥.

القيم وأثرها في نفوس الأفراد والجماعات

اخلاق

حضارة المجتمع مصدر القيم الاساسية، فهي تنتقل من جيل الى جيل، فكل جيل من الاجيال يعلم ويلقن ويدرب الجيل الذي يليه قيمه الاساسية، بما لحقها من تغيير او تبديل او تعديل، فالتربية هي العملية التي يلجأ اليها الافراد للمحافظة على تراثهم الحضاري بكل ماينطوي عليه من قيم ومبادىء اساسية وضرورية لحياة الفرد، لكي ينشأ الفرد متوافقا ومتجاوبا مع جماعته. وليست القيم الا وقاية للمجتمع من ازدياد الجرائم المختلفة، وشتى الانحرافات الخلقية وجميع الشرور التي يعاني منها الافراد، والمجتمعات الانسانية، وهي الوسيلة الوحيدة لبناء الفرد الخيّر والمجتمع الخيّر.

بقلم: محمد رجاء حنفي

تعدّ القيم هي السلوك الخلقي الفعلي للافراد في تفاعلاتهم مع البيئة، والذي تمشى مع مأخذ به المجتمع من تقاليد، وعادات، وعرف.

ويكتسب الفرد القيم اللازمة لبقاء شخصيته من ظروف البيئة الاولى التي يعيش فيها فيمتص مبادئها وقيمها الخلقية والروحية، وتصبح جزءا لايتجزأ من نفسه، ودافعا يدفعه الى السلوك، فالطفل يمتص هذه القيم من الجو العام الذي يعيش فيه، ويتمثلها في نفسه، ويدخلها في حصيلة خبراته، وتقوم في نفسه مقام الضمير، تتحكم في افعاله وفي تصرفاته، وتصبح بمثابة الرقيب على سلوكه وسلوك الآخرين.

ويلعب الايحاء دورا مهماً في تكوين القيم، فالطفل يتأثر بصفة خاصة بما يوحي به اليه أبواه، فيسلك مسلكهما في الاقوال والافعال،، وينفعل نفس انفعالاتهما مستجيبا لنفس المؤثرات التي تثير فيهما الانفعالات، وكلما كان الايحاء مقرونا بالممارسة، والاسلوب العلمي والقدوة الصالحة، كان تأثيره اعظم وارسخ.

وعن طريق اسلوب الايحاء والممارسة الفعلية، والمثل الصالح، تصبح القيم جزءاً من خبرات الطفل، ونمطا من انماط سلوكه، يمارسه في المنزل وفي المدرسة وفي العمل عندما يكبر ويصير عضوا في المجتمع الكبير، لان هذه القيم قد اصبحت نابعة من ذاته، وليست مفروضة عليه من سلطة خارجية.

> **يكتسب الفرد القيم اللازمة لبقاء شخصيته من ظروف البيئة الاولى التي يعيش فيها فيمتص مبادئها وقيمها الخلقية والروحية**

ومادمنا بصدد الحديث عن القيم، فإن هذا يدعونا بالضرورة الى التحدث عن تكوين الذات العليا، او الضمير لدى الفرد، فالطفل منذ سن الثالثة من عمره تقريبا يعمل على ان يحل الصراع النفسي الذي ينشأ في اعماق اللاشعور بين رغباته غير المهذبة، وبين تلك المعايير والمثل العليا التي تواضع عليها المجتمع، والتي يتلقنها من العالم الخارجي ممثلة في سلطة الوالد.

ويمتص الطفل بالتدريج تلك المعايير، ويبلورها في نفسه حتى تصبح بمثابة السلطة الداخلية، التي تحل محل السلطة الخارجية في تنظيم وضبط تلك الرغبات المحظورة، وتصبح هذه السلطة القائمة في النفس بمثابة الرقيب، الذي يحول دون خروج هذه النزعات والميول غير المهذبة الى الخارج.

وطالما ان الضمير هو مصدر القيم لذا وجب ان تعمل كل أسرة بكل ماأوتيت من قوة على تنمية هذا الجانب المهم من النفس اذا ارادت ان تنشىء طفلها على حب الخير، وحب الفضيلة.

وانه لمن الطبيعي ان اثر البيئة التي يعيش فيها الطفل يكون فاعلاً في نشأة هذه القيم وفي تطورها ونموها.

وانه لمن الطبيعي- ايضا- ان البيئة التي يسودها الشعور بالدفء والطمأنينة، البيئة التي تحمي ولاتهدد، والتي تصون ولاتبدد، والتي تبني ولاتهدم والتي يسودها جو من الثقة المتبادلة والأمن والأمان، والمحبة والمودة، والتشجيع، هي خير بيئة تترعرع فيها القيم ويتكون فيها الضمير.

المؤسسات التعليمية والمجتمع واثرهما في تكوين القيم

لاتتكون القيم -وبالتالي الضمير- لدى الفرد نتيجة لتأثير الوالدين او من يقوم مقامها فحسب، وانما يتأثر الفرد في

تكوينه القيمي والضميري بمعلميه في المدرسة وبالنظم الاجتماعية المختلفة، التي تحكم مختلف المجتمعات التي ينتمي اليها الفرد في مراحل حياته المتعددة.

ويخطىء خطأ كبيرا كل من يظن ان دور المدارس والمعاهد والكليات مقصور على التلقين النظري للمعارف والمعلومات المتنوعة.

ان دور المؤسسات التعليمية دور تربوي مهم، يتفاعل مع دورها التعليمي، اذ ان التلقين النظري للمعارف والمعلومات المتنوعة لايكفي وحده لتكوين القيم، وبالتالي الضمير، وتعديل سلوك الفرد، بحيث تتكون لديه نظرة محددة واتجاه معين بالنسبة لنشاطه في جوانب الحياة المختلفة.

والاقتصار على التلقين النظري خطأ مابعده خطأ، نظرا لما تقوم عليه الظاهرة السلوكية التي تعتمد وترتكز على اعمدة ثلاثة هي:

١- ادراك الموضوع ومعرفته
٢- الانفعال به
٣- ممارسته

ومن هنا نجد ان الفكر الحديث يصر على عدم الفصل بين الفكر والعمل، او بين النظريات والتطبيق، أو بين الشعار والممارسة، فكل هذه الاشياء تعني ان القيم تصبح لغوا لاقيمة له اذا اصبحت عبارة عن مجرد كلام منفصل وبعيد عن واقع الحياة التي يحياها الفرد، وعن خبراته الحية.

على هذا النحو تنشأ القيم، وتستقر في النفوس، كضمائر حية فردية، وتكون بدورها الضمير العام للجماعة، وذلك من خلال التربية والتنشئة الاجتماعية، في الاسرة وفي المدرسة بل وفي واقع الحياة على جميع اشكالها ونظمها، وهذا فضلا عن عامل القدوة والمثل الذي يحتذيه الفرد ويؤثر تأثيرا بالغا في تكوين قيمه.

ولعل أهم هدف من أهداف الحياة في المجتمع هو مساعدة الفرد على كشف مالديه من استعدادات، وقدرات، وامكانات، الى اقصى حد ممكن، والافادة منها عن طريق خبراته الفريدة كي يصل الى اعلى المراتب في النضج والرشد.

وان اتاحة الفرص أمام كل فرد لان يعمل وفق استعداداته وامكاناته، فيه اشاعة للطمأنينة النفسية، والثقة بالنفس، وبالآخرين، وفيه ارساء لدعائم القيم التي يجب ان تسود في المجتمع فالعمل لايعني مجرد بذل جهد عقلي او مادي للتأثير على الاشياء المادية او غير المادية المحيطة بالفرد للوصول الى نتيجة محددة، ولكنه في حقيقته تفاعل بين الفرد والبيئة، يحاول الفرد اثناءه ان يحقق اهدافه، وان يشبع رغباته وحاجاته، وان يجعل قيمه ومثله حقيقة واقعة، وان يعبر عن دوافعه وصراعه وقلقه بصورة مقبولة منه ومن المجتمع في غالب الاحيان، وهو في أثناء هذا التفاعل مع الوسط الذي يعمل فيه تنمو شخصيته وتتكامل.

والقيم الصحيحة تجعل المجتمع ينظر الى افراده على انهم غايات في ذاتهم، وليسوا وسيلة لغاية، وتمنح الافراد الاحترام والتقدير، وتبذر في نفوسهم اسس التعاون المحبة تلك الاسس التي يقوم عليها كل مجتمع قويم.

مفهوم القيم

تعدّ القيم من المفاهيم التي تدخل جوانب النشاط الانساني كافة وتستخدم كتعبير قيمي للنظم والعلاقات البشرية سواء أكانت هذه النظم والعلاقات البشرية داخلية أم خارجية كالأنظمة الاجتماعية المختلفة، وسواء أكانت سلوكا انسانياً على مستوى الافراد ام على مستوى الجماعات، اذ ان الانسان بالنسبة لأي نظام أو أي علاقة بشرية، أو أي سلوك لابد وان يتضمن في تعامله معها أحكاما قيمية، وان اختلفت درجة القيمة من حيث الالزام او الاختيار.

تعدّ القيم من المفاهيم التي تدخل جوانب النشاط الانساني كافة وتستخدم كتعبير قيمي للنظم والعلاقات البشرية

ومن هنا يتضح مفهوم القيم، بحيث تعني: الاحكام التي يصدرها الانسان على اشياء او على موضوعات معينة، ثم يتصرف وفقا لها، خلال تفاعله مع البيئة في عناصرها المختلفة لاشباع حاجاته العديدة، المتنوعة والمتغيرة.

ويستبين أثر القيم، وتبرز اهميته حين يكون الانسان بصدد مواقف يشتد فيها الصراع بين حاجاته المختلفة من ناحية، وبين الواقع من ناحية اخرى، أو حين تتعارض اساليب التوافق التي اعتادها الفرد مع اساليب اخرى جديدة عليه، وذلك نتيجة لعوامل الحركة الدائبة والتغير المستمر في حياة الانسان.

التغير المادي السريع وأثره في صراع القيم

ان أي مجتمع من المجتمعات به العديد من النظم الاجتماعية، وكل من هذه النظم تغير من وقت لاخر بتأثير عوامل متشابكة معقدة، بيد ان الملاحظ ان التطور المادي سريع في تقدمه، بينما تميل النظم الاخرى كالمبادىء والعادات والتقاليد الى التغير البطيء غير المساير لعجلة التطور المادي في المجتمع.

ومن هنا كان لابد من حدوث التناقض الحتمي بين الظواهر المتطورة، بطريقة غير متجانسة، وهذا التضاد هو الذي ينشىء حقائق اجتماعية غير سوية وجديدة في المجتمع كالنظرة المادية، والاثرة والانانية، وضعف الروابط الاجتماعية وهذه الظواهر لها دورها الفاعل في خلق وزيادة الجرائم في المجتمع.

ويرى بعض علماء الاجتماع ان التغير الاجتماعي غير المتكافىء ينتج عنه العديد من الظواهر التي تشكل المشكلات الاجتماعية، وان الجريمة تأتي نتيجة للتطور المادي السريع غير المتكافىء في المجالات الاخرى، ويدللون على رأيهم بازدياد نسبة الجرائم في المجتمعات التي تتم فيها عمليات التغير الاجتماعي والحضاري السريع.

صراع القيم والضمير

ان ضمير الفرد يتكون تدريجيا من القيم، اي من الأوامر والنواهي ومن المعايير والاحكام المختلفة، التي يمثلها الفرد وهو صغير من والديه ومن السلطة في المجتمع الذي يعيش فيه او بعبارة اخرى يعد الضمير هو منظومة التعاليم الدينية، والقيم الاخلاقية والمعايير الاجتماعية، ومبادىء السلوك التي تكوّن وجهة نظر الفرد في الحياة، فالضمير هو الاطار الذي ينظر الى المجتمع من خلاله.

واذا كانت القيم متناقضة، وكان هذا التناقض عنيفا، فلابد وان يتعرض بعض الافراد خصوصاً الاطفال والشباب الى ان تتكوّن لديهم ضمائر قلقة، وقيم ومثل غير مستقرة، ومستقبل غير واضح المعالم، واهداف غامضة، وهذا كله من شأنه أن يؤدي الى سوء التوافق، والى انحرافات السلوك.

وعلى هذا فإنه ينبغي عدم اغفال اي عامل من العوامل المؤثرة في حياة الانسان سواء كانت ذاتية، عضوية او نفسية، أو كانت خارجية في محيط البيئة بعناصرها المختلفة، المادية والمعنوية فكل هذه العوامل متشابكة ومتقاطعة ونتيجة لهذا التفاعل يتأثر سلوك الفرد وتتأثر اتجاهاته في المجتمع، وقد يسهم ذلك بطريقة مباشرة في سلوك الفرد المنحرف او غير مباشرة.

القيم الاسلامية واثرها في سلامة النفس البشرية

ان القيم الاخلاقية في الاسلام لاتنفصم عن غيرها من القيم الروحية والنفسية والاجتماعية لان الهدف الأسمى من العقائد والشعائر والعبادات هو بناء الاخلاق، ولم ترد في القرآن الكريم، او في السنة النبوية الكريمة عبارة إلا وهي مرتبطة غاية الارتباط بالجانب الاخلاقي ومهتمة به.

والاسلام لم يجعل من العقيدة مجرد مشاعر وجدانية لتربية الوجدان، ولامجرد شعائر تعبدية تؤدى في المسجد فحسب، ولامجرد وسائل تهذيبية تسمو بالروح فقط، وانما يربط بين هذه القيم جميعها ربطا وثيقا محكما، فلا عقيدة منفردة عن العبادة، ولاعبادة منعزلة عن الأخلاق ولا أخلاق منفصلة عن الايمان.

وتلعب الوراثة والبيئة اثرها في تنمية القيمة الخلقية للفرد، وقد وضع الاسلام نظاما ومنهجا فريدا لأسس التربية الخلقية، لانه يريد ان يضمن للفرد حتى قبل ميلاده وعاء صالحا، ومنبتا حسنا ينتج منه، وهذا الوعاء هو مايطلق عليه في العلم الحديث اسم «قانون الوراثة» فصفات الوالدين هي التي ستكون محور التربية فيما بعد، وفي هذا الشأن يقول –صلى الله عليه وسلم–« تخيروا لنطفكم، فإن العرق دساس» رواه ابن ماجة.

ويقول عليه افضل الصلاة وأزكى السلام مبينا اثر البيئة في تربية الفرد:«مامن مولود يولد إلا على الفطرة» رواه مسلم.

واما البيئة الفاسدة ففيها خطر شديد على الفطرة. لانها تمسخها وتشرد بها، وتخلف فيها من العلل مايجعلها تعاف العذب، وتستسيغ الفج، وذلك هو السر في انصراف فريق من الناس عن الايمان والصلاح، وقبولهم للكفر والشر مع منافاة ذلك لمنطق العقل، وضرورات اصل الخلقة يقول المولى –سبحانه وتعالى– في حديثه القدسي الشريف: «اني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ماأحللت لهم» رواه مسلم.

ومما لاشك فيه ان المحنة التي يمر بها العالم اجمع اليوم، ويعاني منها اشد المعاناة هي أزمة روحية، منشؤها كفره بالقيم الاخلاقية والمثل العليا التي جاء بها الدين ولا نجاة لهذا العالم مما يرتكس فيه الا بالعودة الى تلك القيم وتلك المثل يهتدي اليها بفطرته، ومتى اهتدى العالم الى هذه الفطرة اهتدى الى الاسلام لان الاسلام هو دين الفطرة.

الحضارة الإسلامية حضارة اخلاقية، تجمع بين الفكر والعمل، بيد أنها لاتقدس الفكر، ولا ترفعه فوق العمل

وعناية الاسلام بالقيم الاخلاقية، وتنميتها في طبيعة النفس البشرية، انما تكمن في ثلاثة اتجاهات هي:

١–الاهتمام بالتربية الوجدانية في النفس البشرية:

لان هذه التربية هي الاساس في ربط النفس بخالقها سبحانه– تبارك وتعالى– اذ انه هو الذي يعلم مافي السرائر، ويعرف خبايا النفوس، وهو الذي يراقب، يقول رسول الله –صلى الله عليه وسلم« انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء مانوى.. متفق عليه .

ويقول المصطفى –صلوات الله وسلامه عليه–«... ان تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك»رواه مسلم. فمن خلال هذين الحديثين الشريفين– وغيرهما كثير من هذا المعنى– نرى ان الاسلام قد وضع اسس وقواعد التربية الوجدانية، باعتبارها الوازع النفسي القوي الذي يكون للانسان بمثابة المرشد والدليل لسلوكه في الحياة ويبصره بعواقب افعاله وسلوكه، ويعد الاعتقاد بوجود خالق، مبدع، قادر، يحاسب على الكبائر والصغائر، ويطلع على ماتكنه الصدور من أكبر مقومات الضمير.

وبهذه التربية الاخلاقية يتم خلق الوازع الداخلي، الذي يجعل محاسبة الانسان نابعة من ذات نفسه، فهو يشعر بالرقابة على سلوكه وتصرفاته سواء شاهده الناس، أم كان بعيدا عن أعين الناظرين، لانه يدرك تمام الادراك أن الحق– سبحانه وتعالى –مطلع عليه، فهو ﴿يعلم السر وأخفى﴾ [سورة طه آية٧].

٢–الاهتمام بتربية النفس البشرية على المحبة والمودة، وتنمية العلاقات الاجتماعية في طبيعتها:

لان الانسان اجتماعي بطبعه والمحور الخلقي في الاسلام يدور حول احترام فردية الفرد، والثقة في قدرته على التمييز بين الخير والشر، بما أوتي من عقل وفكر.

وهذه الفردية ملتزمة بمجتمع، وتعد مسؤولية شخصية عن تحقيق العدل

والخير فيه وحرية الفرد فيها التزام خلقي في حدود صالح الجماعة وغيرها.
٣-الاهتمام بتربية النفس البشرية على ممارسة السلوك الذي يحقق هذه القيم الاخلاقية:
ولايتأتي هذا التهذيب للنفس البشرية الا باتباع وامتثال مايأمر به المولى -سبحانه وتعالى -واجتناب مانهى عنه يقول الحق -سبحانه وتعالى -عز وجل: ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران/٣١].
ويقول سبحانه جل شأنه في محكم آياته: ﴿من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾[النساء/٨٠].
ويقول سبحانه وهو اصدق القائلين: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه، ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب﴾[الحشر/٧].
ان الناظر في مدى عناية الاسلام بهذه القيم الاخلاقية يرى ان الهدف منها هو : تنمية السلوك الخلقي، على اساس شموله لما ينظم علاقة الفرد بنفسه، وعلاقته بغيره من الناس ومن الجماعات، وعلاقته بالكون، طبقا لما أكده الاسلام، كما انها تهدف الى سعادة الانسان عن طريق ارضاء خالقه سبحانه عز وجل، بحيث تصبح الاخلاق هي ذلك النشاط الذي يربط بين تعاليم الاسلام والانسان فردا وجماعة، وبحيث تتحول هذه التعاليم الى حياة يومية تمارس.
اذا كان النظام الاخلاقي في الاسلام شاملا وكاملا فانه من الضروري ان تكون القيم الاخلاقية شاملة ومتكاملة، بحيث تلبي غرائزه وحاجاته الكامنة في طبيعته النفسية، وبذلك يتكامل الجهاز النفسي والعضوي في الانسان. وليست عناية الاسلام بهذه القيم الاخلاقية قائمة الا على اعتبار أنها الاساس في التربية والتدريب والتهذيب، وهي في الوقت نفسه اسلوب علاجي ووقائي.

القيم الاسلامية واثرها في التقدم الحضاري

تعد الحضارة الاسلامية حضارة اخلاقية، تجمع بين الفكر والعمل، بيد أنها لاتقدس الفكر، و لا ترفعه فوق العمل، كما هو الحال والشأن في الحضارة اليونانية القديمة.
والحضارة الاسلامية حضارة تجمع بين الناحية المادية والناحية الروحية في الافراد وترى ان المجتمع المتكامل هو المجتمع الذي لايهمل الحوافز المادية الى جانب الحوافز الروحية في عملية التطور.
ومن هنا كانت الأمة الاسلامية الآخذة بهذه الحضارة امة وسطا يقول المولى سبحانه وتعالى﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾[البقرة:١٤٣].
ويقول سبحانه عز وجل: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[آل عمران/١١٠].
وقيم الاسلام الدافعة الى الحضارة ليست قيما مستقلة بذاتها، وانما هي قيم ذات فعاليات ايجابية في واقع المجتمع، ويمكن ان يقاس مدى فاعلية هذه القيم من حيث القوة والضعف، بالنظر الى سلوك الافراد الذين يعتنقونها ويسيرون على هديها، ووفقا لمبادئها ومنهجها، فليس في الاسلام تفرقة بين القيم الذاتية والقيم الخارجية.
وهذا هو مايميز الاسلام عن بقية الأديان، والمذاهب والفلسفات الاخرى، فالاسلام يربي اولا وذلك ليجعل النفوس مهيئة لتلقي احكامه، ثم يدعو الناس اليها ثم يقيم من أنفسهم حراسا عليها.
والاسلام لايحفل ولايعني بالمعاني المجردة، حيث انه دين عمل اساسا فهو عندما يحكم على الفرد انما يحكم بما يتمثل في سلوكه العملي من القيم لان سلوكه نابع عما بداخله من مبادىء

ان القيم الاخلاقية في الاسلام لاتنفصم عن غيرها من القيم الروحية والنفسية والاجتماعية

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾[التوبة/١٠٥].
ان القيم الاخلاقية هي التي تعصم المجتمعات من الانحلال وتصون الحضارة والمدنية من الضياع، ودونها لاتنهض الأمم، ولاتقوى الدول، مهما بلغت من العلم والازدهار فالعلم والاخلاق لاتستغنى عنهما المجتمعات ولاتستغنى المبادىء والقيم عن الضمائر الحية، التي لها اثرها الفاعل في حماية النفس البشرية.
ولان يكون متوافقا مع نفسه ومع مجتمعه، ولكي يكون بعيدا عن الصراع والقلق والتوتر النفسي وجب ان تكون القيم والمعايير والمعتقدات والمبادىء الخلقية التي يستخدمها في الحكم على دوافعه وسلوكه- والتي يهتدي بها في افعاله وتصرفاته كافة - ان تكون قد اكسبت لديه صفة الاستقرار النسبي، وليس هناك أدنى تعارض او تناقض بين بعضها والبعض الآخر، حيث ان ذلك كله يعد حصيلة التطبيع الاجتماعي.
ويعد استقرار القيم وانسجامها، العامل الاساسي والفاعل في الاستقرار الانفعالي لدى جميع الافراد.
وبقدر ماتكون هذه القيم جزءا متكاملا مع الكيان النفسي للفرد بقدر مايسود المجتمع من طاقات انسانية خلاقة، جديرة بدفع عجلته نحو التقدم والازدهار.
ومن الضروري لتفهم العلاقات الاجتماعية، وادراك عواقب السلوك، ان يكون هناك الثواب والعقاب الذي يعود على الذات.
كما ان الاسلام يهدف أول مايهدف الى خلق مجتمع واع، يسعد به ابناؤه، مجتمع صالح يكثر فيه الخير، ويتضاءل فيه الشر، مجتمع يجب ان يخضع سلوك الفرد فيه خضوعا كليا وجزئيا لتوجيهات القرآن الكريم والسنة الشريفة حتى يسعد مجتمعه وترقى به أمته وينعم بحياة هانئة في دنياه، سعيدة في أخراه. ■

مكانة الشيخوخة في الأسرة والمجتمع كما يراها الإسلام

اخلاق

بقلم: علال البوزيدي

تتميــز أوضـــاع المسنين في المجتمع الإسلامي بخصوصيات لها علاقة وطيدة بالواقع الـذي يطبع حياة المجتمع ويحدد العـلاقات الإنسـانية العـامة بين أفـراده وذلك في ضوء الشريعة الإسلامية الخالدة التي نصت في مجال الـرعايـة الاجتماعية لفئة الشيـوخ والمسنين على ما يضمن لهم حياة الكرامـة والأمن والاطمئنان، وتنقسم هذه الرعايـة إلى شطرين اثنين هما: رعاية عائلية، ورعـاية اجتماعية، وهذه الـرعاية تعتبر في حد ذاتها كفـالة منبثقـة عن نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام، وقد جاءت عدة شروح وتفـاسير لهذه المسألة في كتب ومؤلفـات استمدت مادتها الأسـاسية من الكتـاب والسنة ويمكن الإشـارة إلى بعض الآيـات التي جـاءت بهذا الخصـوص، فالكفـالة والـرعايـة العائليـة تتحقق فيما أوجبه اللـه من النفقة والمعاملـة بالحسنى لفائدة الآبـاء والأمهات كما جـاء في القرآن الكريم في سورة العنكبـوت ـ ٨: (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً)، (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إيـاه وبالـوالديـن إحسانـاً إما يبلغن عندك الكبر أحـدهما أو كـلاهما فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهـرهما وقل لهما قـولاً كـريماً. واخفض لهما جنـاح الـذل من الرحمـة وقـل رب ارحمـهما كمـا ربياني صــغيراً) الإسـراء ـ ٢٣ و ٢٤، وبهذه الأخلاق القرآنية نصت الكتب الفقهية على أن هـذه الرعـاية والكفـالـة يمتد واجبهـا لتشمل النفقـــة على الإخـــوة والأعمام والعمات والأخـوال والخالات... وهنـاك الشطـر الثـاني ويتعلق بكفـالة ورعـايـة المسنين اجتماعيـاً، حيث نصـت الشريعـة الإسلاميـة على ضمان الرعايـة الاجتماعية للمسنين في إطـار نظـام الـزكـاة، وبفضل التضـامن العائلي والتكـافل الاجتماعي لم تكن إشكاليـة الشيخوخة بـالخطورة التي توجد عليهـا في بعض المجتمعات المادية بما فيها المتقدمة صناعياً وتكنولوجيا. وبفضل المرونـة التي يتميـز بها السلـوك العـائلي والاجتماعي في المجتمـع الإسـلامـي وقع التخفيف من حدة مشكل الشيخوخة، حيث تعـززت مكانـة المسنين في مجال الـرعايـة الاجتماعية بما تقـدمه مؤسسـات الأوقاف والشؤون الإسـلامية من خـدمات. ذلك أن الـوقف يقـوم بدور مهم لفـائدة الشيـوخ والمسنين والعجـزة إلى جانب الحفـاظ على استمـراريـة رسـالة الإسلام، وسـلامـة العقيدة الإسلامية، وتـرسيخها في القلوب، وتثبيتها في النفوس، ودعماً للجهود الهادفة إلى رعـايـة المسنين إيمانـاً بـأن الـرعـايـة الاجتماعيـة لعـالم الشيخـــوخـة ضرورة حتميـة وواجب إنساني، فقـد اتفقت الآراء على إعطاء مزيد من العناية لمن بلغوا مرحلة السن الثـــالث من السهــر على راحتهم وتطبيق كل التـوصيات والقـرارات الهادفة إلى ضمان حقـــوقهم مــع تشجيع جهـــود الجمعيات التـي تُعنى بالمسنين، وتضـافر الجهود على أسـاس التنسيق بين المنظمات التي تهتم بقضايا الشيخوخة على أن يشمل هـذا التنسيق كـل مجالات التعـاون بين المنظمات والجمعيات غير الحكومية العاملة في هذا الميدان والقطاعـات الحكومية المكلفة بـالعمـل الاجتماعي، وإدمــاج بـــرامج ومشـاريع العمل التي تخص فئـة المسنين، ضمن المخططات التنموية.

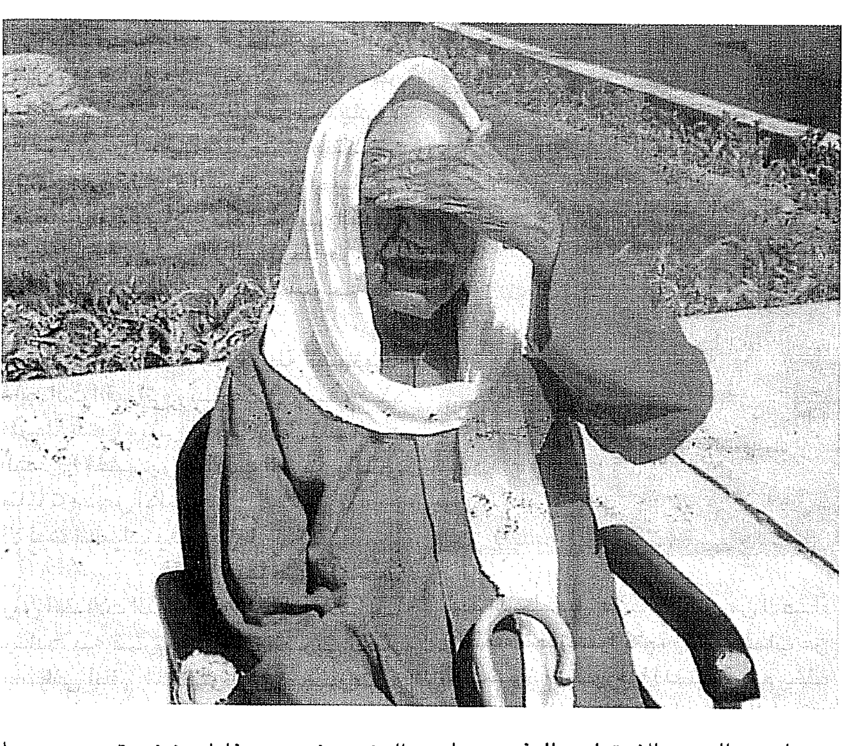
> **وضعية المسن داخل الأسرة تثير بعض التساؤلات وأحياناً تثير الإشفاق على أحد الطرفين أو على الطرفين معا**

دور الأسرة في رعاية الشيخوخة

(وقل رب ارحمهما كما ربيـــاني صغيراً) صدق الله العظيم

يتضح من خـلال الـــواقع الاجتماعي أن وضعيـــة المسن داخـل الأسرة تثير بعض التساؤلات وأحيـاناً تثير الإشفـاق على أحد الطرفين أو على الطـرفين معاً، ذلك أن بعض الأسر لا تتوافـر لها إمكانات تساعـدها على القيام بواجـب الرعاية المطلـوبة لمن وصلوا السن الثالث.

وربما كان العكس حيث تتـوافر الإمكـانات ولكن هنـاك إهمال وعدم شعـور بالـواجب خصـوصـاً في حالـة تفكك الأسرة أو عـدم انسجـام أفـرادهـا، ولـذلك نجـد أن هـذا التقصير راجع حتى إلى مـدونـة الأحـوال الشخصيـة التي تجعـل واجب النفقـة على الأبويـن دون أن تلزم بـالانفاق على غيرهما علماً بأن العـلاقات العـائلية تمتـد بطبيعة الحال إلى الإخـــوة والأعمام والعمات والأخـوال والخالات والأقـارب، وتتنــوع أوضـاع المسنين وواقع حيـاتهم وظـروف عيشهم، وسـط مجتمع نجـــد أفـــراده يمارســون الصنـاعـة والتجـارة والحرف الحرة أو من كـانـوا يمارســون أعمالاً في قطـاعات عمـومية أو شبـه عموميـة حيث يشملهم نظام المعاش فيحالون على التقاعد عندمـا يبلغون من العمر ستين سنـة، وقد يختلف تحديد سن التقاعد من بلد إلى آخر.



فهؤلاء المحالون على التقاعد لا يعانون من مشكلة الشيخوخة بالقدرالذي يعاني منه الذين لا معاش لهم، لذلك فالمساعدة التي تمنحها صناديق التقاعد لها دورها في التخفيف من أزمة الشيخوخة سواء أكان المسن رب أسرة أم يعيش داخل أسرة، ففي الحالتين تكون وضعيته أقل تأزماً من وضعية الذي أصبح شيخاً ولا معاش له، فيجد نفسه عالة على أسرته لكونه لا يتلقى أية مساعدة مبرمجة تمكنه من مواجهة متطلبات ما تبقى من حياته، علماً بأن المرحلة المتأخرة من عمر الإنسان تزداد فيها حاجته إلى التغذية المتوازنة وإلى العلاج، وبالتالي إلى الرعاية الصحية والاجتماعية والنفسية المتكاملة فأنى يتوافر ذلك في أسرة تعاني ظروفاً قاسية من حيث الوضع الاجتماعي والاقتصادي والبيئوي ومن شأن الأوضاع المتردية والظروف القاسية أن تؤثر في نفسية المسن وتجعله يعاني من التوتر والقلق وارتفاع الضغط الدموي، ومما يزيد الطين بلة أن هناك فئة من المسنين يعيشون على هامش الحياة فلا تقاعد ولا تأميناً صحياً، ولا موارد منتظمة ولا دخلاً مهما كان حجمه، لذلك فإن مرحلة الشيخوخة على هذا الشكل تعتبر قاسية جداً، وهناك صور ونماذج في بعض المجتمعات تؤكد ذلك وتقتضي إعادة التفكير بجدية في أوضاع وأحوال الشيخوخة التي تعيش في القرى النائية والأرياف والأحياء الفقيرة والأحياء الشعبية بالمدن الكبرى، ولهذا كانت الرعاية الاجتماعية والصحية لهذه الفئة ضرورية وملحة، لأن كل فرد لابد له من أن يساهم بقليل أو كثير في تكوين أسرة وبناء مجتمع وتقديم خدمة من الخدمات ذات النفع العام.

للعمل الاجتماعي أهمية كبرى بالنسبة لقضايا الأشخاص المسنين، لذلك فكلما تعددت مرافق ومؤسسات العمل الاجتماعي، لفائدة هذه الفئة وقع التخفيف من حدة مشكِل الشيخوخة وسهل القيام بالواجب نحوها، غير أن توسيع نطاق هذا العمل يقتضي مساهمة الجميع بما في ذلك التنظيمات والجمعيات التي تكونت من أفراد كانوا أطفالاً وشباباً ومرت السنون والأعوام فأصبحوا شيوخاً في حاجة إلى مساعدة وتكريم، ولا يحقق العمل الاجتماعي النتائج المتوخاة منه ما لم يصاحبه الوعي الاجتماعي الذي يجعل الجميع يحس بقيمة هذه المرحلة في حياة البشر، خصوصاً وأنه لا يوجد أحد يكره الحياة، فالإنسان يريد أن يبقى متلصقاً بأرضه إذا كان فلاحاً وبحرفته وصناعته وبممارسته لسلوكه الاجتماعي ومسؤولياته العائلية والأبوية، وهذه حالة نفسية ينبغي إيلاؤها كل اعتبار وذلك بعدم تهميش المسنين، بل ينبغي الاستفادة من تجاربهم والاستماع إلى أقوالهم حتى لا تطغى على حياتهم حالة التخريف التي يصاب بها أولئك الطاعنون في السن بسبب ضعف الذاكرة بحيث نجد أن تصرفات بعض الشيوخ المسنين غير سوية، بل عشوائية تنم عن عدم التركيز في الكلام والنسيان وغير ذلك مما يدخلهم في حالة

للعمل الاجتماعي أهمية كبرى بالنسبة لقضايا الأشخاص المسنين

التخريف، ومع ذلك ينبغي تصحيح ما يصدر عن المسنين لإشعارهم بأنهم لا يزالون يحيون الحياة بصورة طبيعية حتى لا يدب إليهم اليأس، وهذه المعاملة ضرورية للشيخوخة سواء من طرف الأسرة أو المؤطرين لمأوى العجزة التي يتطلب أن تكون في مستوى رغبات هؤلاء المسنين بحيث توفر لهم أسباب الراحة والترويح في إطار الرعاية الصحية، علماً بأن حالة التخريف التي أشير إليها آنفاً قد تصيب البعض من المسنين، وليس الكل.

وقد أكدت بعض الدراسات والأبحاث الميدانية أنها تصب بكيفية ملاحظة المسنين الأميين الذين ليسوا على مستوى من المعرفة والوعي بينما هناك أشخاص بلغوا سن الشيخوخة وظلوا يتمتعون إلى آخر لحظة من حياتهم بالعقل السليم والفكر المبدع والأمثلة على ذلك كثيرة في أجدادنا السابقين الذين كانوايواجهون سكرات الموت وهم يؤلفون روائع الكتب في العلم والأدب والفقه والطب، كما نجد بعض الأشخاص المسنين يدركون بوعي ما تقتضيه منهم مرحلة السن الثالث من التزام جانب الراحة والعمل المنظم والسلوك المتوازن فيعبرون عن ذلك من خلال بعض مواقفهم وتصريحاتهم ويعلنون مغادرتهم لمجالات الأعمال الفنية والإبداعية

أثناء حفلات تكريمهم أمام الجمهور الذي يكون قد تابع عطاءاتهم لأن هناك بعض المسنين لا يرضون بوضعهم الجديد ولا يقنعون من الحياة بما مضى وتتكون عندهم عقدة الغيرة التي تتحول أحياناً إلى الحقد على من هم في مرحلة الشباب والكهولة متجاهلين بأنهم مروا بتلك المرحلة من قبل، وهذه الحالة تلاحظ بكيفية محسوسة عند بعض العجائز من النساء.

تحدث الأدب والأدباء عن مرحلة الشيخوخة فأجادت القرائح وبرعت في وصف هذه المرحلة شعراً ونثراً وقصة ولعل ذلك البيت الشعري المشهور في الأدب العربي والذي طالما تردد على الألسنة.

ألا ليت الشباب يعود يوماً
فأخبره بما صنع المشيب

ومن المقالات الرائعة في الإبداع الأدبي ما جادت به قريحة الأديب العربي الكبير مصطفى لطفي المنفلوطي في مجموعته الأدبية النظرات تحت عنوان الشعرة البيضاء.

«مررت صباح اليوم أمام المرآة، فلمحت في رأسي شعرة بيضاء تلمع في تلك اللمة السوداء لمعان شرارة البرق في الليلة الظلماء رأيت الشعرة البيضاء في مرفقي فارتعت لمرآها كأنما خيل إلى أنها سيف جرده القضاء على رأسي، أو علم أبيض يحمله رسول جاء من علم الغيب ينذرني باقتراب الأجل، أو يأس قاتل عرض دون الأمل... إلى أن قال: فأنت رسول الموت الذي مازلت أطلبه منذ عرفت فلا أجد له سبيلاً، ولا أعرف له رسولاً.

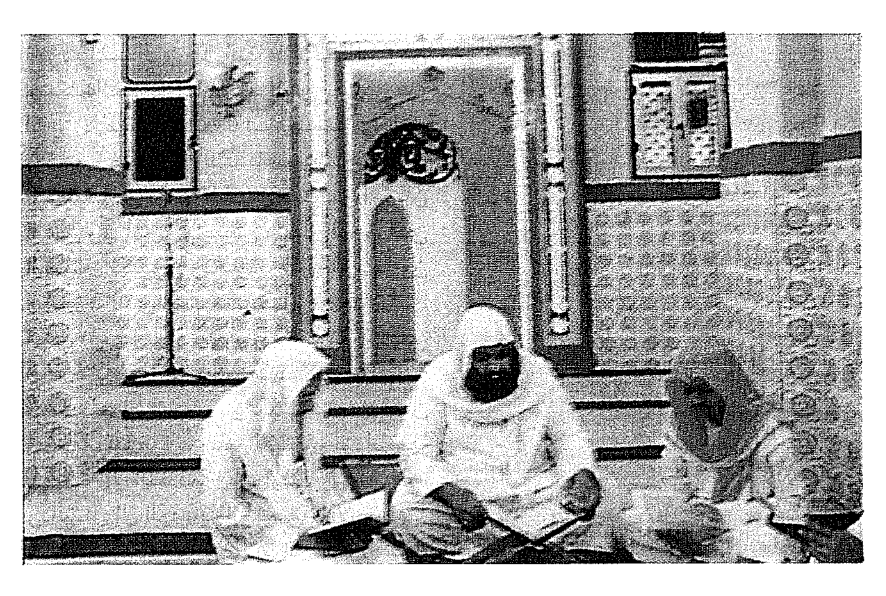
ما الذي يحمله لك في صدره من الحقد رجل لم ينعم بشبابه فيحزن على ذهابه، ولم يذق حلاوة الحياة فيجزع لمرارة الممات».

واسترسل المنفلوطي في وصفه للجو الذي تتميز به الشيخوخة إلى أن ختم مقالته في الموضوع بقوله:

«أيتها الشعرة البيضاء؟ مرحباً بك اليوم، وبأخواتك إذا، ومرحباً بهذا القضاء المختبىء وراءك أو الكامن في أطوائك، ومرحباً بتلك الغرفة التي أخلو فيها بربي وأنس بنفسي، من حيث لا أسمع حتى دوي المدافع، ولا أرى غبار الواقع.

أهلاً بوافدة للشيب واحدة وإن تراءت بشكل غير موعود».

ولم يكن هذا الأديب وحده هو الذي اهتم



بهذه المرحلة بل هناك الكثير من الأدباء والعلماء تحدثوا كثيراً وبإسهاب عن الشيخوخة وظروفها المختلفة ولم يخف أحد من هؤلاء حالته ذاتياً ووجدانياً، غير أن الفرق هو كما سبق أن قلت في كل ما قيل تبارى وتناقض والغث والسمين. هناك ما يعبر عن سذاجة وتخريف كإفراز من افرازات الشيخوخة. وهناك كذلك ما يعبر عن النضج وعصارة تجارب الحياة المليئة بالاجتهاد والإبداع والعطاء الأدبي والفني والعلمي وتبقى الشيخوخة واحدة ولكن ظروف المسنين تختلف ويمكن إعطاء أنموذج آخر في شخص الكاتبة الروائية الأمريكية التي صدرت لها — وهي تعيش أيام الشيخوخة — رواية جديدة بعنوان «أيام كانتي».

والتي كانت قد نالت جائزة سنة ١٩٥٢ عن روايتها (لا مكان لي على الأرض)، وتدور أحداث الرواية حول مشكلة الشيخوخة والسن الثالث في مجتمع متفكك تعاني فيه

رحلة الشيخوخة هي دون منازع جسر لابد من عبوره في حياة كل إنسان مارس دوره في الحياة بكيفية طبيعية

بطلة الرواية من مشكلات عدم الاهتمام بها بالرغم من وجود أبناء وبنات لها، فاضطرت أن تدخل دار المسنين إلا أنها أصيبت بحالة اغتراب لم تألفها لابتعادها عن منزلها الذي كانت تشعر فيه بالسعادة وتشعر أنه جزء منها وتصف بطلة الرواية أن السن المتقدمة معرض لها كل الناس لذلك تقول لابد من اتخاذ التدابير لمواجهته مادياً ومعنوياً.

ومرحلة الشيخوخة رمزت لها الكاتبة الفرنسية «سيمون دي بوفوار» قائلة: عندما أقرأ كتاباً أشعر بأنني لست عجوزاً، بل أشعر بأنني من دون عمر.

وهناك نماذج وأمثلة كثيرة لا يتسع الموضوع لاستيعابها، ولكن خلاصة القول: إن مرحلة الشيخوخة هي دون منازع جسر لابد من عبوره في حياة كل إنسان مارس دوره في الحياة بكيفية طبيعية إذا تأملنا بعمق مرحلة الشيخوخة نجد أن الإحساس بحقيقة الحياة وتفاعلات النفس البشرية على البسيطة إنما تدرك الإدراك الحقيقي في مرحلة الشيخوخة، حيث يراجع فيها الإنسان صفحات ماضية ويتأمل من خلال هذا الماضي مواقفه الخاصة والعامة فيكتشف في نفسه مواطن الخطأ والصواب من خلال مسلسل ذكرياته، ولكل إنسان ذكريات له أو عليه ولذلك تعتبر مرحلة الشيخوخة عصارة ذكريات وتجارب الحياة. فينبغي أن يستفيد منها الإنسان حتى يلقى وجه ربه وهو راض عنه، وخير الكلام قول الله عز وجل: (وتلك الأيام نداولها بين الناس). ■

الوقاية من التصدع الأسري

بقلم الدكتور عبدالرحمن محمد العيسوي

المنازعات أو المنغصات أو التنافر الزواجي يضفي على الحياة الأسرية جواً من الكآبة والبؤس والتعاسة والشقاء والملل والنفور والكراهية والعناد والخصام والشجار والنقار والجدال العنيف، ويقضي على طعم الحياة ولذتها وحلاوتها ويجعل الحياة لا تمر إلا بطيئة كئيبة ورتيبة ثقيلة، ومثل هذا الجو غير منتج وغير صحي وباعث على المرض، والقلاقل والأزمات والتوترات والصراعات، والحقيقة أن الرجل والمرأة يحمل معه إلى عمله أعباء أسرته وهمومها ويذهب لعمله وهو مثقل بالهموم والغموم، ولذلك ينخفض أداؤه ويقل إنتاجه وتضعف علاقاته الاجتماعية والعملية الناجحة، وهذا الوضع صحيح بالنسبة للمرأة التي لا تنعم بالسعادة والراحة والتقدير في بيتها، لذلك ينبغي دراسة قضايا الأسرة العصرية وبذل كل الجهود لإسعادها.

ضرورة فض المنازعات الأسرية

لاستمرار الزواج قائماً وسعيداً ومتكيفاً لابد من فض ما قد ينشأ من منازعات داخل جدران الأسرة، أي تسوية النزاعات وتحقيق المصالحة بين أطراف الأسرة أولاً بأول وقبل أن تتفاقم الأمور وتصل إلى طريق مسدود.

في الحقيقة لا توجد دراسات كثيرة عن العلاج الأسري أو العلاج الزواجي(١)، ولذلك يصعب علينا الإجابة عن كثير من التساؤلات حول هذا الموضوع، فمن الذي يسعى لمثل هذا العلاج، ومن الذي يقوم به، وما نتائجه البعيدة المدى؟ وإن كان هناك أعداد كبيرة تشير إلى الحاجة إلى هذا العلاج والتي تبحث عن المساعدة، فمن وقت مبكر يرجع إلى العام ١٩٦٣م كان هناك (٤١٨١٥) حالة لدى مركز المراقبة بالمملكة البريطانية، وفي العام ١٩٦٤م كان هناك (٥٧٥٤٠) من المقابلات التي أجراها مجلس التوجيه الزواجي القومي(٢)، وكان هناك (١٧٩٠٥) مقابلة أجراها المجلس الزواجي الكاثوليكي الإرشادي، وكان هناك (٣٥٠٠) حالة مقابلة لدى مكتب المناقشات الزواجية، ولا يتضمن هذا العدد الأسر التي حصلت على المساعدات من جمعية رعاية الأسرة، وهناك آلاف الأسر التي ترددت على عيادات الطب العقلي التي وضعتها لجنة مورتون وهي اللجنة الملكية الخاصة بالزواج والطلاق، حيث وضعت شروطاً تتضمن توفير الضمانات الأكيدة والكافية لعدم الإفصاح عن أي شيء مما يقوله العملاء للمرشدين إلا بموافقة العميل نفسه، واعتبرت ذلك أحد شروط ومتطلبات المصالحة الناجحة(٣) لشعور العميل بالأمان والثقة.

وبطبيعة الحال لابد من توافر الدافعية والرغبة لدى أطراف العلاقة الزواجية في تلقي المعالجة(٤). أما إذا كان أحدهما أو كلاهما رافضاً لها، فلا جدوى من بذل المجهود، وقد يعوق المعالجة أيضاً وجود اتجاهات صماء جامدة وعدم وجود أمل في فض النزاع بين أطرافه، ولذلك لابد من توفر النية والرغبة أو العمل على تكوينها في العملاء، وإلى جانب توفر الإرادة والاستعداد لابد من توفر الوعي والنضوج أو النضج، بحيث يكون هناك تقدير لهذا الجهد كذلك إذا غابت الاستعدادية للتغيير، فإن المعالجة تجد صدا ويتوقف تكيف الفرد على مبلغ نضوجه.

وحتى إذا لم يكن في مقدور المصالحة إنقاذ الزواج من هذا النوع، فإنها تفيد في تعريف الأطراف بالموقف وبذلك تمنع حدوث مضاعفات وتعقيدات قد تحدث في المستقبل ومنع الإنسال أو الإنجاب في حالة تعثر الزواج منذ البداية.

وإذا توفرت الدافعية الكافية والظروف الصحيحة لخلق الثقة في المرشد، فإن المصالحة قد تفيد الأطراف حيث تتاح الفرصة لإشباع الحاجات والرغبات والآمال التي بين طرفي العلاقة وعلى ذلك يلزم التدريب الملائم لقياس (٥) هذه السمات وتلك الدوافع في أطراف العلاقة بصورة موضوعية دقيقة وليست ذاتية أو وفقاً لأهواء المرشد.

وبعد هذا التقديم للحالة يقدم المرشد المساعدة في بعض الموضوعات الخاصة التي تشكل مشكلة بالنسبة للطرفين أو لأحدهما، ومساعدة الأفراد على توضيح الأمور بالنسبة لهم، والحقيقة أن المشاعر والانفعالات والعلاقات الداخلية المتبادلة المتداخلة هي التي يتعين الاعتراف بها وفهمها أكثر من المشاكل الخارجية كالمشاكل الاقتصادية، ومن المشاكل الرئيسية التي ينبغي التصدي لها عدم وجود مسكن مناسب للزوجين، أو عدم وجود النقود اللازمة أو عدم وجود عمل، أو وجود أحد الأقرباء أو الأصدقاء الذين يتدخلون في حياة الزوجين مثل هذه المشاكل يجب أن تناقش وتعالج بأمانة وصراحة.

قد يكفي حل مثل هذه المشاكل البيئية. كذلك من الأهمية بمكان علاج اعتلال الصحة الجسمية والعقلية والنفسية للزوجين أو لأحدهما، ذلك لأن المصالحة لا تجدي في حالة وجود الآلام أو التعب الزائد أو الأرق أو القلق الزائد أو الاكتئاب، هذه الأعراض تظهر نتيجة للصراع الدائر بين أطراف العلاقة وبعد تحقيق الاستبصار الكافي بهذه المشاكل البيئية، قد يلزم الاستعانة ببعض العقاقير لمساعدة الأطراف على التركيز على التوترات الداخلية المتبادلة في العلاقة الزوجية.(٦)

كذلك هناك سلسلة من الصعوبات الأساسية التي قد تنشأ من جراء وجود اختلافات بين الطرفين في الأمور الآتية:

١ ـ الدين.
٢ ـ السلالة أو الجنس.
٣ ـ الطبقة الاجتماعية.
٤ ـ المكانة الاجتماعية.
٥ ـ السمات والخصائص والخصال والعادات الشخصية.

ولا شك أنه إذا لم تتوافر القيم المشتركة، والأهداف المشتركة، والمثل، والمعايير المشتركة، والعادات والتقاليد الاجتماعية، فإن الزواج يفقد واحداً من أدوات اللُّحَمْ القوية في أواصره.

ولذلك كانت فطنة الإسلام وعبقريته في الحرص على تكوين الأسرة السوية، حيث نصح بالزواج من المرأة التي تجتمع فيها فضائل الدين أولاً وقبل كل شيء، ثم المال والجاه، والأصل والنسب، إذ جاء في الهدي النبوي الشريف «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها،

ولدينها، فاظفر بـذات الدين تربت يداك» رواه البخاري.(٧)

تقويم الحالة أو تشخيص المشكلة

لعل من أولى خطوات علاج أي مشكلة طبية أو نفسية أو اجتماعية تشخيصها أي وصفها وتحديد الأسباب والتحليل الديناميكي بقصد التوصل إلى افتراض دقيق عن طبيعة وأساس مشكلة المريض أو العميل، وبقصد التنبؤ ورسم خطة علاجية ومتابعتها وتقويمها.

ويتضمن التشخيص تجميع كل المعلومات المتاحة عن المريض، ثم تحلل وتنظم بغرض فهمها ووضع خطة للحالة تتعلق بمجالات الاضطراب، ومحاولة تغيير أساليب المريض في مواجهة هذه المجالات.(٨)



وفي الغالب ربما تكمن هذه الأسباب فيما يلي:

١ ـ الحرمان الزواجي.

٢ ـ الفروق الاجتماعية

٣ ـ اعتلال الصحة.

٤ ـ سمات شخصية سيئة أو غير سارة لدى الطرف المذنب.

وعلى المرشد أن يعمل على إزالة هذه الأسباب باقتراح مصادر المساعدة الطبية أو الفيزيائية ثم بعد ذلك يركز على جذور عدم الانسجام أو عدم الوئام الزواجي.

ويتطلب حل مثل هذه المشاكل الصبر والمشاركة الوجدانية والقدرة على تخيل الإنسان في موقف الغير من قبل المرشد حتى تؤتي عملية الإرشاد ثمارها المرجوة في حل الأزمة وإعادة الوئام(٩).

والمعروف أن العملاء يستجيبون بطريقة إيجابية للشخص الذي يشعرون أنه يتعاطف معهم ويتفهم موقفهم ويشعر بما يشعرون به ويحس بإحساسهم، ولذلك فإن الاتجاه المملوء بالدفء والود يساعد في تحقيق العلاج.

ومن الجدير بالملاحظة أن يتذكر المرشد أنه في هذا الموقف عليه أن يسمع لا أن يكون «قاضياً»، يصدر أحكاماً بالبراءة أو الإدانة وليس عليه أن يقف موقف الناقد أو يقدم حله الخاص أو الشخصي للأزمة، عليه أن يشارك عاطفياً وأن يتصور نفسه في مكان الغير وأن يشعر الغير بالدفء وحسن الاستماع، عليه أن يتواصل مع العميل، وسوف يتطلب علاج الأزمة إحداث بعض التغيرات، وعلى ذلك سوف يرى العميل أن ما كان يعتقد أنه السبب في المعاناة في الزواج، ليس هو في الحقيقة السبب، وإنما تكمن جذور المشكلة في الصعوبات العاطفية وفي المشاعر، وهي التي يتعين أن نتعرف عليها وندركها ونقدرها حق قدرها ونغيرها ولو بالتدريج، من ذلك ضرورة تغيير اتجاه الرفض الذاتي أو النبذ الذاتي.

وأن يصبح الفرد مستعداً لقبول حب الطرف الآخر ورعايته، كذلك يلزم مساعدة العميل في تحقيق قدر كبير من النمو الانفعالي لكي نقلل من اعتماده على الغير أو تواكله وتحقيق قدر معقول من الاعتماد على الذات.

ذلك لأن هناك زوجات تلقي بثقلها كله على كاهل الرجل وتضع عليه مسؤولياتها هي نفسها فتصبح عالة ثقيلة مغلولة إلى عنقه. وبمرور الزمان وبازدياد اعتماديتها وتواكلها وإلقاء كل أعمالها عليه تنوء قدراته على احتمالها وقد يتخلص منها كلية، فهناك حالات تطلب فيها الزوجة من الرجل بل وتفرض عليه أن يقضي مصالحها الشخصية، وأن يحل لها مشاكلها في العمل ويزودها بالمال اللازم، ويذهب بها إلى الطبيب وينقلها بسيارته إلى أهلها وأصدقائها، وينتظرها حتى تنتهي من تصفيف شعرها عند الحلاق وما إلى ذلك. يؤدي كل ذلك إلى شعور الزوج بالفشل والإحباط والعدوان وأنها حمل ثقيل.

الذكاء وحده لا يكفي

لا يكفي الذكاء وحده لحل مشاكل الفرد، وخاصة مشاكله الانفعالية، فقد يستطيع الفرد أن يستبصر مشاكله، ولكنه يظل عاجزاً عن حل المشاكل الانفعالية، ولابد إذن من توفر المرشد النفسي المدرب أو المعالج النفسي المتحرر من قيود الموقف وضغوطه، والذي يكرس جهده لحل الأزمة.

والإرشاد يوفر فرصة لكي يكتشف العميل قيمه واستعداداته وقدراته وإمكاناته، والمرشد يساعد الفرد على اكتشاف ذاته والتعرف على قيمتها أو وزنها وهو يستقبل عملاءه كأناس يستحقون الحب والتقدير.

دائرة التفاعل

الزواج الناجح يحقق الإشباع، وبالتالي يسمح بمزيد من النمو في قدرات الفرد وميوله واستعداداته وسماته الشخصية، إنها دائرة إيجابية، والانسجام في الزواج يؤدي إلى النمو والتقدم، والتقدم بدوره، يؤدي إلى الوئام في الزواج، وعلى الجانب السلبي نجد أن الزواج التعيس يقود إلى الاضطرابات، والاضطرابات بدورها تؤدي إلى مزيد من التعاسة الزوجية.

إن حياة الإنسان سلسلة مترابطة من السمات والمتغيرات المتفاعلة

المتكاملة، وقد يعمل المرشد أو المعالج مع أحد الزوجين على انفراد، ولكن هناك اتجاه حديث مؤداه أن يعمل أحد الأطراف كمعالج للآخر، ويتأتى ذلك بعد أن يقابلهما المعالج الاثنين معاً ولعدة جلسات، وقد تتم المقابلة وحدهما أو تتم ضمن مجموعة من الأزواج وفي هذه الحالة يساعد الجو الجماعي في إزالة سوء الفهم، وتكوين الرابطة العاطفية. والوضع المثالي أن تتم مقابلة الزوجين معاً، ولكن قد يكون هذا أمراً متعذراً في كثير من الحالات، ففي حالة إحساس الاثنين بأن كليهما مجروح، وهناك من يعتبر طلب المساعدة اعترافاً بالفشل، وفي الغالب ما يلقي كل طرف بمسؤولية التعاسة الزوجية على الطرف الآخر، ولكن حتى إذا أصر أحد الأطراف على عدم البحث عن المساعدة، فإن الطرف الثاني قد يقدم عليها ويقاوم رفض الطرف الآخر.

وللعلاج الأسري حساسية خاصة، ذلك لأنه إذا نجح في إحداث تغيير ما في السلوك لطرف من الأطراف فإن ذلك قد يؤدي إلى انهيار حالة التوازن التي كانت قائمة بين الطرفين، وقد يؤدي ذلك إلى الإسراع في الانهيار الزواجي بدلاً من إصلاحه.

وعلى ذلك فإن العلاج الزواجي ينبغي أن يقدم معالجة كلية شمولية إجمالية، بمعنى أن تكون معالجة أو مساعدة اجتماعية وطبية ونفسية وزواجية وعقلية وشخصية، بحيث تحقق التكامل.

وفي المملكة البريطانية يمكن الحصول على المساعدات الأسرية أو العلاج الإرشادي والزواجي من المؤسسات الآتية:

١ ـ ضباط المراقبة وقد يقدم الأزواج إليها بإرادتهم الحرة، أو تحويلهم عن طريق المحاكم.

٢ ـ المجلس القومي للتوجيه الزواجي وله أكثر من (١٢٠) فرعاً للإرشاد ويعمل به أكثر من ألف مرشد متطوع.

٣ ـ المجلس الكاثوليكي لنصائح الزواج وله أكثر من (٧٠) مركزاً يعمل بها أكثر من (٥٠٠) مرشد إلى جانب مكتب المناقشات الأسرية، والذي أقيم منذ العام ١٩٤٨م وهو الآن جزء من معهد «نافوستك» للعلاقات الإنسانية، ويحقق ثلاثة أهداف هي:

أ ـ توفير المساعدات والخدمات لمن يطلبها في مسائل ومشاكل الزواج.

ب ـ ابتكار وسائل مناسبة لتقديم مثل هذه الخدمات وتدريب من يقومون بعلاج الحالات ودراستها.

ج ـ دراسة مشاكل الزواج في العلاقات المتبادلة الداخلية والعلاقات الشخصية.

ولقد أصدر هذا المكتب فعلاً كتاباً حول «العمل الاجتماعي» للحالات في مشاكل الزواج، كما أصدر كتاباً حول الزواج «دراسة في الصراع الانفعالي والنمو»، وهناك وحدة للزواج ، ولقد ساعدت هذه البحوث في الكشف عن الكثير من أمراض الزواج.(١٠)

وكذلك تجد الأسرة العون من خلال الخدمات السيكاترية في وزارة الصحة، حيث تقدم العون لإتمام الوئام الزواجي، ويلاحظ أن المرضى العقليون في الغالب يعانون من المشكلات الأسرية ويساهم في العلاج الاختصاصيون الاجتماعيون السيكاترون، وتهتم هذه الخدمات بالآباء والأمهات والأطفال أيضاً، وبإعادة تكيف الأطفال، ولكن ينبغي عزل المؤسسات التي تقدم خدماتها للأسرة، وتوفير التدريب اللازم للاختصاصي النفسي القادر على معالجة مشاكل الأسرة في مجتمعنا العربي وخصوصاً في ضوء حركات التصنيع والهجرة وانتشار التعليم واشتغال المرأة وغير ذلك من المتغيرات والمستجدات الواردة، ويلزم توجيه البحوث الميدانية إلى مجالات الأسرة لدراسة مشاكلها وعوامل تصدعها، ومن ذلك أن الزواج يتعرض للخطر في السنوات الخمس الأولى من حياته، ولقد وجد أن الطلاق يرتبط بعوامل مثل سن الشباب، والحمل السابق على الزواج، والحمل المبكر حتى بعد الزواج، والزواج المتسرع.

ويتعين أن تقوم الدراسات الميدانية النفسية والاجتماعية والطبية والتعليمية، كما ارتبط ـ في الولايات المتحدة الأمريكية ـ الطلاق بحالات الزواج التي لا تتم في داخل الكنيسة.

وبانخفاض المستوى الاجتماعي والاقتصادي، ولكن هذه النتائج لم تجد تأييداً لها في انكلترا.

كذلك هناك حاجة لدراسة معدلات وحالات الزواج المثالي، وبنوع خاص يلزم دراسة تأثير الطلاق على الأطفال، وبخاصة هناك حاجة لعقد مقارنة بين أطفال الطلاق والتأثير التدميري عليهم، وأطفال غير المطلقين ولكنهم يعيشون في مناخ منزلي مضطرب.(١١) ■

الهوامش

(١١) ينطوي العلاج الأسري على القيام بمعالجة الأسرة كمجموع، أو الأعضاء الرئيسية فيها، وبدلاً من التركيز على علاج المريض كفرد ويعزل عن وضعه العائلي، ومن أهداف العلاج الأسري البحث عن الطرق المؤدية لتحقيق التعايش بين جميع أفراد الأسرة بحيث تحقق أفضل صور التفاعل الإيجابي.

(٢) التوجيه النفسي عملية واعية ومستمرة بناءة ومخططة، تهدف إلى مساعدة وتشجيع الفرد لكي يعرف نفسه ويفهم ذاته ويدرس شخصيته، ويحدد مشكلاته وحاجاته، ويعرف الفرص المتاحة له، وأن يستخدم وينمي إمكاناته بذكاء إلى أقصى حد مستطاع، وأن يحدد اختياراته ويتخذ قراراته ويحل مشكلاته في ضوء معرفته ورغبته بنفسه.

(٣) تمثل هذه الشروط أخلاقيات العلاج النفسي والتي تتضمن سرية المعلومات وهذا أمر مهم يؤكده المعالج للعميل حتى يتحدث العميل بحرية وثقة في جو آمن خاص به حين تكتب المعلومات وتحفظ في سجلات، وحينما تكون بعض المعلومات مثيرة لمتاعب قانونية أو اجتماعية، ولذلك يجب أن تكون الكتابة في معظمها رمزية.

(٤) يقصد بالعلاج استخدام الخطوات العملية في شفاء المريض من علة أو خلل يعانيه، ويستهدف العلاج الشفاء أو التخفيف من وطأة الاضطرابات التي يعاني منها العليل واعادة تكيفه.

(٥) القياس في علم النفس كناية عن الطرق الكمية المستخدمة في الاختبارات والتجارب السيكولوجية وتشمل قياس الذكاء مثلاً، أو الاضطرابات النفسية أو العقلية وسمات الشخصية.... إلخ.

(6) Dominian, I (1968) Marital Breakdown, england. apelican original.p. 141.

(٧) وهبي سليمان غاوجي (١٩٧٥) المرأة المسلمة، ط١ بيروت، لبنان، دار القلم، ص ١١٠.

(٨) فرج عبدالقادر طه وآخرون، (ب ت) معجم علم النفس والتحليل النفسي، ط١، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، ص ١١٩.

(٩) المرجع السابق .Dominian, J.,p 142

(١٠) المرجع السابق. Dominian, J.,p 146

(١١) عبدالرحمن العيسوي، الإسلام والعلاج النفسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥م.

اخلاق

اتخاذ اللباس وستر العورات.. فضيلة إنسانية ودينية

بقلم د. حسن عبد الغني ابو غدة

الإسلام نبع دافق بكل فضيلة ومكرمة، وان ماتضمنه من قيم رفيعة وعادات حسنة وسلوك قويم، انما مبعثه الى ذلك المعين الفياض الذي انزله الله تعالى على انبيائه، من اجل سعادة البشر وكرامتهم.

ومما اشتمل عليه الاسلام- شأنه في ذلك شأن الديانات السماوية الاخرى - اتخاذ اللباس وستر العورة ،وهو موضوع يرتبط ارتباطا وثيقاً بوجود الجنس البشري.

اتخاذ اللباس مؤشر فطري:

منذ ان خلق الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام، واسكنهما الجنة وجه الخطاب الى آدم- لكونه القائم على الاسرة- فقال له:﴿إن لك ألا تجوع فيها ولاتعرى﴾[طه/١١٨] ولما وسوس إبليس لهما، وخالفا وصية الله وأكلا من الشجرة انكشفت سوآتهما وانزاحت عنهما ثيابهما، فجعلا يضعان عليهما من ورق الشجر، طلباً للستر، واستمساكا بالفطرة الحيية المتأصلة فيهما، قال تعالى:﴿فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾[الاعراف/٢٢]. وهكذا يتضح ان انكشاف العورة امر مذموم في الفطرة البشرية السوية، ومرفوض في الطبع السليم، ومن هنا قالوا: العورة لغة: مأخوذة من العَوَر، وهو النقص المستقبح وسميت بذلك، لاستقباح ظهورها في الطبع والذوق(١) اما في الشرع: فالعورة كل ماحرم الله تعالى كشفه من جسم الإنسان، امام من لايحل له رؤيته.

العري تهديم للفضيلة وعودة الى الجاهلية:

حارب الإسلام عادة التعري امام الآخرين، التي كانت منتشرة في مجتمع الجاهلية، وبين مافيها من مفاسد اخلاقية واجتماعية، فضلا عن خرقها للذوق السليم، وخروجها على الفضيلة والمروءة، وان الحالة التي كانت عليها الجاهلية من التهاون في اتخاذ اللباس وستر الجسم، لاتختلف كثيرا عما هو من مشاهد اليوم في حياة كثير من الأمم والشعوب، الذين يزعمون بلوغهم شأوا بعيداً في سلم الرقي والمدنية، فتلك نوادي العراة في بلاد أوروبا وامريكا وغيرها شاهد حي على مانقول، وهذه ملابس النساء والرجال على شواطىء البحار، وفي الاسواق والطرقات والسهرات والحفلات، تكشف عما توجب ستره الشرائع والديانات والفطرة الإنسانية.

ومأشبه هذه الوقائع والأحوال بما كانت عليه عادات الجاهلية، حين كان رجال من العرب يتعرى بعضهم امام بعض، حين الاغتسال وقضاء الحاجة، ولايتحرجون من النظر الى عورات بعضهم، لان فكرة الاحتشام والحياء سلخت من قاموسهم الاجتماعي، ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم:« والحياء شعبة من الايمان» متفق عليه.

بل تروي كتب التفسير والسيرة والتاريخ ان جماعات من الرجال والنساء كانوا يؤدون مناسكهم حول الكعبة وهم عراة، لانهم لايحبون ان يعبدوا الله تعالى في ثيابهم التي عصوه فيها بحسب زعمهم. كما كانت النساء تلبس في الطرقات والاسواق ملابس غير محتشمة، تبدو منها الصدور والاذرع وغيرها، كما هو منتشر في كثير من البلاد التي يقال انها بلغت مرحلة النضج الانساني وحضارة القرن العشرين..!! وفي نحو هذا نزل قوله تعالى:﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن﴾[النور/٣١].

ستر العورة قيمة دينية وفضيلة خلقية وأمان اجتماعي:

أولى الاسلام موضوع اللباس وستر العورة اهتمامه البالغ، وعنايته المؤكدة، وعد ذلك من أوليات التعاليم الدينية الدالة على الرقي في الذوق الاجتماعي المتوافق مع الفطرة الانسانية ومكارم الاخلاق قال الله تعالى:﴿يابني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا﴾[الاعراف/٢٦].

والملفت للنظر في هذه الآية مخاطبة القرآن للناس بلفظ الآدمية، التي تميزهم عن الحيوانات من حيث ستر الاجسام واتخاذ الملابس والتزين بها.

وقد شددت السنة النبوية على اتخاذ اللباس، ونهت عن كشف العورات، او النظر اليها، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:«لاينظر الرجل الى عورة الرجل، ولاتنظر المرأة إلى عورة المرأة»رواه مسلم.

كما حث الاسلام على ستر الجسم وعدم كشف العورة منه في محيط الاسرة امام الاخوة والابناء ونحوهم، ممن قد يتساهل معهم في هذا الشأن، روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قلت :يارسول الله، عوارتنا، مانأتي منها ومانذر؟قال:«احفظ عورتك إلا من زوجتك» قال بهز:قلت الرجل يكون خالياً؟اي منفرداً وحده- قال: «الله احق ان يستحيا منه» رواه ابن ماجه.

و في حرص الاسلام على ستر العورة واتخاذ الملابس دعوة للناس الى التمسك بخلق الحياء، وهو قيمة انسانية واجتماعية تدل على

سلامـة المزاج ووفرة المروءة، وتقـدير النـاس ورعايـة مشاعـرهم واكرامهم بـالظهور امامهم في صـورة حسنـة، وهيئة كريمة تغـاير ظهور المخلوقات الاخرى مكشوفة بعضها امام بعض، فضلا عما في هذا الحرص الاسـلامي، من حماية لـلاخلاق وصيـانة لـلاعراض وكف للمفاسد والشهوات المذمومة، ومنع للجرائم والآثام، فعن عبد الله بن مسعـود رضي الله عنه قال: قال النبي صلى اللـه عليه وسلم :«الإثم حواز القلوب – اي يصارع القلوب ويغلبها– ومامن نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع» رواه الطبراني.

النظرة سهم مسموم.. وفي تركها نجاح وفلاح:

لقد بشر الـرسول صلى اللـه عليه وسلم الـذين يغضون ابصـارهم ويحفظـونها عما لايحل لهم، بأجـزل الثواب واطيب العطـاء واكـرم التعويض.

ان غض البصر تكليف يشمل الجنسين: الرجل والمرأة على حد سواء لان طهـارة القلـب هي الغـايـة مـن غض البصر، وهي لاتختلف في الـرجـال والنسـاء، يقول اللـه تعـالى:﴿ قل للمـؤمنين يغضـوا من ابصـارهم﴾[النور٣٠] ثم يقول بعيـد ذلك مباشرة ﴿وقل للمؤمنات يغضضـن من ابصـارهن﴾[النور/٣١]. وقـد حددت الآيات الهدف من وراء ذلك بانـه تحقيق مزيـد من طهارة النفوس وصفـاء القلوب وصيـانـة الاعـراض ﴿ذلك أزكى لهم إن اللـه خبير بما يصنعون﴾[النور/ ٣٠].

ويتحقق غض البصر بصرفه عن النظر الى الممنـوع المحرم، وتوجيه القلب الى مـراقبة اللـه تعالى واستحضـار عظمته، واشغـال النفس والذهن بغير المنظور اليه مما يعود على المرء بالنفع والخير والصلاح والصفاء.

حدود مالايحل النظر اليه:

تكلم العلماء في تحديـد العـورة ومايحرم النظـر اليـه فـذكروا: انـه لاينبغي للـرجل ان يكشف مابين السرة والـركبة امام مـن لايحل له النظـر اليـه(٣). وكذا لايجوز للمـرأة ان تكشف عن جسمهـا امـام الـرجـال من غير المحـارم. واتفقوا على وجـوب ستر المرأة، وجهها مخافة الشهوة والفتنة(٤).

اما بالنسبة الى نظر الرجل الى محارمـه كأمه وأخته وابنته، فيحل له النظر إلى الاعضاء والمواطن التي تظهرها المرأة عادة حين الخدمة في البيت وتدبير شـؤون المنزل، من مثل الرأس وأعلى الصـدر واليدين واسفل الـركبتين(٥) وينبغي صرف النظـر عما سـوى ذلك تـوقيراً للمحارم وصيانة لحدود الله.

هذا ومن المقـرر في الاسلام حرمة النظـر الى المرأة المستورة بثيابها الشرعية، اذا كان الباعث على هـذا النظر التشهي والتلذذ، وذلك منعاً للفساد وصيانة للحرمـات ودرءاً للشهوات والفتن، ورعاية لحق الله تعـالى(٦). والأصل في مجمل ماتقـدم حـديث ابن عباس رضي اللـه عنهما الذي يقـول فيه: ان الفضل بن عباس رضي اللـه عنهما– كان رديف النبي صلى اللـه عليـه وسلم – أي راكبـاً خلفـه على الـدابـة فجاءتـه امرأة من خثعـم تستفتيه، فجعل ينظـر اليها وتنظـر اليه، وجعل النبي صلى اللـه عليـه وسلم يصرف وجـه الفضل الى الشق الآخـر– أي الطـرف الـذي ليس فيـه وجـه المرأة– فقـال العبـاس: يارسول الله لم لويت عنق ابن عمك؟قـال:« رأيت شاباً وشابة، فلم آمن الشيطان عليهما» رواه الشيخان واحمد.

عورة الاطفال الصغار:

للعلماء اقوال متعـددة في عورة الصغار ومايحل ومـالا يحل النظر اليه منهم، ومجمل كلام بعض الفقهـاء: انه لاينبغي النظر الى القبل والدبر في الصغير والصغيرة قبل سن التمييز، وذلك مراعاة للحرمة والكرامة الانسـانية، اما غير هذين المكانين فيتسـامح في النظر اليه الا اذا كـان جسم الصغير او الصغيرة يثير الانتبـاه، لامتـلائه وحسنه، فيمنع من النظـر(٧) ويروى في هذا ان محمـد بن عياض رضي اللـه عنه قـال: «رفعت الى رسول اللـه صلى الله عليـه وسلم، وعلي خرقة، وانـا طفل صغير، قد كشفت عورتي فقـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: غطوا عورته فإن حرمة عورة الصغير كحرمة عورة الكبير» رواه الحاكم.

وقـد استثنى العلماء الأم ومن في حكمهـا ممن يقوم على حضـانـة الطفل ورعـايتـه من منع النظـر الى قبلـه ودبـره وذلك لضرورة التنظيف والإشراف على شؤون الطفل(٨).

توجيه الابناء الى ستر العورة:

من اعظم امنيات المسلم ان يهبـه الله ذرية تقر بها عينـه، مصداقا لقول الله تعالي: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين﴾[الفرقان/ ٧٤]. ومن اسباب الـرضا عن الذرية تمسكها بتعاليم الـدين واحكام الاسلام ومـن هنا فإن من مسؤوليـة الاباء والامهـات ان يـوجهوا ابنـاءهم من البنين والبنـات مع بـوادر سن التمييز عندهم الى الالتزام بـالستر والحشمة وستر العوارت، وعدم اظهارها امام الآخرين، وذلـك تعويداً لهم على آداب الإسلام، وحثا لهم على مكـارم الاخلاق، وصيـانة لهم عن التكشف، بقـول النبي صلى الله عليه وسلم:«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في اهلـه ومسـؤول في رعيتـه، والمرأة راعيـة في بيـت زوجهـا ومسئولة عن رعيتها..» متفق عليه.

وهكذا يتضح ممـا سبق مدى انسجام تعاليم الإسـلام مع الفطرة البشرية والسلوك القويم في موضوع اتخاذ اللباس وستر العوارت، كما يتضح حرص الإسلام على نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة، من خلال حثه الافراد كباراً وصغـارا على مكارم الاخلاق ودعوتهم الى الالتزام بـاللباس المحتشم، الـذي ميز اللـه تعالى بـه الإنسان عن المخلوقات الاخرى. ■

الهوامش

١– انظر مادة «عور» في القاموس المحيط والمعجم الوسيط

٢– المغني لابن قدامة ٢/ ٢٨٤

٣– المرجع السابق٢/ ٣٢٨ وأسنى المطالب ٣/ ١٠٩.

٤– انظر تفسير اضواء البيان للشنقيطي٦/ ١٩٥.

٥–انظر تفسير التحرير لابن عاشور١٨/ ٢٠٧

٦– انظر تفسير القـرطبي ١٢/ ٢٢٧ وأسنى المطالب لـلانصاري ٣/ ١١٠

٧–انظر أسنى المطالب ٣/ ١١٠

أبناؤنا...... والإعلان التلفازي

أخـلاق

التلفاز... ذلك الجهاز الساحر الذي لا يخلو منه بيت الآن، والذي حمل العالم إلينا وفي غرف نومنا، متهم باتهامات شديدة الخطورة. ومما يزيد من تلك الخطورة أنه ليس زائراً يطرق الباب فنغلقه في وجهه، بل هو وافد مقتحم لا ينتظر إذناً بالدخول لأنه في الداخل بالفعل، وما يحتاج ظهوره إلا مجرد ضغطة من يد طفل ليظهر بكل إبهاره الذي يغشى العين. وبصورة عامة فإن مشاهد التلفاز مشاهد سلبي، بعد أن وفرت له الشاشة الصغيرة كل شيء، فالصورة متكاملة من حيث الديكور والاكسسوار والموسيقى والألوان، وكلها لا تترك المجال لإعمال الخيال كما يفعل الكتاب أو الإذاعة مثلاً.

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للمشاهد العادي، فما البال بالنسبة للطفل؟

بقلم: فاروق حسان السيد

ومما لا شك فيه أن اجتماع الأسرة حول ذلك الجهاز يقيم حوائط خرسانية بين أفرادها، فكل في جزيرة معزولة عن الآخر، مما يساهم في تراخي الوشائج الأسرية من ناحية ويؤدي من ناحية أخرى إلى تفاقم المشكلات المنزلية والدراسية التي لا تجد الأسرة وقتاً للاجتماع لمناقشتها والبحث لها عن حل.

ومن المعروف أن البث التلفازي لا يشتمل على التمثيلية والأغنية والموسيقى فقط، وإنما يشمل ـ الإعلان أيضاً ـ ذلك الخطر الداهم الذي يهدد أبناءنا، أحباءنا، أطفال اليوم ورجالات الأمة في قابل الأيام، والذي يعصف بكل ما يمكن أن نغرسه فيهم من قيم روحية وخلقية.

وتكمن ضراوة ذلك الخطر في مشروعيته، فهو لا يراوغ ولا يتخفى، كما أنه لا يتسلل في الظلمة عبر الشوارع والدروب، وإنما يتمطى في بيوتنا، ضارباً بإبهاره أبناءنا وخاصة الأطفال منهم.

والإعلان بعامة وسيلة مشروعة للتعريف بسلعة ما موجودة في الأسواق، وهو وسيلة حديثة شملت الصحف والإذاعة والتلفاز والميادين والشوارع، وهو أيضاً حق للمعلن شريطة أن يلتزم بكل الصدق بما يلي:

١ ـ المواصفات الحقيقية للسلعة.

الإعلان وسيلة مشروعة للتعريف بسلعة ما موجودة في الأسواق، وهو وسيلة حديثة شملت الصحف والإذاعة والتلفاز والميادين والشوارع

٢ ـ ما تمتاز به السلعة عن مثيلاتها في السوق.

٣ ـ سعر السلعة.

ولا يغيب عنا التأكيد بأن التطور الذي شمل الإعلان التلفازي وبشكل غير مسبوق، حيث تحشد له كل الإمكانات من مرشحات الصورة والخدع الإلكترونية والموسيقى والأغنية الخفيفة، ويتم ذلك كله في إطار من الألوان المبهرة التي تأخذ العين بجمالها.

وقيمة الإعلان التلفازي معروفة:

فبالنسبة للمعلن، فإن مردود الإعلان يتمثل في زيادة المبيعات، وبقدر ما يعلن ويدق على رأس المشاهد بقدر ما تروج السلعة ويتدفق العائد المادي.

أما بالنسبة لمحطة التلفاز، فإن الإعلان يمثل مصدراً مالياً لا يستهان به، إلى حد أنه توجد في أوروبا وأمريكا محطات متخصصة في إذاعة الإعلانات فقط.

الإعلان إذن ضروري للطرفين... لكن... ماذا عن الطفل الذي يجذبه الإعلان التلفازي؟؟؟، وماذا عن تأثيره عليه؟؟؟

وكما سلفت الإشارة، فإن كل الإمكانات الفنية والتكنولوجية تحشد للإعلان حتى يجذب العين، ومن ثم فإن أطفالنا ـ وبخاصة الذين لم يصلوا إلى سن المدرسة ـ يقعون في دائرة الانجذاب إليه.

وربما تسعد الأم لأن طفلها أو أطفالها جالسون بلا حراك أمام الجهازالسحري، الأمر الذي يعطيها الفرصة لأداء واجباتها المنزلية، لكن الحقيقة تقول إن سعادتها لا أساس لها، لأن ما يغرس في ذهن طفلها ـ أو أطفالها ـ في تلك اللحظات أكبر وأعمق من أدائها لتلك الواجبات.

ولن نتحدث في هذا المقام عن تأثير التلفاز على عيون الأطفال، وعن المسافة التي ينبغي أن يكون عليها الطفل بالنسبة للشاشة الصغيرة، وعن المدة



التي يجب أن يقضيها الطفل أمام الصندوق السحري وكلها أمور غاية في الأهمية، لكن حديثنا سوف ينصب فقط على تأثير الإعلان على الأطفال.
ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن للطفل نصيبه الأكبر في الإعلان التلفازي وبخاصة بالنسبة للحلوى بأنواعها والملابس والدراجات واللعب.
ولا يقتصر الأمر على تلك السلع فقط، بل يتعداه إلى المسابقات التي لا تخلو منها سلعة والتي تتمثل في ورقة مرقومة داخل السلعة، أو جمع عدد معين من الأغلفة وإرسالها للمعلن، أو تكوين ألبوم من الصور الصغيرة داخل السلعة، وجميعها لها جوائز ذهبية أو مالية، وجميعها أيضاً لا تخضع لأية رقابة.
ويشاهد الطفل ذلك كله...
وتترسخ داخله غريزة الاستهلاك..
كما تترسخ داخله غريزة الربح السهل السريع، فبمجرد عثوره على قصاصة داخل السلعة تحمل رقماً معيناً تتيح له الفرصة للحصول على الذهب أو المال.
وهما غريزتان في غاية الخطورة، فالأب مطالب على الدوام بتحقيق رغبات طفله، وفي حالة الرفض يتعامل الطفل مع سلاحه السري... البكاء، فإذا ما كانت ظروف الأب المادية لا تسمح بشراء كل ما يعلن عنه فإن الطامة الكبرى تقع على رأس الطفل الذي يمور داخله الصراع بين الرغبات والقيود المفروضة وتتشكل داخله عقدة الحرمان.
ويكبر الطفل ويصل إلى مرحلة الشباب، وقد تمخضت داخله تلك العقدة، ويحاول تعويض فترة الحرمان بالشراء المحموم لكل ما تقع عليه عيناه، فإذا لم تسعفه ظروفه المادية، يضطر إلى سلوك

للطفل نصيبه الأكبر في الإعلان التلفازي وبخاصة بالنسبة للحلوى بأنواعها والملابس والدراجات واللعب

الدروب الملتوية والمسالك المظلمة للحصول على المال، لا يأبه بالوسيلة، لأن الغاية هي أمله ومبتغاه، وهكذا تكسب الأمة فرداً منحرفاً كان في الإمكان تقويمه لو تنبه الوالدان للأمر من بدايته.
أما إذا كان الأب ميسور الحال ولبى جميع مطالب طفله، فإن الطفل ينشأ مدللاً رقيقاً هشاً، يتملكه الإحساس بأن كل شيء من حقه، ولا حقوق للآخرين عنده، ولأنه اعتمد على غيره في تلبية حاجاته لذا نراه غير قادر على تحمل المسؤولية متهرباً منها، فإذا ما تزوج كان بيته عرضة للانهيار السريع نتيجة لفرديته وأنانيته وإيثاره لنفسه.
وهكذا نلمس تأثير الإعلان التلفازي على الطفلين: من لم تجب مطالبه ومن أجيبت مطالبه كاملة وهو تأثير نفسي لا تبدو ملامحه في الطفولة، لكن تأثيره المدمر يبدو واضحاً عند سن النضج، الأمر الذي لا يمكن تداركه إلا بعلاج نفسي طويل وشاق.
ولا يفوتنا أن ننوه بأن الإعلان التلفازي يتعامل مع الأغنية الخفيفة البسيطة

سريعة الحفظ والتي تروج للسلعة، والغريب أن تلك الأغاني التي تحمل مضموناً تجارياً تنقش في ذاكرة الطفل بسرعة لكثرة إذاعتها، فنراه يرددها وغالباً دون أن يدرك معناها، في الوقت الذي نراه فيه غير قادر على حفظ سورة قصيرة من القرآن الكريم أو نشيد ديني أو وطني بسيط.

وترديد الطفل لتلك الأغاني المفرغة من أي مضمون يغرس داخله الرغبة في الحصول على السلعة التي يتغنى بها حتى ولو لم تكن مناسبة لعمره، فضلاً عن استساغته المستقبلية لكل ما هو سطحي وأجوف، ورفضه لكل ما هو عميق وجاد من عيون الشعر والأدب.

تلك هي خطورة الإعلان التلفازي...

فكيف يمكن إعادة التوازن إلى المعادلة الصعبة: مصلحة المعلن ومصلحة التلفاز، وأيضاً مصلحة أطفالنا؟

الإجابة نقول إن محاصرة الحلقة المهمة في المعادلة وهي «الطفل» قد تعيدالتوازن إلى تلك المعادلة... كيف؟

من البدهي أن البيت هو المدرسة الأولى للطفل، فيه يتعلم آداب السلوك وقيم الحياة ومبادىء الدين، وكلما بنى البيت على تقوى من الله، كان أكثر سعادة واستقراراً.

والبيت المسلم الذي يتمسك بآداب القرآن الكريم ويحافظ على أداء الشعائر، يعمره الإيمان والسكينة وتعمره الملائكة، فإذا ما ربي الطفل على مبادىء الإسلام المتمثلة في التوحيد والصدق والفضيلة والقناعة، نشأ الطفل سليماً صحيحاً، ولا يغيب عنا أن نذكر أن مشاعر الدفء والحنان التي يجب أن يحاط بها الطفل تساهم بصورة كبيرة في نضجه النفسي وتوازنه.

والوالدان مسؤولان عن تلك التربية، لا نقول الأب وحده ولا الأم وحدها بل كلاهما معاً مسؤولان، ومن المعروف أن اليتم لا يكون بوفاة الأب أو الأم أو كليهما إنما اليتم الحقيقي هو وجود هما أو وجود أحدهما لكن بلا دور أو فاعلية بالنسبة للطفل.

ونذكر في هذا المقام حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: «ان الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيع» رواه النسائي، وحديثه صلوات الله وسلامه عليه: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت» رواه أحمد



تلك هي البداية إذن..

تربية صحيحة دينية ونفسية...

وغرس قيم الصدق والفضيلة...

والتأكيد أن قيمة القناعة والرضا تكون بما قسمه الله...

بذلك نضع الأساس لتحصين أطفالنا ضد الإعلان التلفازي الذي يكرس غريزة الاستهلاك والامتلاك... وبالتوازي.. فإن تنفيذ مجمل الخطوات التالية يساهم بصورة جيدة في تعزيز ذلك التحصين:

١ ــ تحديد وقت معين يشاهد فيه الطفل البرامج الدينية والرياضية وبرامج الأطفال والدراما الهادفة.

٢ ــ عدم ترك الطفل منفرداً أمام ذلك الجهاز، فالطفل يكره الوحدة وسيجد التسلية في المشاهدة. وعلى الأم ألا تتيح له ذلك وعليها أن تملأ فترات فراغه بالحديث معه عن دراسته وكتبه وهواياته.

البيت هو المدرسة الأولى للطفل، فيه يتعلم آداب السلوك وقيم الحياة ومبادىء الدين

٣ ــ تشجيع الطفل على قراءة مجلات الأطفال العربية وليست المترجمة، كذلك اللعب التي تنمي الذكاء.

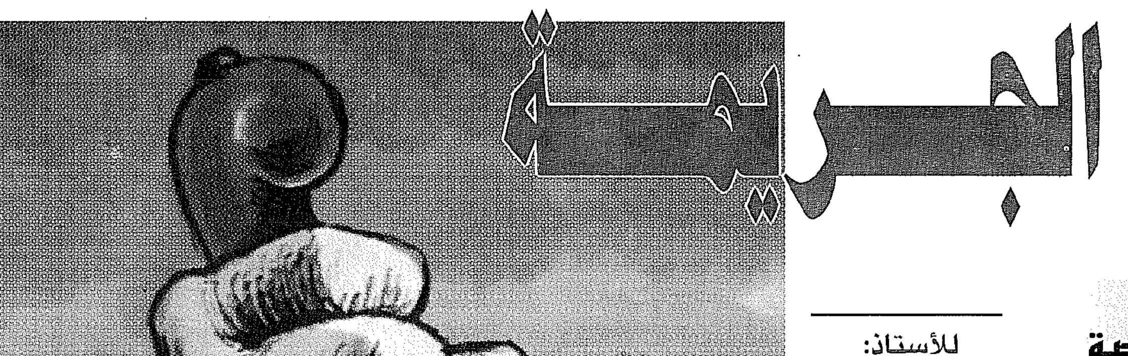
٤ ـ لا ينبغي أن تشكل مشاهدة التلفاز أو عدم مشاهدته ثواباً أو عقاباً بالنسبة للطفل، حتى لا نغرس داخله وهما بأن المشاهدة تمثل جائزة بالنسبة له، وحتى لا نضفي قيمة غير حقيقية على تلك المشاهدة.

٥ ـ على الجهات المختصة عدم التصريح بإذاعة الإعلانات التلفازية التي لا تتناسب وظروف المجتمع.

٦ ــ يجب الحد من الإعلانات قبل فترة السهرة التي تبدأ من العاشرة مساء والتي يكون فيها الطفل غارقاً في النوم.

بذلك... يمكن أن نضع حداً للغزو الإعلاني الموجه لأطفالنا، ذلك الغزو الذي لا نملك إيقافه أو حتى تحجيمه، فعندما يتعلق الأمر بالجوانب المادية تكون الغلبة للمادة ، شريان الحياة في عصرنا.

ولأن المد جارف وأطرافه مستفيدة، فإن علينا أن نقف جميعاً سداً في وجهه، سلاحنا قيم القرآن الكريم، محافظين على أطفالنا لأنهم امتداد لنا ولمستقبلنا، والذين سنُسأل عنهم في يوم قريب أو بعيد: حفظنا أم ضيعنا، والويل كل الويل لمن ضيع... وسلام على من حفظ النسل ولم يضيعه . ■



الجريمة

قصة

للأستاذ:
محمد طه بصل

افترشت الأرض الباردة أمام إحدى التكنات الخشبية داخل مأوى اللاجئين الذين أعدته فرق الإغاثة وجلست بملابسها الرثة الخفيفة تسلم ثديها لرضيعها، بينما هي شاردة تحملق في الأفق الممتد أمامها، لكنها لا تهتم بأمر الفتاة التي تلوح من بعيد منهمكة في جمع أعواد النباتات اليابسة، ترفع قامتها بين الحين والآخر، ترجع البصر إلى الطريق علها تلمح مدد القوت والغطاء ولا تكاد تشعر بالحاج «جراهام» المستلقي يعاني آلام الاحتضار في أقصى المأوى فوق الأرض المسورة بالحبال المشدودة إلى الأوتاد الخشبية، حيث اعتاد أن يرفع الأذان فتأتيه الأطفال والصبية والنساء يصطفون خلفه للصلاة، لا يزال صوته الهادئ وهو يقرأ: (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)، يرن في أذنيها فتتصبر وتهدأ نفساً وتدمع عيناها دموع رهبة واستسلام فتتساقط متوالية على صدرها فيرتشفها فمه الصغير حارة مالحة، وعندما يجد أنه قد ضل مطلبه وأن عضة الجوع آخذة بجوفه يعلن باحتجاجه باكياً فتنتبه لوجوده فتقف مذعورة كأنما لدغتها حية لتوها فتتدحرج لفافته ويسقط مرتطماً بالأرض، ويندفع في بكاء متتابع طويل، يحتقن له وجهه ملوحاً بكفيه الصغيرتين في الهواء، بينما لا تزال مأخوذة عنه وقد تجمدت ملامحها تماماً، تذكرت الجنود يقتادونها إلى المسجد هي ونساء وفتيات القرية، وفوهات البنادق مصوبة، إلى رؤوسهن وصرخات الجنود يحذرون التي تحاول الفرار أو تتراخى في سيرها ، دوي الطلقات يصم الآذان.... جثث الآباء والإخوة والأزواج تملأ الشوارع والباحات ، رائحة الدماء والدخان تختلط برائحة الأتربة المتصاعدة من حركة الأقدام، كل ذلك يدفع الجميع في طابور طويل تتجندل فيه من آن لآخر تعوي بجراحها وتتخبط في دمائها من تحاول الهرب أو حتى تتلفت حولها وسط الضحكات الحيوانية الساخرة والصيحات الشيطانية المنتشية.

لقد دكت القرية بكاملها واستوت الدور بأرض الحقول المجدبة منذ بداية العدوان «الصربي» عليها.... قتلوا «خديجة» الجارة الطيبة التي كانت تحب كل أهل القرية، حتى الكثير من الصربيات كن يحببنها ويتعلمن منها.

غابت القرية عن الوجود كما غابت كل القرى التابعة لبلدية «آرفورنك»، الآن لا يراها ولا يستطيع الاستدلال عليها قادم، لن تجد لها قوافل الإغاثة أثراً، حتى المسجد.... وهنا تلاحقت أنفاسها وانهالت عليها المشاهد سريعة متتابعة كصواعق البرق في ليلة عاصفة، ووقفت تحرك يديها تدفع بهما شيئاً عن نفسها، ثم ترجع إلى الوراء وترفع كفيها تغطي بهما وجهها، ثم تضم جيب قميصها تحكمه بكلتا يديها إلى صدرها وتردد كلمات غير مفهومة، ثم تعود تتذكر... جدران المسجد كانت نظيفة وفراشه معطر طاهر... وحراب البنادق تمزق الثياب وتعبث بالأجساد نصال مسمومة، أسابيع وشهور طويلة ولم يكن هناك من سبيل للخلاص.

وهنا ارتفع صراخ الفتاة تنادي وهي تعدو هلعة متعثرة ناحية المأوى.... الصرب!! الصرب!!

انقطع سبيل المشاهد عن التتابع في ذاكرتها ووجدت نفسها تصرخ مثلها وهي تحاول أن تبصر مهرباً تلوذ به، اتجهت ناحية باب التكنة بخطوات يائسة واهنة ، فتعثرت في اللفافة الملقاة على الأرض فسقطت بجوارها، التفتت خلفها فتنبهت إلى سكونه وصمته ورأت غبار الأتربة المتصاعدة في الأفق مع طلائع الشاحنات وفوهات الدبابات، وامتزجت جلبة المحركات الصاخبة بقهقهات الجنود وصراخ الجميع وهم يهرعون في كل اتجاه. ■

قانون الحسبة وردود الفعل عليه

شريعة

أجمع الفقهاء على مشروعية الحسبة لأن عدم مشروعيتها يؤدي إلى إشاعة الفاحشة في الأمة وعلى ولي الأمر تنظيمها بما يتناسب ومصلحة المجتمع كثرت ـ هذه الأيام بين رجالات المجتمع التهديدات برفع بعض القضايا والدعاوى على الشاطحين في الفكر والعقيدة بهدف تحجيم الكثير منهم سواء أكان التحجيم لأسباب دينية أم لأسباب خاصة.

تحقيق: محمد عبد الرحمن

حكاية قانون الحسبة؟ وما الهدف منه؟ ومن الذي له حق رفع دعوى الحسبة؟ وما ردود أفعال أعضاء مجلس الشعب المصري على هذا القانون.. وماذا قال المفتي في شأن هذا القانون؟.

بداية التفكير في مشروع هذا القانون مبكرة جداً لا تتعدى أشهراً قليلة، والسبب الرئيسي في صدور قانون ينظم الحسبة هو ضبط رفع القضايا والدعاوى على الشاطحين في الفكر والمتطاولين على العقيدة الإسلامية والسنة النبوية الشريفة.. فصار كل من هب ودب له حق رفع دعوى ضد شخص ما. ومن ثم كان صدور هذا القانون لينظم ويحدد من له

من هنا كان لابد من تنظيم هذا القانون حتى لا تستفحل القضايا بعيدا عن الشريعة، وعلى المتطاولين على الدين، أو على غيرهم ورغبة في هذا التنظيم طالب كتاب مصر ومفكروها بوضع قانون الحسبة لينظم ويحدد من له حق رفع دعوى الحسبة في قضايا الأحوال الشخصية، وحتى لا تدب الفوضى، واستجابة لرأي بعض المثقفين والمفكرين والكتاب، أقر مجلس الشعب المصري بالإجماع أخيرا قانون تنظيم دعوى الحسبة... ويعد هذا القانون أول مشروع يقره المجلس بالاجماع من المستقلين والمعارضة. وأكد الأعضاء من مختلف الأحزاب والاتجاهات. أن المشروع يهدف لحماية المجتمع واستقراره، ويأتي متفقا مع أحكام الشريعة الإسلامية.

الحسبة في الاسلام تعني الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي خدمة للفرد والأسرة والمجتمع

الحق في رفع دعوى الحسبة في قضايا الأحوال الشخصية،حتى لا تدب الفوضى في المجتمع. كما رفعت وزارة العدل المصرية بنود قانون الحسبة إلى اللجنة التشريعية لمجلس الشعب. وإلى دار الافتاء لإبداء الرأي الشرعي فيه وتعديل بنوده بما يتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية. فقالت اللجنة التشريعية في تقريرها عن مشروع قانون الحسبة: إن اللجنة تتوخى ألا يخل القانون بأصل الحق في شأن تنظيم اجراءات مباشرة دعوى الحسبة في مسائل الأحوال الشخصية ولا يحول دون بلوغ مراميها، وأن يكون الهدف من القانون ضبط الأمور بحيث لا يصبح اللجوء إليه ابتغاء انتقام أو تشهير أو إرهاب، أو ترويع. وانما ابتغاء ما شرعه الله من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

أهدف المشروع

من أهم أهداف قانون الحسبة أن يسبق تقديم دعوى الحسبة إجراء تحقيق بشأنها تحريا لمقاصدها وتبيانا لقيامها على الحق، فأوجب مشرعوا القانون أن يعرض الأمر على النيابة العامة دون غيرها. في بلاغ يقدمه صاحب الشأن مرفقا به أسباب ومستندات الدعوى لتتولى النيابة العامة بوصفها ممثلة للمجتمع البت فيها. ثم بعد سماع أقوال ذوي الشأن جميعهم تصدر قرارها. فيما إذا كان قرارها منتهيا إلى رفع الدعوى وإحالتها إلى جهة القضاء المختصة سمح بذلك. أو كان ملزماً بالحفظ أصدرت قرارها بذلك. وفي الحالين فإن على النيابة العامة أن تعلن القرار لذوي الشأن خلال أيام ثلاثة من تاريخ صدوره.

دعوى الحسبة ومصلحة الجماعة

ولما كان المستقر عليه فقهاً وقضاءً أن دعوى الحسبة انما تتعلق بمصلحة الجماعة فقد نصت المادة الثالثة من القانون

على أنه لا يجوز لمقدم البلاغ التدخل في الدعوى أو الطعن في الحكم الصادر فيها وإن أجازت ـ للمحكمة التي تنظر الدعوى أو الطعن فيها ـــ سماعه كشاهد وذلك تحقيقا للعدالة.
ونصت المادة الخامسة من القانون على إجراءات نظر الدعوى مقررة أنها ينبغي أن تنظر في أول جلسة بحضور ممثل النيابة العامة ولو لم يحضر المدعى عليه فيها، وأن الدعوى لا تخضع لقواعد انقطاع الخصومة أو تركها أو سقوطها أو انقضائها بمضي المدة وذلك منعاً لإطالة التقاضي وضماناً لاستقرار الأوضاع وحماية لحقوق المجتمع والمواطنين في دعاى الحسبة.

الحسبة في القرآن والسنة

كانت آراء أعضاء مجلس الشعب حول قانون الحسبة قوية وساخنة وجريئة فقال أحمد أبوزيد ـــ ممثل الحزب الوطني ـــ إن الحسبة ـ كما جاءت في القرآن والسنة هي ـ التزام كل مسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأضاف: ان القانون جاء لكي ينظم دعاوى الحسبة لا أن يمنعها أو يلغيها. لكن التنظيم الذي نريده لابد أن يكون انطلاقا من الإسلام... أما أن تستغل الشريعة في تجريح الناس دون سبب ما فهذا ما نرفضه ويرفضه الاسلام. ولا يوجد مسلم محب لدينه، منصف لشريعته، حريص على الفهم الصحيح لها أن يقبل هذا الأمر.

بعض الآراء في القانون

ويؤيد ذلك ياسين سراج الدين ـ ممثل حزب الوفد ـ القانون قائلا:
باسم الهيئة البرلمانية الوفدية أؤيد قانون الحسبة لأنه متوازن وتعبر نصوصه عن هذا التوازن، وأرى فيه ضمانات كافية لكل ذي مصلحة. كما أرى أنه من الطبيعي أن تكون النيابة العامة هي التي تحافظ على المجتمع خصوصا إذا تعلق الأمر بالتجريح أو التشهير. لذلك يجب الإسراع بإقرار مشروع هذا القانون لوقف محاولات التشهير ببعض المواطنين. ويختتم رأيه بقوله: وإنني لا أرى ضررا في أن تتولى النيابة التحقيق في دعوى الحسبة!.
ويشير رأفت سيف ـ عضو مجلس الشعب عن حزب التجمع ـ إلى أن الحسبة أصبحت تمس قضية مهمة جدا وهي التطرف الديني والارهاب وهما قضيتان تهددان سلامة شعب بأكمله... فإذا كانت ظاهرة الارهاب تواجه أمنيا فيجب أن نواجهها فكريا أيضا.
وطالب بضرورة إلغاء حق الأفراد في رفع دعوى الحسبة وقصرها على الدولة فقط.
وقال رجب حميدة ـ عضو مجلس الشعب عن حزب الأحرار ـــ إننا نوافق من حيث المبدأ على كل قانون يحقق الشريعة الإسلامية في المجتمع المصري. ونرفض القول: أن كل من يقوم من الأفراد بواجبه الشرعي من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع ـ أنهم إرهابيون!!!
فكيف يكون ذلك والدستور ينص على أن الشريعة الاسلامية هي مصدر التشريع... ولكننا في الجانب المقابل ضد كل من يستخدم الدين لترويع المسلمين أو تهديدهم حيث إن الإسلام كفل حرية الدين والفكر والعقل والمال.
ويتساءل: من يحمي الدين ممن يهاجم الدين في كتاباته ويتطاول ويتجرأ على الاستهزاء بآيات القرآن والأحاديث النبوية الشريفة بصورة قميئة وسيئة ومبتذلة.

السعادة بالحسبة

ويعبر علي فتح الباب ـــ عضو مجلس الشعب (مستقل) ـــ عن سعادته بصدور قانون يضع تشريعات هذا الدين العظيم موضع التنفيذ. ويدعو إلى تقنين الشريعة الإسلامية، ومصر رائدة وستظل كذلك. ويجب أن يعلم الجميع أن الذي يحمينا جميعا هو الدين والعقيدة.

الحسبة فرض كفاية فإذا ما ارتكب إنسان جريمة في حق الدين فتكون فرض عين

من جانب آخر: كانت وزارة العدل المصرية قد أرسلت مشروع قانون الحسبة إلى دار الإفتاء قبل عرضه على مجلس الشعب. لإبداء الرأي الشرعي في مواده التي كانت كالتالي.

المادة الأولى: في جميع الأحوال التي تقام فيها الدعوى في مسائل الأحوال الشخصية على وجه الحسبة يجب على طالب رفع الدعوى أن يتقدم ببلاغ إلى النيابة العامة المختصة يبين فيه موضوع طلبه والأسباب التي يستند إليها مشفوعة بالمستندات التي تؤيده. وعلى النيابة العامة بعد سماع أقوال أطراف البلاغ ـ وإجراء التحقيقات اللازمة ـ أن تصدر قراراً حسبيا بحفظ البلاغ أو برفع الدعوى أمام المحكمة الابتدائية المختصة وذلك خلال ستين يوما من تاريخ تقديمه.
ويصدر قرار النيابة العامة المشار إليه من عضو نيابة بدرجة محام عام على الأقل، ولا يجوز الطعن في هذا القرار بأي طريقة من طرق الطعن.

المادة الثانية: إذا قررت النيابة العامة رفع الدعوى تكون هي المدعية فيها ويكون لها ما للمدعي من حقوق واجبات.

المادة الثالثة: لا يجوز لمقدم البلاغ التدخل في الدعوى أو الطعن في الحكم الصادر فيها، ولكن يجوز للمحكمة التي تنظر الدعوى سماعه كشاهد إذا اقتضت مصلحة القضية ذلك.

المادة الرابعة: تنظر المحكمة بالدعوى في أول جلسة بحضور ممثل النيابة العامة ولو لم يحضر المدعى عليه فيها ولا تخضع الدعوى لقواعد انقطاع الخصومة أو تركها أو سقوطها أو انقضائها بمضي المدة.
وتفصل المحكمة في الدعوى غير مقيدة بطلبات النيابة العامة.

المادة الخامسة: يلغى كل حكم يخالف أحكام هذا القانون
المادة السادسة: ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويعمل به في اليوم التالي

من تاريخ نشره.

رأي الإفتاء

وبعد اطلاع دار الافتاء على مواد مشروع هذا القانون أفادت أن تستبدل الفقرة الأخيرة من المادة الأولى (بحيث لا يجوز الطعن في هذا القرار بالطرق المعتادة في قانون المرافعات).
كما أننا نرى أنه لا داعي للمادة الثالثة بأكملها بعد إجراء هذا التعديل.
وأجاب فضيلة الدكتور: محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر على الأسئلة الواردة من وزارة العدل والمتعلقة بدعوى الحسبة وهي:
● فقال بعض علماء المسلمين: ان الحسبة من فروض الكفاية وتجب الحسبة على الخاصة لأنهم وحدهم الذين يمكنهم العلم بماهية المنكر وماهية المعروف ولأن الذي لا يعلم لا يلزمه أمر ولا نهي.
فما أسانيد هذا الرأي؟ وهل يمكن بناء على هذا الرأي أن تكون الحسبة من اختصاص النائب العام باعتبار أن الكفاية تكون متوافرة فيه فيحق له إقامة دعوى الحسبة بعد التحقق من جدية شكاوى الأفراد وتظلماتهم؟ وهل يمكن أن يكون النائب العام بحكم كفايته محتسبا بالتحقيق من جدية الشكاوى والتظلمات؟
وللاجابة على هذا السؤال قال: شيخ الأزهر إن الفقهاء عرفوا الحسبة بتعريفات متعددة لعل أفضلها الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله. والحسبة هي اسم لما يحتسبه المسلم من أقوال ومن أفعال قاصدا بها دفع المنكرات وإزالة السيئات وإحياء الفضائل وصيانة المجتمع من شيوع ما نهى الله تعالى عنه من رذائل.
وجمهور الفقهاء يرى أن الحسبة فرض من فروض الكفاية بحيث إذا قام بها بعضهم سقط عن الباقين ومن أدلتهم على أنها فرض كفاية قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ [آل عمران/ ١٠٤].
وقال صاحب الكشاف في تفسيره لهذه الآية ان (من) هنا للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات لأنه لا يصلح له إلا من عَلِمَ المعروف من المنكر، وعَلِمَ كيف يرتب الأمر في إقامته، وكيف يباشره، فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر. وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه. وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة.
ومع أن الحسبة من فروض الكفاية عند المحققين من الفقهاء وهذا هو الأصل فيها لأنه لا يصلح لها إلا من علم وأدرك ماهو المعروف؟ وما المنكر؟ إلا أنها أحيانا تكون فرض عين.. كما إذا عين ولي الأمر شخصا أو أشخاصا لهذه الوظيفة. وكما إذا رأى انسان غيره يرتكب جريمة في حق الدين أو الوطن. وفي إمكانه أن يبلغ عن هذه الجريمة، ففي هذه الحالة تكون الحسبة فرض عين. وتاركها يكون مقصراً في حق دينه وفي حق أمته، ويكون مستخفا بالأمانة التي كلفه الله تعالى بأدائها ولو عن طريق تغيير المنكر بقلبه، أو عن طريق تبليغ ولي الأمر عن هذا المنكر.
وعلى ذلك لا نرى مانعا شرعيا يمنع أن - تكون دعوى الحسبة - يتقدم بها صاحبها إلى النائب العام أو إلى وكلائه لكي يقوموا بتنظيم رفع هذه الدعوى إلى الجهات القضائية المختصة، لأن النيابة العامة هي الجهة المنوط بها الحماية القضائية لمصلحة المجتمع ولصيانة أمنه أي أنه مادامت دعوى الحسبة هي حق مقرر شرعا للفرد والجماعة وتجد طريقها المشروع إلى ساحة القضاء دون قيد أو حظر على استعمال هذا الحق، فلا مانع شرعاً أن يتقدم بها صاحبها إلى النائب العام ولا نرى وجها شرعيا لأن تكون دعوى الحسبة من اختصاص النيابة العمومية وحدها، لأنه من المعروف شرعا أنها حق لكل فرد تتوافر فيه الشروط الشرعية كالبلوغ والعقل والاستقامة والخلو من كل ما يتنافى مع الشرف والكرامة.
أما الذي لا نرى مانعا شرعيا منه كما سبق أن أشرنا فهو أن ترفع دعوى الحسبة أولا إلى النائب العام أو إلى وكلائه ومتى اقتنعوا بجدواها وجديتها رفعوها إلى الجهات القضائية المختصة. إذ ان هذه المسائل تنظيمية من حق المشرع أن يفعلها مادام يرى المصلحة في ذلك.

فرض قانون الحسبة في البرلمان المصري بسبب رفع بعض القضايا على الشاطحين في الفكر والمتطاولين على العقيدة والسنة

اجراءات دعوى الحسبة في الشريعة

● هل إجراءات دعوى الحسبة تستمد أصولها من الشريعة الإسلامية القرآن والسنة بالأدلة القطعية أم أنه يجوز للحاكم - الشارع الوضعي - أن يقرر مايشاء من إجراءات لنظر دعوى الحسبة؟
■ نعم إجراءات الحسبة تستمد أصولها من الشريعة الإسلامية عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية واجماع الفقهاء، وذلك لأن الحسبة تقوم في جوهرها وأسسها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصيانة. المجتمع من أن تشيع فيه الفاحشة.. وفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد تكرر الحديث عنها بأساليب متنوعة وفي مواطن متعددة من آيات القرآن الكريم.. ومن ذلك ان القرآن الكريم تارة يبين أن خيرية الأمة إنما تتوافر لها عندما تتمسك بنشر هذه الفضيلة كما في قوله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ [آل عمران/ ١١٠].
فهذه الآية الكريمة صريحة في أن الخيرية تتحقق في الأمة الاسلامية في أصلين أساسيين.
أولهما: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنه سياج الدين ولا يقوم مجتمع تسوده نعمة الأمان والاستقرار إلا بوجودها فيه.
وثانيهما: الإيمان بالله تعالى وبجميع ما أمر سبحانه بالإيمان به فإذا أهملت الأمة الإسلامية هذين الأصلين سلبت عنها هذه الخيرية ويقول تعالى أيضا: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾

[التوبة/ ٧١].
ويقول تعالى في موضع آخر: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ [الحج/٤١].
وتارة نرى القرآن الكريم يمدح الأمم السابقة التي حرصت على نشر فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أفرادها وجماعاتها. فيقول تعالى: ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين﴾[آل عمران/١١٣و١١٤].
بينما نراه سبحانه وتعالى في موطن آخر يصب اللعنة على الأمة التي أهملت هذه الفضيلة فيقول تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون﴾ [المائدة/٧٨،٧٩].
فإذا ما اتجهنا إلى السنة النبوية المطهرة رأينا عددا كبيرا من الأحاديث الشريفة تحض على التمسك بفضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد ساق الإمام النووي في كتابه (رياض الصالحين) أربعة عشر حديثا في هذا المعنى نكتفي بذكر بعضها.. عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا - أي الذين في أسفلها - لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجو جميعا». رواه البخاري.
ومن هذه النصوص من كتاب الله تعالى والسنة النبوية أجمع الفقهاء على مشروعية الحسبة لما تقتضيه من وجوب القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولأن عدم مشروعيتها يؤدي إلى إشاعة الفاحشة في الأمة، وعلى ذلك فيجوز لولي الأمر أن ينظمها بالطريقة التي يراها مناسبة لمصلحة الأمة، دون أن يكون في هذا التنظيم ما يتنافى مع أحكام الشريعة الإسلامية، ودون ما يمنع الأفراد سواء أكانوا حاكمين أم محكومين من مباشرة حقوقهم في إقامة دعوى الحسبة التي أساسها إحياء الفضائل وإماتة الرذائل.

الحق في دعوى الحسبة

● هل نظر دعوى الحسبة وفقا لاجراءات معينة تبدأ بفحص الطلب بوساطة النائب العام وهل يؤثر في الحق في دعوى الحسبة كما أكدته الشريعة الإسلامية؟

■ الشريعة الإسلامية لا تمنع من نظر دعوى الحسبة وفقا لاجراءات معينة تبدأ بفحص الطلب بوساطة النائب العام أو بوساطة نوابه ولا يؤثر ذلك في الحق في دعوى الحسبة شرعا، لأن النيابة العامة هي الأمينة على الدعوى العمومية بوصفها تمثل المجتمع في توجيه الاتهام إلى من يخرج على القانون.. وغرض دعوى الحسبة إلى النيابة العامة من الأمور التنظيمية التي تقرها شريعة الإسلام.

نص قانون الحسبة

الذي وافق عليه مجلس الشعب المصري

المادة الأولى:
تختص النيابة العامة وحدها دون غيرها برفع الدعوى في مسائل الأحوال الشخصية على وجه الحسبة وعلى من يطلب رفع الدعوى أن يتقدم ببلاغ إلى النيابة العامة المختصة يبين فيه موضوع طلبه والأسباب التي يستند إليها مشفوعة بالمستندات التي تؤيده.
وعلى النيابة العامة بعد سماع أقوال أطراف البلاغ وإجراء التحقيقات اللازمة أن تصدر قرارا برفع الدعوى أمام المحكمة الابتدائية المختصة أو بحفظ البلاغ.
ويصدر قرار النيابة العامة المشار إليها مسببا من محام عام وعليها إعلان هذا القرار لذوي الشأن خلال ثلاثة أيام من تاريخ صدوره.

المادة الثانية:
للنائب العام إلغاء القرار الصادر برفع الدعوى أو بالحفظ خلال ثلاثين يوماً من تاريخ صدوره، وله في هذه الحالة أن يستكمل مايراه من تحقيقات والتصرف فيها إما برفع الدعوى أمام المحكمة الإبتدائية المختصة وإما بحفظ البلاغ. ويكون قراره في هذا الشأن نهائيا.

المادة الثالثة:
إذا قررت النيابة العامة رفع الدعوى على النحو المشار إليه في المادتين السابقتين. تكون النيابة العامة هي المدعية فيها، ويكون لها ما للمدعي من حقوق وواجبات.

المادة الرابعة:
لا يجوز لمقدم البلاغ التدخل في الدعوى. أو الطعن في الحكم الصادر فيها.

المادة الخامسة:
تنظر الدعوى في أول جلسة بحضور ممثل النيابة العامة ولو لم يحضر المدعى عليه فيها.

المادة السادسة:
تحيل المحاكم من تلقاء نفسها ودون رسوم ما يكون لديها من دعاوى في مسائل الأحوال الشخصية على وجه الحسبة والتي لم يصدر فيها أي حكم إلى النيابة العامة المختصة وفقا لأحكام هذا القانون وذلك بالحالة التي تكون عليها الدعوى. ويعلن قلم الكتاب أمر الإحالة إلى ذوي الشأن.

المادة السابعة:
يلغى كل حكم يخالف أحكام هذا القانون.

المادة الثامنة:
ينشر هذا القانون في الجريدة الرسمية ويعمل به من اليوم التالي لتاريخ نشره ويبصم هذا القانون بخاتم الدولة وينفذ كقانون من قوانينها ■

الحسبة فرض من فروض الكفاية بحيث إذا قام بها بعضهم سقط عن الباقين

الإسلام والشورى

شريعة

بقلم: صلاح حسين محمد شهاب الدين

تعتبر الشورى واحدة من المبادىء الإسلامية التي أمر بها الشارع سبحانه في كتابه لتكون أداة لتقويم الفكر وتدعيم الرأي ووسيلة لوحدة الصف من خلال احترام الطاقة العقلية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان(١).

عناية الإسلام بمبدأ الشورى

من أجل هذا «عنى الإسلام عناية خاصة بمبدأ الشورى، وافترض أن أي حكم صحيح لا يمكن أن يتحقق في غيبة هذا المبدأ. وقد أمر الله تعالى ـ رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ صراحة بمشاورة المسلمين فقال تعالى: (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) آل عمران / ١٥٩.

كما جعل الشورى صفة لازمة للمؤمنين المصدقين المستجيبين لله فقال تعالى: (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون) الشورى (٣٨)

وبلغ من اهتمام الإسلام بمبدأ الشورى أن أطلق هذا الاسم على إحدى سور القرآن الكريم وهي «سورة الشورى»

وجدير بالذكر أن الاتفاق على تسمية هذه السورة بالشورى يحوي أهمية الشورى كأساس من أسس التعايش بين المؤمنين في المجتمع المسلم على جميع المستويات.(٢)

كما أن هذه السورة من السور المكية وهذا دليل على أن عناية الإسلام بمبدأ الشورى كان منذ بدايته في مكة ولم يتأخر الأمر بها إلى ما بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، مع أن مبدأ الشورى من المبادىء التي تتصل بالحكم وقيام الدولة الإسلامية. وهذه المبادىء لم تكن الحاجة ظاهرة إليها في العهد المكي، ولذلك كان من خصائص الآيات القرآنية التي نزلت بعد الهجرة أنها تشتمل على ما يحتاج إليه قيام الدولة من تشريع وتنظيم، ومعاهدات وعلاقات مع غير المسلمين، وغير ذلك مما يدخل في هذا المجال. (٣).

ويزداد إعجاب المرء بسمو الإسلام في عنايته بمبدأ الشورى إذا علمنا أن إعلانه لهذا لم يكن نتيجة لمطالبة من الناس، أو ثمرة لتطورهم أو لرقي الوعي السياسي والاجتماعي آنذاك، فالمجتمعات في ذلك الحين كانت أبعد ما تكون عن التفكير بمبدأ الشورى. أو المطالبة به، ولو ألقينا نظرة على الدول المعاصرة لظهور الإسلام لوجدنا أن الناس كانوا يعتبرون حكامهم آلهة أو أنصاف آلهة، أو أنهم على الأقل كانوا ينظرون إلى أعمالهم أنها أعمال مقدسة لا يجوز نقدها أو الخروج عليها ـ ومن ثم فلم يكن هناك حق للشعوب أن تشارك بالرأي أو بالنقد في حكم نفسها، هذا بالإضافة إلى نظرة الاحتقار التي كان الحكام ينظرونها إلى شعوبهم. ولكن الشريعة الكاملة الخالدة المنزلة من الله تأبى إلا أن تقرر مبدأ الشورى، عاملة بذلك على رفع مستوى الجماعة وجعلها على مستوى النظر في المسائل العامة والمصالح الضرورية والاشتراك في الحكم ومراقبة الحكام.

الشورى تتحقق بها نضوج الفكرة قبل اتخاذ القرار

وكان هذا الموقف طبيعياً من الإسلام الذي كرم الإنسان وجعله خليفة في الأرض، يعمرها بما يعود على الناس بالخير في دنياهم وأخراهم. (٤)

كيفية تحقيق الشورى

والشكل الذي تتم به الشورى في الإسلام ليس مصبوباً في قالب حديدي. لذلك لم تعين الشريعة الإسلامية طريقة محددة لتحقيق هذا المبدأ بحيث لا يجوز العدول عنها، ومعنى ذلك أنها تركت تنظيم الشورى للأمة الإسلامية على النحو الذي يلائم ظروفها وأحوالها ويحقق مقصود الشورى ومعرفة رأي الأمة. وهذا في الحقيقة من حسنات الشريعة واحتياطها للمستقبل. (٥)

فالمبادىء الإسلامية أو النظم الإسلامية ليست أشكالاً جامدة، وليست نصوصاً حرفية، وإنما هي وقبل كل شيء روح تنشأ عن استقرار حقيقة الإيمان في القلب وتكييف الشعور والسلوك بهذه الحقيقة.

ومن هنا فالشورى تتجاوز في حقيقتها وفي دورها في الحياة أي نظام آخر يفتقد حقيقة الإيمان، والارتباط بالله والاستجابة له. وصدق الله في تصدير آية الشورى بالإيمان إذ قال سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) النساء ـ ٥٩. ثم ذكر عقب ذلك قوله (وأمرهم شورى بينهم) الشورى ـ ٣٨.

ونظام الشورى في الإسلام لا تنفصل فيه حركة الحياة الظاهرة عن حقيقة الإيمان الباطنة، فهو يشمل كل نشاطات المجتمع في الحياة ويتخطى حدود السياسة إلى الميدان الرحب الفسيح، كما أن الشورى تكليف شرعي وليست واجباً سياسياً. وليس معنى هذا أن نغمض عيوننا عن تجارب الأمم ونظمها لتحقيق هذا المبدأ الذي يحقق مشاركة كل ذي رأي في التبصير والإنارة ليتحقق نضوج الفكرة واكتمالها قبل اتخاذ

القرار فليس ممنوعاً أن نستأنس بما لدى غيرنا من النظم وأن نفتح على آفاق الفكر الإنساني ليكون ذلك من عناصر ترشيد حركتنا وصواب مسيرتنا فيما تركه رب العزة سبحانه لاجتهادنا وأعطانا حرية الاختيار فيه غير خارجين عن نطاق تعاليم الإسلام وقواعده.(٦).

ما تكون فيه الشورى

ذهب بعض أهل العلم قديماً إلى أن الشورى تكون في مكائد الحروب، وعند لقاء العدو لأن اللام في لفظة «الأمر» من قوله تعالى «وشاورهم في الأمر» ليست للاستغراق لخروج ما نزل فيه الوحي باتفاق، وليس ذلك إلا ما جرى من أمر الحرب في غزوة أحد.

وذهب آخرون إلى أن الشورى تكون في كل أمر من الأمور التي لم ينزل فيها وفي بيان حكمها وحي من السماء، وذلك لأن لفظ «الأمر» عام خُص بما نزل فيه وحي فيبقى حجة في الباقي.

والواقع أن قَصْر الشورى على أمور الحرب دون غيرها فيه تحكم ظاهر ولا يسنده دليل واضح اللهم إلا ما تمسكوا به من مناسبة نزول النص، ومعلوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولو سلمنا بما ذهب إليه أصحاب القول الأول، وهو بعيد. فما الذي يمنع من قياس كل أمر يمس مصالح الأمة أو يتعلق بشؤون الدولة على أمر الحروب.

كما أن وقائع الشورى في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ــ وخلفائه الراشدين لم تكن قاصرة على أمور الحرب.(٧)

فقد جاء في تفسير الجصاص «الاستشارة في أمور الدنيا وفي أمور الدين التي لا وحي فيها.

والمشاورة في أمور الدنيا أي في شؤون الدولة المهمة ومنها تسيير الجيوش وإعلان الحرب. وعقد المعاهدات، وإسناد المناصب المهمة في الدولة إلى مستحقيها ونحو ذلك.(٨)

أهل الشورى

وأهل الشورى الذين تطلب منهم المشاورة هم أهل الحل والعقد وذوو الرأي في الأمة الإسلامية، وعدد هؤلاء محدود بالنسبة لعدد الأمة بطبيعة الحال، فلا يمكن أن يكون أهل الشورى هم الأميون لأن الاستشارة لا توجه إلا إلى شخص ناضج يستطيع أن يعطي رأياً صحيحاً، ولأن المشورة لا يعتد بها إلا إذا جاءت من ذوي الرأي الناضج وذوي الخبرة بالأمور التي تعرض للشورى...

ويشترط في أهل الشورى الإلمام التام بالشريعة الإسلامية إذ الشورى مقيدة بألا تخرج على نصوص الشريعة الإسلامية ولا روحها التشريعية. كذلك يشترط فيهم الإلمام بالعلوم والفنون والصناعات وغيرها مما يتعلق بمصالح الأمة.

وليس هناك ما يمنع أن يقوم اختيار أهل الشورى على التخصص بشرط ألا يكون لغير المسلمين بالشريعة رأي فيما يتعلق بالشريعة الإسلامية أو بشرط أن تكون هناك هيئة خاصة لترد كل ما يخرج على حدود الشريعة أو روحها إلى موضعه الصحيح داخل نطاق الشريعة.(٩)

أهمية الشورى في نظام الدولة الإسلامية

وإذا كانت المشاورة حقاً لأبناء الأمة، وواجباً على الحاكم أو رئيس الدولة أو ولي الأمر فإن التفريط فيها إلى حد تركها موجب لإبطال قاعدة مهمة من قواعد الشريعة في الدولة الإسلامية.

جاء في تفسير القرطبي: «قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فتركه لمسؤليته واجب».

وهكذا يتبين لنا مدى أهمية المشاورة في نظام الدولة الإسلامية فهي أهمية بالغة وهي السبيل إلى معرفة الرأي الصواب لأن كل مستشار يظهر رأيه ووجهة هذا الرأي ومدى فائدته.

مبدأ الشورى ليس شكلا جامدا ولانص حرفيا وانما هو روح ينشأ عن استقرار حقيقة الايمان

وبعرض هذه الآراء ومقارنتها ومناقشتها يظهر الصواب غالباً كما أن في المشاورة استفادة بلا جهد من خبرات الآخرين وتجاربهم التي اكتسبوها خلال سنين طوال وبجهود وتضحيات.

كما أن في المشاورة عصمة لولي الأمر من الإقدام على أمور تضر بالأمة ولا يشعر هو بضررها، ولا سبيل إلى إصلاح ذلك الضرر بعد وقوعه، ولا يرفعه كونه حسن النية.

و في المشاورة أيضاً تذكير لأبناء الأمة بأنهم أصحاب السلطان، وتذكير للحاكم أو رئيس الدولة أو ولي الأمر بأنه وكيل عنهم في مباشرة السلطان، وفي هذا وذاك عصمة من الطغيان الذي هو من صفات بني الإنسان.(١٠) ■

الهوامش

١ ــ د. عبدالله مبروك النجار. ضوابط الشورى في الفقه الإسلامي. مقال في مجلة الأزهر ص ١٨٠٥ ج ١٠ السنة السابعة والخمسون.

٢ ــ د. جمال أحمد السيد جاد المراكبي. الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة. ص ١٩٣. رسالة دكتوراة.

٣ ــ د. عبدالرحمن العدوى. الشورى في التشريع الإسلامي ــ مقال في مجلة منبر الإسلام ص ٥٣ العدد ٣ السنة ٥١.

٤ ــ د. عبدالكريم عثمان ــ معالم الثقافة الإسلامية ص ١٨٠.

٥ ــ د. عبدالكريم زيدان ــ أصول الدعوة ص٢٢٥.

٦ ــ مجلة منبر الإسلام العدد السابق ص ٥٨.

٧ ــ الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة. ص ١٩٩ مرجع سابق.

٨ ــ د. محمد بهي الدين سالم ــ الإسلام الدين والدولة ص ٨٣.

٩ ــ أ. عبدالقادر عودة الإسلام وأوضاعنا السياسية ص ٢٢٢.

١٠ ــ الإسلام الدين والدولة ص ٨٢، ٨٣ مرجع سابق.

دور الإسلام في التنمية الشاملة المتواصلة

اقتصاد

بقلم: محمد أحمد إسماعيل علي

تعبر كل الأديان السماوية عن قيم عامة، ولكنها لا تعبر جميعها عن إيديولوجيا، ويعتبر الإسلام أنموذجا للإيديولوجية الدينية، وكما رأى أحد الباحثين الغربيين فإن الإسلام يتضمن برنامجا كاملا لتنظيم المجتمع ويحدد أهدافا دقيقة ليتبعها كل المسلمين، كما يحدد قواعد تنفيذ هذه الأهداف، وفي هذا الإطار يؤكد أحد الباحثين العرب أن الإسلام يعد إذن إيديولوجية تأسيسية أو عضوية بسبب قدرته على التعبير والتعبئة، ويرى «لويس» أن الإسلام يجب ألا يتم إدراكه كدين بالمعنى الغربي المحدود، ولكن يتم إدراكه كأمة وكولاء وكأسلوب حياة»، وفي نفس الاتجاه تحدث إريك هوبسبون في كتابه (عصر الثورة) عن نوعين من الإيديولوجيات، الإيديولوجيات الدينية والأخرى العلمانية، واعتبر الإسلام كأحد أكثر التعبيرات وضوحا للإيديولوجيات، وبالمثل فإن مورخ الأديان تشارلز آدمز في كتابه عن (أبو الأعلى المودودي) وصف أعماله الفكرية بأنها (إيديولوجية أبى الأعلى المودودي)، ويركز آدمز مثله في ذلك مثل هوبسبون على قوة الإيديولوجية في تعبئة الأفراد وربطهم بالمجال العام).

وفي الواقع أن الإسلام يقدم إطارا يتضمن كل عناصر الإيديولوجية، فهو يقدم تفسيرا للوجود يتأسس على مبدأ توحيد الله، ويتسم بالشمول والتكامل، حيث ينظم كافة العلاقات الإنسانية، كما يقدم أداة تنفيذ أهداف وأحكام تلك الإيديولوجية، والتي تتمثل في جهاد الأمة، حيث يعبأ المسلمون من أجل تنفيذ الأهداف الإسلامية الدينية والاجتماعية والسياسة.

ولا يفضل البعض استخدام مفهوم الإيديولوجية الإسلامية، وعلى سبيل المثال يرى ضياء الدين ساردار أن هذا المفهوم يشير إلى أفكار مشوهة تهدف للحفاظ على الوضع القائم، ومن ثم فإنه يمثل نقيضا للإسلام، وفي الحقيقة ان هذا النقد يصعب الدفاع عنه حيث يتأسس على فهم غير دقيق لمفهوم الإيديولوجية، فهي تمثل مفهوما عاما مجردا يمكن أن يأخذ مضامين مختلفة، وقد تعبر في بعض الأحيان عن نوع من الحقيقة، ومن جهة أخرى فإن استخدام اصطلاح الإيديولوجية الإسلامية له مايبرره حيث يمثل نوعا من التوصيف للإسلام والتمييز بينه وبين أديان أخرى، وهنا يثور التساؤل ما الخصائص المميزة للإسلام والتي تجعل منه إيديولوجية دينية ناجحة في دفع التنمية الشاملة، والمتواصلة؟ والإجابة على ذلك التساؤل تتمثل في الآتي:

أولا: الشمول:

يشير مفهوم الشمول إلى المجال الكلي لإيديولوجية معينة، وكذلك منطقها وبنيانها الداخلي، هل هي إيديولوجية كاملة؟ هل تحدد بوضوح مجموعة من الأهداف ووسائل تحقيق تلك الأهداف؟ وكذلك مدى ترابط وانسجام افتراضاتها المختلفة عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكذلك وجود تنظيم أو حركة أو حزب لدفع خطوات العمل المتصورة.

وقد شكل الإسلام منذ بداياته الأولى إطاراً مميزا، فهو يشمل كل مجالات الحياة الدنيوية والأخروية، حيث يرتبط عضويا بالدولة والسياسة والقانون والمجتمع ويكتنف الحياة العامة والخاصة، وهو لم يفرق بأي حال من الأحوال بين ماهو ديني وماهو دنيوي وماهو روحي وماهو زمني، لأنه لا يقبل أو حتى يعرف الثنائية التي يتم التعبير عنها بالانفصام بين المؤسسة الدينية والدولة.

وفي إطار الإسلام لا يعتبر الدين، قطاعا واحدا في الحياة ينظم بعض المسائل ويستبعد الأخرى، ولكنه مهتم بالحياة ككل، وفي مثل هذا المجتمع فإن نفس فكرة فصل المؤسسة الدينية عن الدولة هي فكرة لا معنى لها لأنه ليس هناك كيانان ليتم الفصل بينهما، فالمؤسسة الدينية والدولة تعتبر شيئا واحدا، وليس هناك طريق للفصل بين النسيج المتشابك للنشاطات الإنسانية وتخصيص أشياء معينة للدين وأخرى للممارسة السياسية وبعضها للدولة وبعضها للسلطة الدينية.

وعلى ذلك فإن الدين في المنظور الإسلامي هو منهاج شامل، الأمر الذي يجعله إطارا ملائما لدفع التنمية الشاملة والمتواصلة ذلك لأن (التقدم في ميدان ما لا يمكن أن يتم إلا إذا صحبه وتوافق معه تقدم في باقي الميادين من الحياة الاجتماعية).

ثانيا: -المحورية:

يشير مفهوم المحورية إلى درجة وشدة تقبل إيديولوجية معينة ومدى إثارتها لروح الولاء الكلي والحركة الكلية، ويعتبر الدين



بالنسبة للمسلمين ليس فقط شيئا شاملا، ولكنه يعد أيضا شيئا محوريا، بمعنى أنه يشكل أساسا جوهريا وبؤرة أساسية للهوية والولاء، فالتدين يبلغ لدى المسلم الحد الذي يجعل من الإسلام وطنا وجنسية وهوية حضارية.

ثالثا: الأساس الأخلاقي:

إن الأيديولوجية الناجحة يجب أن تمتلك أساسا أخلاقيا، حيث انه من الضروري للأفراد أن يجدوا أساسا أخلاقيا، لمعتقداتهم وسلوكهم، وهو الأمر الذي تقدمه الإيديولوجية، فالأفراد يجب أن يشعروا أن سلوكهم ينبع من الأفكار العامة للصواب والخطأ، والتي تكون منزلة من عند الله، أو تستقى من القانون الطبيعي، أو من سلطة أبدية لا تتغير.



رابعا: البساطة:

لكي تكون الإيديولوجية ذات فعالية، فإنه يجب أن يتم التعبير عنها بشكل مبسط، فهي يجب ألا تتجه إلى التركيز على الإسهاب والاستفاضة أو على المعتقدات ذات العمق الفكري، ويعتبر الإسلام دينا بسيطاً وسهلا في فهمه وإدراكه وتطبيقه، وبسبب تأكيده على السيادة المطلقة لله، فإنه يمثل دينا بسيطا دون طقوس أو رموز معقدة أو جماعة كهنة.

خامسا: - المرونة:

تمثل الأنساق السياسية الفعلية تركيبة من التوجهات الإيديولوجية والأخرى البراغماتية، ومن ثم فإنه من الضروري أن تتسم الإيديولوجية الناجحة بدرجة من الانفتاح على الواقع، وأن تتواءم مع التغيرات التي تحدث فيه.

فالتوجه الإيديولوجي البحت يمثل وضعا يتم فيه التغافل إلى حد كبير عن الواقع، ولا يمكن لنسق يتبنى ذلك التوجه أن يظل على قيد الحياة لأمد طويل، فحيث يمثل ذلك التوجه بطبعه تبسيطاً تجريديا للواقع فإنه لا يقدم حلولا عملية لمشاكل فعلية معقدة. أما التوجه البراجماتي فهو الذي لا تستخدم فيه الإيديولوجية كحاجز مفهومي أو كمعيار للتفسيرات أو الاختيارات السياسية، ولكن يتم الحكم على الاختيارات من منطلق نتائجها الملحوظة بدلا من أن يكون على أساس اتساقها مع مبادىء أو نسق اعتقاد معين، ومن ثم فإن البراغماتية البحتة تتضمن نوعا من الغياب للمبدأ كأساس للحركة، الأمر الذي يؤدي إلى صعوبة الثبات في الحركة ونقص القدرة على التنبؤ.

وعلى ذلك فإن كلا من التوجه الإيديولوجي والآخر البراغماتي في شكليهما البحت يؤديان إلى الاختلاف الوظيفي في أداء النسق السياسي، ومن ثم فإن الإيديولوجية الناجحة يجب أن تتسم بالمرونة وأن تنفتح على الحقائق الواقعية وأن تتواءم مع التغيرات الاجتماعية الحادثة.

ويتسم الإسلام بالمرونة حيث يعد خاتم الأديان السماوية فيقول تعالى: ﴿اليوم أكملت دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾المائدة/٣]، ومن ثم فقد أنزل ليكون صالحا لكل زمان ومكان، ويتلاءم مع التيارات والظروف المختلفة، فهو دين عالمي الوجهة إنساني الهدف مفتوح على تجارب العالم، ويقبل ما يتلاءم مع جوهره، لأنه يقر بالثوابت والمتغيرات يحدد كيفية التعامل معها بحيث لا يصيبه الجمود ولا يتوقف عن مسايرة تغيرات العصور والبيئات، وهي حقيقة تؤكدها الخبرة المعاصرة في عديد من الحالات، والتي تتمثل في تقديم تفسيرات جديدة للدين جعلته يستجيب لحاجات واهتمامات المسلمين الحالية، وفي ازدهار الإسلام وبشكل راسخ حتى في دول غربية مثل انجلترا وفرنسا.

سادسا: - الحركية:

يعتبر التصور الإيديولوجي الإسلامي قوة دافعة إلى الحركة من

جانبين، أولا: من حيث انه في ذاته تصور إدراكي يؤثر على السلوك الإنساني، وثانيا: من حيث انه يتصمن نصوصا صريحة تلزم المسلم بالحركة وتدفعه إليها.

فالسلوك الإنساني ـ كما أشار كينيث بولدنج، وهولستي ـ لا يتأثر بشكل مباشر بوساطة الواقع في ذاته، ولكن بوساطة الصورة الإدراكية التي تملكها الكائنات الإنسانية عن ذلك الواقع، ويصل إيرنست كاسيرير إلى نفس النتيجة حيث يرى أن الإنسان لا يعيش في عالم من الحقائق الصلبة، ولكنه يعيش في عالم رمزي وعلى الأرجح يعيش وسط انفعالات تصورية ووسط آمال ومخاوف وخيالات وأحلام، ويتصرف طبقا لتصوره وليس طبقا للواقع نفسه.

وفي نفس الاتجاه يؤكد مالك بن نبي أن العقيدة الدينية هي التي تعطي المجتمع الإرادة، وأنه يتحرك عندما يؤمن بفكرة معينة، فالإسلام يتحول من صورة مجموعة من المعارف والشعائر إلى أعظم قوة تهب الإنسان المسؤولية والحركة والميل إلى التضحية، ولا يعتبر الإسلام عاملا دافعا إلى الحركة انطلاقا مما يمثله من تصور إيديولوجي معين في ذاته، ولكن انطلاقا أيضا مما يتضمنه من نصوص وأوامر صريحة تدفع إلى الحركة، فيقول تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون﴾[الصف/٢و٣]، ويقول جل شأنه: ﴿ياأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه﴾[الانشقاق/٦]، ويقول: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾[الحج/٧٨]، ويقول ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[التوبة/١٠٥]، ويقول تبارك اسمه: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾[الاحقاف/١٩]، ويقول الرسول ﷺ: «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب» رواه البخاري، فالإسلام لا يقبل السلبية أو التواكلية أو الانعزالية وإنما يدعو إلى الإيجابية والحركة المستمرة، ولازالت الخبرة تؤكد القوة الحركية المتميزة للإسلام وعلى حد تعبير أحد الباحثين (فإنه على الرغم من بروز العديد من الإيديولوجيات في وقت من الأوقات فلازالت الرموز والنداءات الإسلامية هي العوامل الأكثر فعالية لتعبئة المجتمع.

سابعا: العملية

تقدم الإيديولوجية الناجحة حلولا لمشاكل أفراد المجتمع الذين يعتمد استعدادهم للقيام بعمل جوهري على وجود تلك الإيديولوجية، كما تحدد الجماعة التي تقع عليها مسئولية تنفيذ وصاياها وكذلك وسائل تحقيق أهدافها، ومن هذا المنطلق يعد الإسلام إيديولوجية عملية حيث يحدد الأمة بأكملها على أنها الجماعة المكلفة بتنفيذ التشريع، وأنها محور التطور حيث يسيطر عليها مبدأ الإخاء والتضامن، ووسيلتها في تحقيق أهداف الإسلام هي الجهاد الذي يتسم بالشمول في مفهومه وأبعاده وتطبيقه، ولذلك فقد وضعه الإسلام في قمة تكاليف الأمة فيقول الرسول ﷺ: «ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه الجهاد» رواه ابن ماجة.

ثامنا: السيادة.

يشير مفهوم السيادة إلى طول الفترة التي تكون خلالها الإيديولوجيات ذات فعالية، ولقد أثبتت الأديان السماوية، خلافا لغيرها من الأطر الفكرية، أنها قادرة بدرجة أو بأخرى على أن تعيش بعد تغير الظروف التي ظهرت فيها، وتعتبر السيادة من أبرز المحكات على نجاح إيديولوجية معينة.

وقد ظل الدين يمارس دورا في حياة البشرية بسبب أنه يعد جزءا من أساس ثقافة الإنسان، وبسبب الوظائف النفسية والاجتماعية البراغماتية التي يؤديها في مساعدة الفرد على مواجهة تعقيدات الحياة، وبسبب وعي الإنسان بفشل نظامه الاجتماعي في كفاية بعض حاجاته الأساسية، والتي لا يمكن أن يلبيها بديل آخر سوى الدين.

وإن حقيقة سيادة الإسلام تؤكده خبرة العالم الإسلامي زمانا ومكانا، وإذا كان التاريخ هو المختبر الحقيقي لصلاحية الأفكار والإيديولوجيات، فإن تاريخ انتصار الدعوة الإسلامية هو دليل قوى على كمال وسيادة الإسلام، وفي العالم الإسلامي فإن الحياة السياسية الداخلية لم تصبح في أي وقت من الأوقات علمانية بشكل كامل حتى في تركيا التي تحول نظامها على المستوى الرسمي منذ فترة مبكرة إلى نظام علماني، وعلى الرغم من التغيرات التي طرأت على العالم الإسلامي خلال القرن الماضي أو القرنين الماضيين، ومن قوة واستمرارية عملية التغريب والعلمنة في بعض المجتمعات الإسلامية، فإن هذه العمليات لم تنجح في إزاحة أو إضعاف الارتباطات الدينية للغالبية العظمى من أفراد المجتمع، ولم تحدث علمنة في عالم الإسلام، وأن سيطرة الإسلام على المسلمين، تعتبر الآن ـ وفي بعض جوانبه ـ أقوى مما كانت عليه منذ قرن مضى، وبشكل أو بآخر فإن الإسلام يعتبر مقاوما لعملية العلمنة، وأن الشيء الملفت للانتباه هو أن هذه الظاهرة تعتبر أمرا حقيقيا في كل الأنساق السياسية الإسلامية.

وتتأكد هذه الظاهرة من خلال ملاحظة ما يحدث في الوقت الحاضر من انحدار أهمية القومية وما يلازمه من انتقال إلى الإسلام كبؤرة للحركات الشعبية، فالأمر الذي لا يحتاج إلى نقاش هو التقبل البعيد المدى من جانب الجماهير المسلمة للايديولوجية الإسلامية، حيث اتجهت الشرائح الاجتماعية لأن تنظر إلى الليبرالية والاشتراكية، على أنها أنساق قيمية مستوردة يجب أن يتم إحلالها بإيديولوجية إسلامية، ومن ثم فقد ظل الإسلام وبشكل واضح هو الإيديولوجية الأكثر قبولا للاتفاق في البلاد الإسلامية على نحو يفوق إلى حد كبير البرامج أو الشعارات السياسية، ولايزال الإسلام هو الأساس الأكثر قبولا للحكم، ولايزال هو الصيغة الأكثر وضوحا للأفكار والمعايير والقوانين الاجتماعية والمثاليات والطموحات.

وبطبيعة الحال فإن سيادة الإسلام لا تنبع من فراغ، ولكنها ترجع إلى عوامل متعدد من أهمها: مايتسم به الإسلام من قوة خاصة في ذاته، حيث يمثل نظرة شاملة للحياة، ويتغلغل في كل جوانبها، ويصبغها بصبغة دينية، وحيث يسود الاعتقاد بأن الإسلام على حق خلافا للقيم الغربية المستوردة.

ومن ثم فهو يمثل إيديولوجية مألوفة وذات صبغة محلية تتسم باليقين، وتقدم رباطا قويا مع الماضي، وخريطة إدراكية مألوفة لتفسير الواقع، وآلية فعالة لتأسيس المجتمع المترابط والهوية المشتركة، وأملا ووعدا بمستقبل أفضل لأولئك الباحثين عن مراسٍ آمنة في عالم متغير على نحو سريع■

الجوانب الاقتصادية لفريضة الزكاة

بقلم: زيد بن محمد الرماني

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، كما في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: بني الإسلام على خمس: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً».

والزكاة بالنسبة للمزكي امتحان لإيمانه بالله عز وجل، وعلاج لأمراض الشح والبخل والطمع عنده، فضلاً على أنها عبادة لله وامتثال لأوامره سبحانه.

والزكاة بالنسبة للمزكى له فيها شعور له بأنه جزء من المجتمع، وأنه يأخذ حقه، وليس منّة من أحد، وفيها تحقيق لمعنى التكافل والضمان الاجتماعي في أفضل صوره.

والزكاة بالنسبة للمال المزكى منه تطهير وتنمية له، وحافز للقيام بالعمليات الإنتاجية والاستثمارية.

والزكاة كذلك تساعد في علاج ظاهرة البطالة، وأيضاً في علاج ظاهرة الفقر.

والزكاة - كما يقول الفقهاء - هي حق واجب في مال مخصوص «هو مال الزكاة»، على أوصاف مخصوصة «هي شروط وجوبها»، لطائفة مخصوصة «هم مصارفها الثمانية»، في وقت مخصوص «هو حولان الحَوْل».

والزكاة واجبة شرعاً، جاء في القرآن الكريم قوله سبحانه وتعالى: (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة..) البقرة - ٤٣، وقوله: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) التوبة - ١٠٣، وقوله: (والذين في أموالهم حق معلوم. للسائل والمحروم) المعارج ٢٤ - ٢٥.

ومن السنة النبوية، حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم بالسنين (القحط والجدب)»، وقول الرسول عليه الصلاة والسلام لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه لليمن «فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»، وقد أجمعت الأمة على وجوب الزكاة، إذا تم استيفاء شروطها سواء بالنسبة للمزكي من الإسلام والحرية، أو بالنسبة للمال من الملك التام، وبلوغ النصاب وحولان الحَوْل. والزكاة تصرف (للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها، والمؤلفة قلوبهم، وفي الرقاب، والغارمين، وفي سبيل الله، وابن السبيل، فريضة من الله)، كما في الآية ٦٠ من سورة التوبة.

وفيما يلي نستعرض أهم الجوانب الاقتصادية لفريضة الزكاة:

أولاً: إن من حسنات سهم الغارمين، تعويض المدينين عمّا يلحق بهم من خسائر، وإيجاد نوع من الاطمئنان لدى المتعاملين «الدائن والمدين»، مما يدعم الائتمان والاستقرار الاقتصادي، ويشجع أصحاب المهارات على الدخول في الاستثمارات الحلال والبذل في المصالح العامة.

ثانياً: إن الإنفاق في الرقاب من شأنه أن يحرر قوة عاملة لا بأس بها لتسهم في الأعمال الاقتصادية، بما يعود عليهم وعلى المجتمع بمزيد من الإنتاج الذي يزيد فرص الاستثمار.

ثالثاً: لم يجعل الإسلام جمع الزكاة سُخرة من دون أجر، رغم ما في ذلك من فضل، بل قرر الإسلام صراحة ألا يؤدي أي إنسان عملاً إلا ويحصل على أجرة، وسهم العاملين عليها أول دعوة إلى إطلاق الحوافز المادية، فكلما اجتهد العامل في جمع الزكاة وأحسن الأداء، كلما زاد الدخل من الزكاة وارتفع سهم العاملين عليها، ليفي بأجورهم كاملة منها.

رابعاً: يظن بعض الناس خطأً أن الزكاة تشجّع على البطالة، وهذا الظن غير سليم لأمور منها:

١ - العمل في الإسلام فرض على القادر عليه، وحق له في نفس الوقت، قال سبحانه: (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) الملك - ١٥.

٢ - الزكاة لا تعطى إلا للعاجزين عن الكسب، فلا تعطى للقوي القادر على العمل، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي» وقوله: «لا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب».

٣ - من المعلوم اقتصادياً أن عملية إعادة توزيع الدخل من شأنها أن تقلل من حدة التفاوت في الدخول، وهذا أمرٌ له تأثيره في علاج ظاهرة البطالة.

٤ - إن توجيه حصيلة الزكاة إلى طائفة من المجتمع يزيد عندها الميل الحدي للاستهلاك، يترتب عليه زيادة في طلب سلع الاستهلاك، وهذا بدوره يؤدي إلى رواج السلع الإنتاجية، فيزيد الإنتاج، ومن ثم تزيد فرص العمل تبعاً لذلك.

خامساً: يظن بعض الناس خطأً أن الزكاة تشجع على التسول، وأنها صدقة تعطى لكل سائل، وتوزع على كل متسول، والحقيقة أن الزكاة إذا فهمت كما شرعها الإسلام، وجمعت من حيث أمر الإسلام، ووزعت حيث فرض الإسلام، لكانت أنجح وسيلة لعلاج ظهرة التسول، عن عبدالله بن عدي الخيار رضي الله عنه أن رجلين أخبراه أنهما أتيا النبي صلى الله عليه وسلم يسألانه الصدقة، فقلّب فيهما البصر، ورآهما جَلْدَين، فقال: «إن شئتما أعطيتكما، ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب».

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن يأخذ أحدكم حبله، ثم يأتي الجبل فيأتي بحزمة من حطب على ظهره، فيبيعها، فيكف الله بها وجهه، خيرٌ له من أن يسأل الناس أعطوه أومنعوه».

سادساً: إن الالتزام بإخراج الزكاة يحدُّ من الاكتناز، ويحفز مالك النصاب على استثمار أمواله. كما أن إنفاق الزكاة عى مستحقيها يقود إلى زيادة دخول الفقراء والمساكين، ومن ثم زيادة إنفاقهم الاستهلاكي، وهذا يدعو المنتجين لزيادة إنتاجهم، لمواجهة الزيادة في الطلب على السلع والخدمات، وهذا يستدعي المزيد من الاستثمارات، وكذا المزيد من الأيدي العاملة للقيام بالعمليات الإنتاجية والاستثمارية.

وهكذا تؤثر الزكاة على الطلب الكلي والعرض الكلي، والإنتاج الوطني، والاستثمار الوطني، والدخل الوطني، والعمالة وفي الختام، يمكن القول:

١ - إن انتشار ظاهرة الفقر والمسكنة في المجتمعات الإسلامية، يمكن إرجاع سببيهما إلى البُعد عن المنهج الإسلامي، وكذا عدم قيام أفراد المجتمع المسلم بأداء ما افترض عليهم، ومن ذلك فريضة الزكاة، وهكذا نجد مصداق كلمة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه «ما جاع فقيرٌ إلا بما منع غني»، وقول معاوية رضي الله عنه: «كل سرفٍ فبإزائه حقٌ مضيّع».

٢ - يحدثنا التاريخ الإسلامي أن هناك عصوراً شهدت رخاء ورفاهية، حتى إن الزكاة لا تجد من يأخذها، وكان مصارفها ليسوا في حاجة، كما في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعهد عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، الذي قال واليه في أحد الأقاليم: «لم أجدْ مَنْ يأخذ الزكاة». ■

الإسلام والاقتصاد

بقلم: كمال خضر

يرى الإسلام أن الإنسان مكون من جسد وروح حيث الجسد عارض والروح هي الأبدية ويرى أن أساس بناء المجتمع يكون في تعاون وتعاضد أبنائه «مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»، أما أسس الفكر الاقتصادي الذي تقوم عليه العقيدة الإسلامية فيتمثل في: الحركة الاقتصادية المقيدة وفي الملكية الفردية والملكية العامة وفي العمل والضرائب والمعاملات والفائدة.

أولاً: الحرية الاقتصادية المقيدة:

الإسلام يؤمن بالحرية الاقتصادية للفرد، لكن تلك الحرية هي حرية مقيدة وليست مطلقة حيث يسمح للفرد بممارسة النشاط الاقتصادي الذي يرغبه بشرط أن يكون ذلك النشاط مشروعاً ويسمح للدولة بحق التدخل لمراقبة هذا النشاط، والنشاط الاقتصادي المشروع هو الذي يمارس «بالحق والحلال» أما النشاط الاقتصادي غير المشروع، فيتمثل في الربا (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) البقرة / ٢٧٦، وفي الغش «من غشنا فليس منا» وفي الاحتكار «المحتكر ملعون»، وهكذا فالإسلام يسمح بالنشاط الاقتصادي والتكافل والتراحم والتعاطف والصدق والعدل ويحرم النشاط الذي يؤدي إلى الإسراف واكتناز الثروة، إذن فالإسلام يسمح للدولة بالتدخل في النشاط الاقتصادي وذلك لأن المال في الإسلام كله لله (له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) طه ـ ٦، وأن الإنسان مستخلف على هذا المال ويكون تدخل الدولة ضمن حدود القانون «الشريعة» من أجل فائدة المسلمين ومن أجل خدمة المجتمع.

ثانياً: الملكية: يقسم الإسلام الملكية إلى نوعين:

١ ـ ملكية فردية.
٢ ـ ملكية عامة.

الملكية الفردية: يشترط الإسلام وجود هذه الملكية في أيد أمينة لأن الملك لله، والإنسان مؤتمن على ملك الله، وتتعدد مصادر هذه الملكية إذ يمكن الحصول عليها من العمل ـ الميراث ـ إحياء الأرض الموات ـ الصيد ـ الغنائم ـ استخراج ما في الأرض ـ الصدقة. ويحرم الإسلام كل ملكية تأتي بطريقة غير مشروعة ويكون مصدرها السلب والنهب والسرقة.

أما الملكية العامة: يقصد بها الأموال المخصصة للمنفعة العامة «المسلمون شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار و أضاف في حديث آخر ـ الملح» والملكية العامة لهذه الأشياء الأربعة يمكن أن تنسحب على كل الأشياء الضرورية لجميع المسلمين في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وقياساً على ذلك يمكن أن تشمل الملكية العامة كل الموارد التي تهم الناس مثل الغابات والمعادن الثمينة في باطن الأرض كالمعادن والكبريت و ... إلخ آخذاً بقول الله تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) البقرة ـ ٢٩، ويمكن أن تشمل هذه الملكية المرافق العامة والطرقات ومجاري الأنهار... في الوقت الحاضر، أما أهم مصادر الملكية العامة فهي: أراضي الفتح «الأراضي التي لا تعود ملكيتها لأحد»، والأراضي التي لم يستصلحها المسلمون، والضرائب الإسلامية المتمثلة بالزكاة والجزية والخراج «أجرة الأرض التي يملكها الأفراد» والخمس «وهو اقتطاع خمس الغنائم لبيت مال المسلمين» وعشور التجارة.

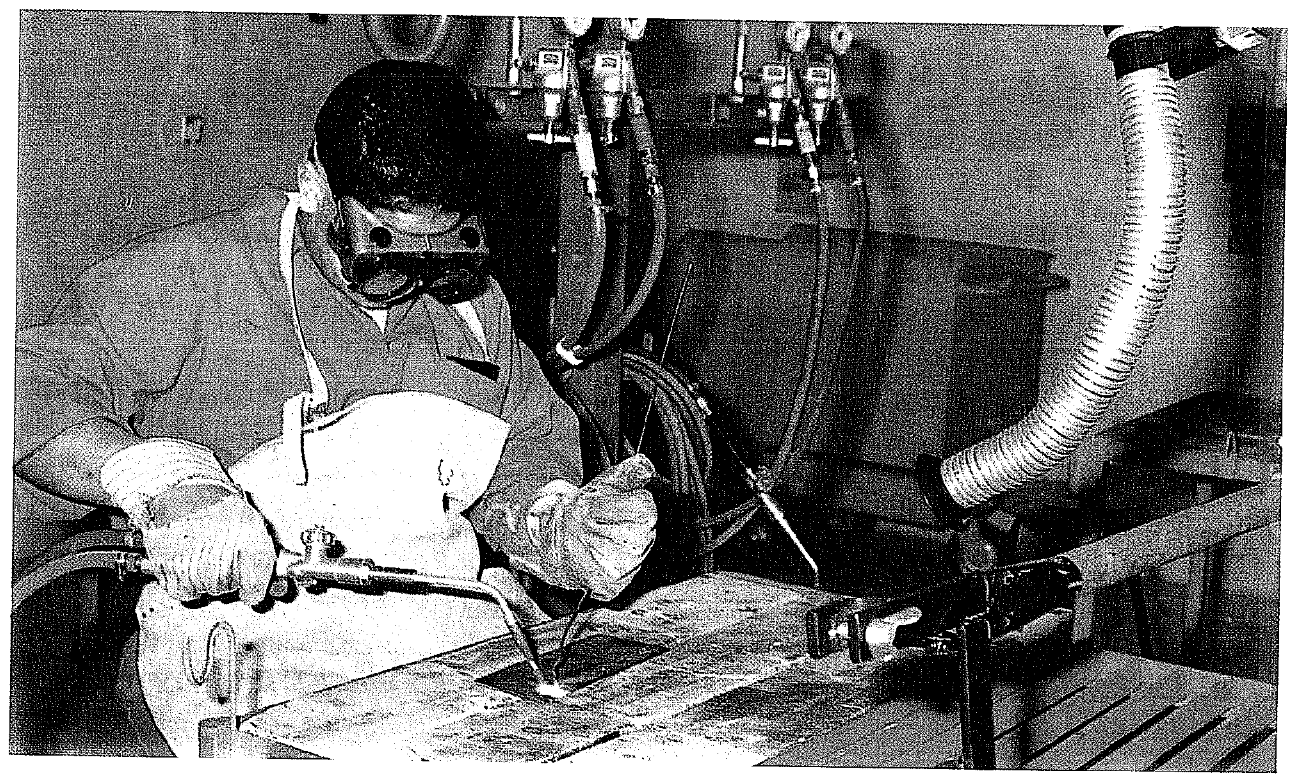
ثالثاً العمل:

يربط الإسلام بين العمل والإيمان «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو بهيمة أو إنسان إلا كان له به صدقة» ويعتبر الإسلام العمل فرضاً يضاهي الفرائض الأخرى، «طلب الحلال فريضة بعد الفريضة» يقول صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب العبد المحترف» وهكذا فالإسلام يقدر العمل ويقدسه وهو يقر حق العامل في الأجر «من استأجر أجيراً فليسم له أجره».

وهكذا يقرر الإسلام بأن العمل هو أساس الملكية «من أحيا أرضاً ميتة فهي له».

رابعاً الضرائب:

الفكر الإسلامي يرسي قواعد ومصادر ومنافذ للضريبة (وويل للمشركين. الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون)



فصلت ـ ٦ و ٧، والضرائب تجبى من الأغنياء ومن أجور الأرض والمغانم ومن أشكالها الزكاة ـ الخراج ـ الجزية ـ خمس الغنائم ـ عشور التجارة.... إلخ، وتهدف تزويد بيت مال المسلمين «إدارة الدولة» بالأموال اللازمة لها من أجل النفقات العامة والفقراء والمساكين... (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) التوبة ـ ٦٠.

وهكذا نرى أن النظام الضريبي في الإسلام يهدف إلى إرساء دعائم سلطة الدولة (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) النساء ـ ٥٩.، وتأمين حاجاتها من الأموال وإقامة العدالة ومساعدة الفقراء وتهدف أيضاً إلى إصلاح النفس والضمير، والإسلام أعطى مكاناً مرموقاً للتجارة وجعلها أهلاً للتكريم والتقدير لقناعته أن (تسعة أعشار الرزق في التجارة)، وأكد أن ضرورة ممارستها ضمن حدود الأخلاق ومراعاة الروابط الأخوية بين المتبادلين «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»، والابتعاد عن الغش في التجارة، والتسهيل في البيع والابتعاد عن الاحتكار «ابشروا فإن الجالب إلى سوقنا كالمجاهد في سبيل الله وأن المحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله» ويرى الإسلام وجوب الأمانة في التبادل كما أن الإسلام يدعو إلى السعر العادل ويسمح بتدخل الدولة في تحديد الأسعار ومنع ارتفاعها وذلك لمنع استغلال الناس بعضهم بعضاً والإضرار بهم. ويدعو الإسلام إلى ضرورة تنظيم التجارة (واشهدوا إذا تبايعتم) البقرة ـ ٢٨٢ أي اعتماد العقد منعاً للمكر والاحتيال والغش، ويأمر الإسلام باحترام وتقديس هذه العقود: (يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود) المائدة ـ ١، لقد قسم الإسلام العقود إلى: عقود بيع، وعقود تقسيط، وعقود السلم «وهو بيع سلعة غير موجودة عند البائع وقت العقد»، ويحرم الإسلام عقود الأسواق الآجلة «لا تبع ما ليس عندك» وعقود المضاربة «ولا يبع بعضكم على بيع بعض».

خامساً الفائدة:

يحرم الإسلام الفائدة «الربا» وكان تحريم الإسلام للفائدة «الربا» شاملاً وقاطعاً «لعن رسول الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهده وقال: هم سواء»، وسبب تحريم الفائدة هو انها لا تأتي نتيجة للعمل ولا تزيد في القيمة (وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله) الروم ـ ٣٩ كما أن الفائدة تتنافى وتقديس العمل، ويعتبر الإسلام فائدة «ربا» كل زيادة نتيجة للإقراض «كل قرض جر منفعة فهو رباً»، كما أن الإسلام دعا إلى استثمار رؤوس الأموال وإلى عدم تجميدها (الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) التوبة ـ ٣٤، كما أنه يدعو إلى الإدخار وعدم الهدر والتبذير (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) الإسراء ـ ٢٩، وهكذا نرى أن الإسلام كفكر بحث في الجوانب المختلفة للنشاط الاقتصادي والاجتماعي وبدقة متناهية. ■

الأمراض السيكوسوماتية

طب وعلوم

امراض العصر - نشأتها وعلاجها

لقد بدأ العلماء في بداية القرن العشرين يوسّعون من مفهوم العلاقة المتداخلة بين الجسم، والنفس. فقد أدت عدة تطورات في مجالات علم النفس والفسيولوجيا والطب الى نشوء الاتجاه السيكوسوماتي الحديث. ولعل اهمية ماجاء من نتائج البحوث في اثر العوامل السيكولوجية على الوظائف الفسيولوجية لدى الانسان والحيوان، حيث كانت البحوث الرائدة «لبافلوف» على الفعل المنعكس الشرطي لافراز اللعاب ثم ابحاث كانون في الآثار الفسيولوجية للمنبهات الانفعالية القوية ومن بعدهما «سيلي» في الاعراض الجسمية الناشئة عن التعرض الطويل لاي نوع من انواع الاجهاد والشدة.

كذلك يرجع الفضل في الاتجاه السيكوسوماتي الحديث الى التحليل النفسي حتى وصل الى النظرية النوعية في الامراض السيكوسوماتية وقدمت نظرية حول دور الصراعات والكبت وغيرها من ميكانيزمات التحليل النفسي في نشوء بعض الامراض الجسمية.

بقلم الدكتور: محمد محمد عيسوي الفيومي

ولقد أدخل مفهوم الطب السيكوسوماتي بعد اعادة استخدام مصطلح سيكوسوماتي على يد بعض علماء النفس الذين اوضحوا ان الاعراض السيكوسوماتية هي الناتج النهائي للعمليات الفيزيائية الديناميكية الطويلة الامد والتي تمتد جذورها الى الاضطرابات التي حدثت في الماضي كما ذكر ان اختفاء الاختلال الوظيفي للعملية العضوية يحدث عندما تخرج الصراعات من دائرة اللاشعور الى الشعور.

وقد افترض ان الاضطرابات السيكوسوماتية لايتم علاجها عن طريق علاج اعراضها الظاهرة فحسب، بل لابد ان يتضمن معرفة اسباب المرض وخلفيته ثم علاجها، ولابد ان يتضمن ذلك الصراع النفسي اللاشعوري.

وتؤكد الدراسات ان مصطلح الطب السيكوسوماتي اصبح واسع الانتشار كما أوضحت العلاقات المتداخلة بين محددات المرض السيكوسوماتي.

اذ اكدت الحاجة الى الاتجاه الشمولي في التعامل مع المرضى جميعا وليس فقط أولئك الذين يعانون من الامراض السيكوسوماتية.

ولقد اعتمدت الابحاث على الملاحظات الكلينكية والبحث عن العلاقات بين انماط محددة للشخصية وبعض الامراض السيكوسوماتية المعينة، وهكذا اتجهت الدراسات الطبية الحديثة بصفة عامة والدراسات الكلينكية بصفة خاصة الي النظر الى الظواهر الجسمية والنفسية كتعبيرين مختلفين عن وحدة الحياة الانسانية فاصبح شعار الاطباء« احرى بنا ان نعرف حقيقة المريض الذي انتابه المرض من ان نعرف حقيقة المرض الذي انتاب المريض».

مما يعني ان معرفة شخصية المريض واحواله لاتقل اهمية بأي حال عن اهمية معرفة طبيعة المرض واعراضه. ومن هنا تبدو الحاجة ملحة الى اجراء الدراسات العلاجية التي تركز على التطبيق الكلينكي للاساليب السيكاترية في معالجة الاضطرابات السيكوسوماتية.

وبناء على ذلك .. يمكن اجمال الاتجاهات الاساسية في البحث السيكوسوماتي في اتجاهين:

الاول: خاص بتحديد المتغيرات السيكلوجية التي يفترض انها تكمن وراء العلل الجسمية المعينة، وقد استوحى هذا الاتجاه نظرية التحليل النفسي وألح على أهمية العوامل الدافعية اللاشعورية، فالصراعات اللاشعورية التي يفترض انها السبب في حدوث المرض وقد ازدهر هذا الاتجاه في العصر الحديث.

الثاني: خاص بمحاولة اكتشاف افضل الاساليب العلاجية للاضطرابات السيكوسوماتية ومحاولة التخفيف من حدوثها.

ويمكن ان نرى لهذين الاتجاهين غاية مشتركة تتمثل في تحديد الدور المهم للمتغيرات السيكلوجية لدى الانسان ومقابلاتها الانفعالية في التأثير على

الاضطرابات السيكوسوماتية لايتم علاجها عن طريق علاج اعراضها الظاهرة

الوظائف الجسمية وبخاصة مايتعلق منها بنشوء ونمو ومسار نتائج الامراض الجسمية وتقديم افضل سبل العلاج لها. ومحاولة تدعيم الخطط الوقائية والعلاجية بحيث تتسع قدرة الانسان على السيطرة على المرض.

ولقد اظهرت الدراسات الطبية الحديثة بصفة عامة والدراسات الكلنيكية بصفة خاصة كيف يمكن ان تؤثر الاضطرابات الانفعالية في بداية واستمرار الاضطرابات السيكوسوماتية.

تعريف الامراض السيكوسوماتية:

تعرف الامراض السيكوسوماتية بالامراض الجسمية المألوفة للاطباء والتي يحدث بها خلل في جزء من اجزاء الجسم او في وظيفة عضو من اعضائه نتيجة اضطرابات انفعالية مزمنة نظرا لاضطراب حياة المريض والتي لايفلح العلاج الجسمي الطويل وحده في شفائها شفاء تاما لاستمرار الاضطراب الانفعالي وعدم علاج اسبابه النفسية الى جانب العلاج الجسمي وتعرف الامراض السيكوسوماتية اجرائيا بأنها الدرجة التي يحصل عليها المفحوص على اختبار الامراض السيكوسوماتية.

نشأة الامراض السيكوسوماتية:

لقد عاش الفكر الفسيولوجي فترة من الزمن يبحث عن تفسير نشأة الامراض السيكوسوماتية الذي عجزت الممارسات الطبية التقليدية عن شفائها او التخفيف من حدتها ومن ثم بدأت تنشأ نظريات متعددة تحاول كل منها تفسيرها.. نذكر بعضها:

العلاقة بين الانفعال ومصادره:

هناك عدد من النظريات التي تناولت العلاقة بين الانفعال ومصادره، واول هذه النظريات تعرف بالنظرية الفسيولوجية الحشوية، وتؤكد هذه النظرية على ان مصدر الانفعال يؤدي الى الاضطرابات الفسيولوجية الحشوية ومن مجموع الاحساس بهذه التغيرات الداخلية تتيح الشعور بالانفعال اي ان الاحساس الحشوي الجسمي يسبق الاحساس الانفعالي فالمثير ينبه احد اعضاء الحس ومن ثم تنطلق تيارات كهربائية صاعدة الى القشرة الدماغية،وتنطلق تبعا لذلك الادراك تيارات اخرى تنبه الاعضاء والاوعية الدموية والعضلات فتصيب هذه الاخيرة الاضطرابات فتنطلق منها تيارات عصبية عائدة الى القشرة الدماغية، فاذا مااستثيرت تلك الاخيرة بهذا الرجع العصبي شعرنا بما نسميه الانفعالات.

وتؤكد هذه النظرية على ان الموقف التنبيهي الخارجي يؤدي الى استجابات فسيولوجية، وهذه الاستجابات الفسيولوجية تؤدي بالتالي الى الانفعال، اي انها تسير على النحو التالي:

مثير- استجابة فسيولوجية- انفعال

والذي يهمنا من خلال ذلك هو ماللانفعال من آثار جانبية وجسمية على الانسان ومايلعبه من دور مهم في احداث المرض.

وتوضح الابحاث الدور الذي يلعبه الانفعال كمسبب للمرض السيكوسوماتي من خلال تراكمه على المستوى الجسدي دون ان يصعد الى الوعي ويتبلور في مفاهيم.. اي ان هناك مايثير الفرد دون ان يعيه تماما فيستجيب الفرد على مستوى جسده ولكن دون ان يفرغ الطاقة الانفعالية في صراع او اللقاء مع آخر فتكون النتيجة حالة من الانفعال الجسدي المزمن دون تفريغ فلا يؤدي وظيفة تكيفية ولايفزع في فعل او تفاعل مع موضوع.

وقد يكون المثير هو تهديد بالعدوان والاستجابة تعني التأهب الجسدي بهذا التهديد ولكن الواقع والبيئة الاجتماعية تقف حائلا دون ذلك فلا تسمح بالتعبير عن هذه الرغبات فتستمر كرغبات جسدية دون مستوى الوعي وتبقى حالة التأهب دون تفريغ فتصبح بمثابة حالة اغراء دون اشباع لكائن لايسمح له بالتعبير او حتى الوعي برغباته.

عاش الفكر الفسيولوجي فترة من الزمن يبحث عن تفسير نشأة الأمراض السيكوسوماتية

ويؤكد علماء النفس على الفروق بين الافراد في الميل للاستثارة والانفعال ومواجهة المواقف المثيرة للانفعال، فقد يستجيب فرد لموقف ما بالغضب بينما يستجيب الآخر لنفس الموقف بالمرح.

ولعل ماجاء فيما سبق يوضح لنا كيف ان الطاقة الانفعالية اذا ماأعيقت عن الانطلاق في شكل سلوك خارجي ازداد تراكمها واشتدت وطأتها مما يساعد ذلك على تضخم الاضطرابات والتوترات الحشوية فيستبب في احداث اضطراب سيكوسوماتي، ويعبر زيوار ابلغ تعبير عما يؤدي اليه كف التعبير عن الانفعال من اضطرابات عضوية فيقول: دلت التجارب الاكلينكية في ميدان الطب النفسي على انه اذا قامت في سبيل التنفيس عن الانفعال عوائق صادرة عن البيئة او من عقائد الانسان وأوهامه فان نضالا يقوم في النفس لايلبث ان يقف منه صاحبه موقف النعامة من الخطر الذي يهددها عندما تضع رأسها في قوائمها فلا تراه.

وبعبارة اخرى فإن طبيعة الانسان ميالة الى التخلص من ألم النضال النفسي بأن يمنع الإنسان موضوعاً من الظهور في حيز الشعور ولكن النضال المستبعد من حيز الشعور يخلق حالة دائمة من التوتر قد تكون سببا في اضطرابات دائمة في الوظائف العضوية.

واذا استمرت الاسباب المثيرة للانفعال واضطر الفرد الى قمعه وكبته استمرت التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للانفعال مما يؤدي في النهاية الى تغيرات عضوية في الانسجة فتكون الامراض السيكوسوماتية المزمنة.

يتبين مما سبق ان الاضطرابات السيكوسوماتية تحدث نتيجة لعوامل انفعالية، لها مصاحبتها الفسيولوجية التي تؤدي الى تغير في بناء الجسم.

تعريف الاضطرابات الانفعالية:

الاضطرابات الانفعالية هي حالات جسمية ثائرة. اي حالات شعورية تقترن

باضطرابات فسيولوجية حشوية مختلفة تغشي الاجهزة الداخلية جميعها، مقترنة بحركات تعبيرية وسلوك خارجي ظاهر تنصرف عن طريقه الطاقة الحشوية، فان حدث ان اعيقت هذه الطاقة عن الانطلاق في شكل سلوك خارجي مناسب بالقول والفعل واضطر الفرد الى قمعه او كبته مالت هذه الاضطرابات الى الازمان مما يؤدي الى امراض جسمية خطيرة هي امراض جسمية نفسية المنشأ والتي تعرف بالامراض السيكوسوماتية.

ويشير زيوار الى ان الامراض السيكوسوماتية لاتدرس بوصفها كذلك في مقررات كلية الطب وبالتالي فان الهيئات الطبية بالمؤسسات بوسعها ان تشخص امراض ارتفاع ضغط الدم الجوهري وقرحات المعدة والاثنى عشر بوصفها امراضا بدنية على حين ان التقدم الطبي في الولايات المتحدة الامريكية ومعظم بلاد اوروبا الغربية يعتبرونها امراضا سيكوسوماتية في الوقت الذي يقف فيه جمهرة من اطبائنا موقفا مختلفا من حيث علم السببية ومن حيث العلاج وينتج عن هذا الموقف خسائر مادية ومعنوية فادحة.

ومن الواضح ان .. الامراض السيكوسوماتية لايمكن شفاؤها شفاء حاسما بتعاطي بعض العقاقير الطبية اذا كانت الحالة العصبية المثيرة للانفعال وللغضب امرا مزمنا واصبح لدى الاطباء قناعة مؤداها انه من الافضل ان نتعرف على المريض الذي انتابه المرض بدلا من التعرف على المرض الذي انتابه وهو اتجاه جديد.

وبذلك تبدو الحاجة ماسة الى تقديم نوع من العلاج النفسي للمرضى السيكوسوماتيين وفي احد الابحاث استخدم الكاتب العلاج المتمركز حول العميل.

والذي ابتكره وطوره كارل روجرز سنة ١٩٦٧. لما يتصف به هذا النوع من العلاج من فنيات تمكن المريض من ان يستبصر مواطن الاضطراب لديه ويحاول ان يصلح ذاته بمساعدة المعالج وهو علاج تستخدم فيه الطرق النفسية لعلاج مشكلات واضطرابات وأمراض ذات صبغة انفعالية يعاني منها المريض وتؤثر على سلوكه.

ولقد احرز المرضى في ظل هذا النوع من العلاج تقدما ملحوظا باستخدام هذا المنهج القصير الذي يستغرقه العلاج وبسبب وضوح النظرية التي يستند اليها حيث يعتبر روجرز ان الذات هي الاساس في عملية العلاج، فاذا استطاع العميل ان يتقبل ذاته اصبح قادرا على ان يتقبل الآخرين.

اثر الانفعال على الجسم :

من خلال استعراض التعريفات المختلفة للاضطرابات السيكوسوماتية يظهر بوضوح الدور الذي تلعبه العوامل الانفعالية في حدوث هذه الاضطرابات وذلك لما يصاحب التغيرات الانفعالية من تغيرات جسمية تعد احد المظاهر الواضحة لردود فعل للضغوط الانفعالية.

ولزيادة ايضاح الاثر الذي يحدثه الانفعال على الجسم لابد من التعرف على التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للانفعال ، فالانفعال استجابة شاملة للكائن الحي ازاء مواقف بيئية مثيرة تدعو لتفاعل الكائن معها وعادة مايصاحب اي انفعال تغيرات في الجهاز العصبي اللاارادي، فاذا كان تفاعل الفرد مع البيئة في صورة تدميرية حيث يأخذ صورة الهرب او القتال هنا يلعب الجهاز العصبي السيمبثاوي دورا مهما وتفرز الغدة فوق الكلوية «الغدة الادرنالية» هرمون الادرنيالين وخاصة في الحالات الانفعالية التي تتسم بالخوف والقلق، فتزيد ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم وتتسع حدقة العين، وترتفع نسبة السكر في الدم.. اما اذا كان تفاعل الفرد مع البيئة بهدف الادماج والبناء كما يحدث في هضم الطعام، هنا تكون الغلبة للجهاز العصبي الباراسيمبثاوي حيث يفرز هرمون «الاستيل كولين» ويتم التناسق الفسيولوجي بين شقي الجهاز العصبي اللاارادي، اي السيمبثاوي والباراسيمبثاوي.

الانفعال استجابة شاملة للكائن الحي ازاء مواقف بيئية مثيرة تدعو لتفاعل الكائن معها

-هذا التناسق الذي يقابل الصحة النفسية وانعدام الصراع الداخلي في مقابل المرض النفسي حيث يكون الصراع بين الجانبين، مما قد يؤدي الى كبت جانب دون الآخر او كبت الجانبين بدرجة مختلفة.

وتتضح مسؤولية الجهاز العصبي اللاارادي وخاصة المجموعة السيمبثاوية عن معظم اعراض القلق والانفعال.

الفرق بين الامراض السيكوسوماتية والامراض العصابية:

يذهب كل من فيش و انجلش الى ان سيكوباثولوجي الاضطرابات السيكوسوماتية لاتختلف اساسا عنها في العصاب، فقد بين فرويد في نظريته عن الليبدو ومفهومه عن القلق ان سيكوباثولوجي السيكوسوماتك يعد استخداماً كاملاً واقراراً للعمليات التي تتم في حالة العصاب. كذلك يفرق يوسف مراد العام١٩٥٤ بين الاضطرابات السيكوسوماتية والعصاب من نواح ثلاث: فالجهاز العصبي العامل في العصاب هو الجهاز العصبي الارادي اما في الاضطراب السيكوسوماتي فهو الجهاز العصبي اللاارادي في الوقت الذي نجد فيه القلق موجودا في الاضطراب السيكوسوماتي يكون هائما طليقا في العصاب، أما العرض فهو رمزي في العصاب وانفعال في الاضطراب السيكوسوماتي ويؤكد الكسندر ان الاختلاف يكون بين الاعصبة الحشوية والاعراض التحويلية، ففي العصاب الحشوي لاتكون الاعراض البدنية بديلة عن انفعالات مكبوتة كما هو الحال في التحويل بل هي احداث فسيولوجية مما يصاحب هذه الانفعالات عادة وتعتبر من هذه الناحية اعدادا للكائن الحي للفعل، ولكنه اعداد جسمي فحسب لكي يكون التكيف، وبالتالي الى تخفيف التوتر كاملين فلابد من فعل متكيف مع الواقع او على الاقل تعبير مناسب عن

الانفعال وعندما تزمن حالة من هذا القبل تصبح مرضية ومصدرا للمرض، ومن هنا تكون الاعراض الجسمية خالية من كل مغزى نفسي ورمزي وانما تعد أثراً بدنيا مباشراً وغير مباشر للصراع.
وهكذا لايكون العصاب الحشوي مثل ارتفاع ضغط الدم محاولة للتعبير عن انفعال او صراع وانما هو مصاحب فسيولوجي ثابت لحالات انفعالية مستعارة، كذلك تعد الاضطرابات المزمنة في حركات المعدة وافرازاتها بمثابة الاحداث الفسيولوجية للانفعال وليست بدلا عن الانفعال.

العلاج النفسي:

العلاج النفسي اصطلاح عام يقصد به استخدام الطرق النفسية والمناهج والنظريات بمختلف انواعها لمعونة من اضطربت شخصياتهم اضطرابا خفيفا او عنيفا من قضم الاظافر والتبول اللاارادي الى علاج عصاب الوسواس، والاضطرابات السيكوسوماتية وذهان الفصام.
وللعلاج النفسي طرق شتى لكل طريقة ميدانها واسلوبها ومايناسبها من الحالات، وقد تسهم عدة طرق في علاج حالة بعينها، ومن هذه الطرق:
العلاج بالايمان، والعلاج بالإيحاء،والعلاج بالاقناع، والعلاج بالتحليل النفسي والعلاج السلوكي، ومن العلاج: السطحي والعميق، الفردي والجماعي، الموجه وغير الموجه، غير انه ومهما اختلفت طرق العلاج العلمي وأساليبه، فهناك خطوات يمر بها كل علاج.

اثر العلاج النفسي:

يتوقف اثر العلاج النفسي على طبيعة المرض النفسي وشدته وطول مدة الاصابة به كما يتوقف على سن المريض وجنسه.
وقد ثبت أنه وسيلة نافذة في علاج كثير من حالات العصاب والاضطرابات السيكوسوماتية فيه يتحرر المريض من القلق الجاثم على صدره، ومن مشاعر النقص والذنب، ومن شعوره بأن الحياة لاطعم لها، وبه يتخفف مما يحمل من كراهية وعصيان وتعصب، ومما يتسم به من اندفاع وتهور، وبهذا يصبح اقرب الى التسامح وسعة الصدر والتعاون والإيثار وبفضله يتخلص من ضروب الكف والتعطيل التي تشل نشاطه العقلي والاجتماعي والجنسي وتجعله عاجزا عن الانتاج والاستمتاع بالحياة، وعن ان يصفح عن عدوانه في المواقف التي كان يخاف من الافصاح فيها عنه.
وعن طريق العلاج النفسي أبصر الأعمى ومشى المقعد الهستيري، وزالت قرحة المعدة الى غير رجعة.
والعلاج النفسي لايؤدي فقط الى راحة المريض من وطأة آلامه واعراضه بل هو الى هذا يزيد من قدرته على تحمل صدمات الحياة وشدائدها. أي أنه يرفع رصيد الاحباط عنده فهو من هذه الناحية بمثابة عملية« تبليد» تقلل من حساسيته الشديدة لعيوبه الشخصية ونقائصه الاجتماعية، او لوخذ ضميره الصارم، هذا فضلا عن انه يعين الفرد على مواجهة مشاكله بطرق اجدى وانفع، واستغلال امكاناته على وجه افضل وتعديل مستوى طموحه مما يتناسب مع مستوى اقتداره وتغيير نظرته الى الناس والى نفسه فيجعله اكثر اعتمادا على نفسه في اتخاذ قراراته وحل مشاكله واكثر ثقة بنفسه في التعامل مع الناس.
ولقد كان علاج الفصام يقتصر على الصدمات الكهربائية بالمخ، ويتلخص في تمرير تيار كهربائي ضعيف بالرأس مما يسبب للمريض تشنجا خفيفا تعقبه فترة إغماء وجيزة.
أما اليوم فقد حلت العقاقير المهدئة مع العلاج النفسي محل الصدمات الى حد كبير فان استطاعت هذه العقاقير انتزاع المريض من عالم الخيال ورده الى عالم الواقع أمكن استخدم عدة طرق للعلاج النفسي معها، لانه يصبح من الممكن مناقشة مشاكله معه ومعونته على مواجهتها بصورة واقعية، ويستخدم اليوم العلاج الجماعي للفصاميين على نطاق واسع بل يستخدم التحليل النفسي لعلاجهم ايضا.
اما حالات الهوس والاكتئاب العنيفة فلا ترى اليوم في المستشفيات، وذلك نتيجة لاستخدام العقاقير المهدئة والمضادة للاكتئاب، فان لم تفلح هذه العقاقير في ضبط حالات الاكتئاب فغالبا ماتستخدم الصدمات الكهربية المتكررة التي تؤدي غالبا الى التحسن اما السبب في ذلك فغير معروف.
ومما يذكر بصدد هذه العقاقير ماظهر من احصاء امريكي حديث ان ٧٠ في المئة او اكثر من العصابيين تخف الاعراض لديهم بدرجة ملحوظة باستخدام المهدئات او مضادات الاكتئاب.
فهناك اكتئاب عصابي غير الاكتئاب الذهني او هما معا، وان اغلب هؤلاء استطاعوا ان يعملوا بكفاءة اكبر في حياتهم، غير ان العلاج بالعقاقير لايتوقع منه ان يحل محل العلاج النفسي حين يتحتم تغيير بناء الشخصية للمريض او تغيير ظروفه الاجتماعية التي تفجر المرض. ■

يتوقف اثر العلاج النفسي على طبيعة المرض النفسي وشدته وطول مدة الاصابة به

المراجع:

١- محمد محمد عيسوي الفيومي: فعالية العلاج المتركز حول العميل في تحسن بعض حالات الامراض السيكوسوماتية ، رسالة دكتوراه. كلية التربية في بنها١٩٩٥،
٢-أحمد عزت راجح: اصول علم النفس، دار الكتاب العربي- الطبعة السابعة. القاهرة١٩٦٨.
٣- احمد عكاشة: التشريح الوظيفي للنفس- دار المعارف- الطبعة الثالثة، القاهرة١٩٧٥.
٤- ابراهيم حامد سليمان المغربي: العلاقة بين مرض ضغط الدم الأولي وبعض القدرات العقلية- رسالة ماجستير غير منشورة- أداب اسكندرية١٩٩٣.
٥-حسن مصطفى عبد المعطي: الأثر النفسي لأحداث الحياة كما يدركها المرضى السيكوسوماتيين مجلة علم النفس ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـــ العدد التاسع -يناير ١٩٨٩ .

الزائدة الدودية والتسمية الخطأ

طب وعلوم

درج الطبيعيون من أنصار «دارون» ـ عالم طبيعة بريطاني شهير وصاحب النظرية الداروينية الشهيرة التي ثبت خطؤها ـ على اعتبار أن الإنسان قد ارتقى في تطوره من سلالة أدنى منه في الرتبة ألا وهي القرود!! وعلى هذا يعتبرون ذلك الجزء الموجود في بداية القولون عند اتصاله بالأمعاء الرفيعة هو بقايا ذلك التطور الذي حدث منذ ملايين السنين ـ حسب زعمهم ـ ويطلقون عليه «الزائدة الدودية».

بقلم: د. أحمد عبدالمنعم عربود

والتسمية هنا خطأ، فهي ليست جزءاً زائداً كما يتصور البعض ـــ بناء على تلك النظرية ـ وهي ليست بلا فائدة لأن القول بأن هناك جزءاً ما في جسم الكائن الحي دون فائدة هو لون من العبث وضرب من الإلحاد وجهل وقصور في تفكير من يقول هذا، فحاشا لله أن يخلق شيئاً دون فائدة، ولقد اقتضت حكمة الخالق أن يجعل لكل شيء من خلقه فائدة سواء علمنا نحن الحكمة من خلقها أو لم نعلم

زيادة الزائدة

وقد يسأل سائل إذا كان هذا الجزء ليس زائداً فلماذا نقوم باستئصاله؟ وللإجابة على هذا نقول: إن الزائدة الدودية كأي جزء من اجزاء الإنسان يصاب بالالتهاب، والالتهاب هنا مضاعفاته خطيرة لذلك نقوم باستئصالها، ولم يقل أحد على الإطلاق بجواز استئصال زائدة سليمة دون مبرر.

والزائدة ـــ التي سنطلق عليها هذه التسمية جوازاً ـــ تعتبر من الخطوط الدفاعية تجاه أي غزو ميكروبي لمنطقة الأمعاء فلا عجب إذن أن يسميها بعض العلماء «لوزة البطن» تشبيهاً لها بلوزتي الحلق اللتان تعتبران من خطوط الدفاع الأولى لأي غزو ميكروبي يصيب الحلق أوالفم، هذا بالإضافة إلى وظيفتها المهمة في الحيوان ممثلة في إفرازها إنزيمات تساعد على هضم مادة «السيليولوز» وهي المادة

الزائدة الدودية ليست جزءاً زائداً كما يتصور البعض، بل هي أحد الخطوط الدفاعية ضد أي ميكروب خارجي يدخل للأمعاء

الموجودة بكثرة في الألياف النباتية.

ولذلك لا نعجب حين نرى أن طول الزائدة الدودية في حيوان صغير كالأرنب «مثلاً أطول منه في الإنسان رغم فارق الحجم الكبير بينهما، وذلك لأن الأول يستهلك كمية كبيرة من الألياف النباتية وبالتالي تظهر حاجة الحيوان لتلك الزائدة.

والزائدة هي ذلك الجزء الأصبعي الشكل الذي يوجد عند التقاء الأمعاء الدقيقة بالأعور وطولها نحو سبعة سنتيمترات، وقد تطول عن ذلك أو تقصر وقد يختلف وضعها بالنسبة للأعور حسب اختلاف الأشخاص.

أهمية الزائدة

وتكمن أهمية الزائدة الدودية فيما تصاب به من التهابات حادة وذلك يحدث إما لانسداد في تجويفها بسبب مواد برازية أو بذور بعض المأكولات « لجوافة مثلاً» أو نتيجة تأثر الأوعية الدموية التي تمدها، أو نتيجة لتأثرها في حربها مع الغزو البكتيري فتصاب بالالتهاب وكأنها تضحي بنفسها من أجل غيرها!

ولما كان التهاب لوزتي الحلق واضحاً ويسهل التشخيص ويستجيب ـ في الغالب ـ للعلاج بالمضادات الحيوية، فإن الأمر يختلف بالنسبة لالتهاب الزائدة، وذلك بسبب وجودها داخل تجويف البطن ـ وهو كما وصفه البعض صندوقا مغلقا ـ لذا وجب التشخيص السريع، والعلاج في الغالب بالتدخل الجراحي خلافاً لالتهاب اللوزتين الحاد.

مرحلة الانفجار

وقد تتفاوت درجة التهاب الزائدة من الدرجة البسيطة CatarrHal or Simple appendicitis إلى درجات أشد، وأشدها حين تتآكل الزائدة تماماً Gangrenous، وهنا تعرض الإنسان

لمضاعفات خطيرة مثل الالتهاب البريتوني الحاد، وهو ما يتخوفه الكثيرون، ويقولون عند ذلك إن الزائدة انفجرت مع ارتفاع نسبة الوفيات نتيجة تلك المضاعفات.

ولكن ليس كل انفجار للزائدة يعني أن الإنسان صار في عداد الموتى، فقد اقتضت حكمة الخالق أن يقوم الجسم بتقليل ذلك الخطر وحصره في منطقة صغيرة من البطن بطرق دفاعية عجيبة سنفرد لها مقالاً إن شاء الله.

وينظر دائماً بعين الاهتمام إلى التهاب الزائدة الدودية في السيدة الحامل في أشهرها الأخيرة، وكذلك في مريض البول السكري وفي الأطفال صغار السن، حيث تقل القوى الدفاعية والمناعية لأسباب خاصة في كل حالة من الحالات السابقة.

وتبدأ أعراض التهاب الزائدة الدودية - بصور مختلفة وإن كانت في صورتها التقليدية - بمغص خفيف حول منطقة السرة مع ميل للقيء وغثيان، وقد يصاحب ذلك ارتفاع طفيف في درجة الحرارة ثم يتركز الألم بعد ذلك أسفل البطن من الجهة اليمنى وهو المكان المعروف لدى كثير من العامة.

مضاعفات الزائدة

هذا وقد يصاحب التهاب الزائدة بعض الأعراض التي تتشابه مع أمراض أخرى مثل الإسهال والإمساك أو الشعور بحرقان في البول أو نزول الطمث في غير موعده عند الإناث.

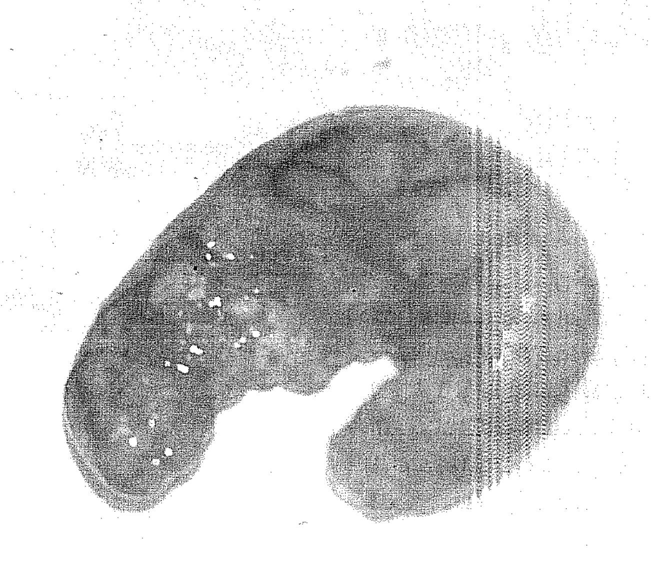
وقد يلجأ المريض أحياناً إلى تناول بعض المسكنات دون الرجوع إلى الطبيب وهنا تكمن الخطورة واحتمالات انفجار الزائدة دون أن يتألم المريض لأنه بتناوله المسكنات قد تخلص من الألم الذي هو بمثابة ناقوس يدق إنذاراً بالخطر.

وتشخيص الزائدة الدودية الملتهبة بالطرق الأكلينيكية سهل وميسور في معظم الحالات ونادراً ما يلجأ الطبيب إلى عمل بعض الفحوصات مثل «عد كريات الدم البيضاء» نوعياً وكلياً أو استخدام بعض الطرق الحديثة في التشخيص.

على أن هناك حالات قد يصعب فيها التشخيص وذلك عندما توجد الزائدة في غير موضعها المعتاد مثل أن تكون راقدة في منطقة تحت الكبد Sub - Hepatic أو في حالات نادرة جداً عندما تكون في الجهة اليسرى من البطن Situs inversus أو في بعض المرضى الذين يعانون من أمراض أخرى مزمنة في البطن والتي لا يتسع المقال لحصرها، وفي مثل تلك الحالات السابقة يكون العلاج جراحياً باستئصال الزائدة وعلاج المضاعفات الناتجة إن وجدت.

ولعل من الطريف أن نستخدم الجراحة التقليدية بالفتح جنباً إلى جنب مع جراحات المنظار التي أخذت في الرواج ولاقت كثيراً من الاستحسان هذه الأيام.

ليس كل انفجار للزائدة يعني أن الإنسان بات في عداد الموتى، فقد اقتضت حكمة الخالق أن يقوم الجسم بهذه المهمة بطريقة عجيبة



● زائدة دودية بعد استئصالها ويظهر عليها من الخارج مظاهر الالتهاب الشديد

الالتهاب المزمن

أما التهاب الزائدة الدودية المزمن - والذي قد يتسبب في بعض الألم المزمن في منطقة الزائدة إضافة إلى عسر الهضم - فغالباً ما يحدث نتيجة التهاب حاد متكرر بالزائدة مع تناول المريض لمثبطات الالتهاب، إما عن غير قصد مثلما يحدث حين يعالج المريض من حالة مرضية أخرى عارضة في وقت حدوث الزائدة، أو خوفاً من إجراء العملية وإما جهلاً منه باستخدام وتأثير الأدوية المختلفة، وغالباً ما ينصح باستئصال الزائدة المزمنة متى شخصت، ولكن مع التراخي، دون انتظار لحدوث التهاب حاد بها حتى لا يحتاج المريض لاستئصالها في وقت قد لا تسمح فيه حالته الصحية بالاستئصال كأن يحدث ذلك في إحدى السيدات الحوامل في أشهرها الأولى أو الأخيرة مع ما يستتبعه من مخاطر العملية الجراحية، وكذلك التخدير، أو أن يحدث ذلك في مريض مصاب بالانفلونزا أو التهاب رئوي حاد، أو غيره مما يعرض المريض للخطر إذا أجريت له العملية وهو في تلك الظروف الصحية الحرجة، عافانا الله وشفانا من كل مرض ومكروه. ■

فكـر

التجديد في الفكر الإسلامي طبيعته ومرتكزاته ومجالاته

من المغامرة أن يحكم الدارس لظاهرة التجديد في الفكر الإسلامي -على اختلاف عصوره- بإنطلاقته نتيجة تخطيط مسبق ودراسة مستوعبة مفصلة لاسباب غياب الاجتهاد والتجديد في حياة المسلمين إنما الانطلاقة كثيرا مايكون مبعثها الشعور بالحاجة الى تغيير يطول حياة الناس والانتقال بهم إلى مستوى من التفكير والخطاب ومن ثمة الممارسة العملية لمقتضيات الخطاب الشرعي المتعلق بأفعال المكلفين غير المستوى الذي ألفوه واستمرأته نفوسهم، ودرج عليه تفكيرهم هذا الشعور الذي يمكننا تسميته بالضرورة النفسية للتجديد.

بقلم: محمد مراح

طبيعة التجديد:-

وبطبيعة الحال فإن هذا الشعور -الذي كثيراً مايصاحبه إدراك لحالة وطبيعة وبعض عوامل الانحطاط والركود- ينشأ لدى فرد أو أفراد ممن يكتب الله تعالى على أيديهم إنطلاقة التجديد المنشود ووضع قواعده وأسسه وتصورات بدائل للواقع المعيش والمعرفة السائدة وبعث روح جديدة في حياة المسلمين مستمدة من (أنموذجية) الصدر الاول للإسلام وطابعه الحي المتحرك المتطور وهكذا نجد بدايات التجديد في فكرنا الإسلامي تتسق مع مالوحظ في طبيعة كل نهضة فكرية من إيثار السذاجة الفطرية والطلاقة المسلكية حتى يتوافر رصيد من التجارب الفكرية تبنى منها مادة لمنهج ينظم مساقات الفكر (١).

لكن ان يعوّل على استمرار عملية التجديد في كل عصر على هذه الانطلاقة الفطرية الساذجة المباركة حتى مع نفاسة الطروحات وجوهريتها وخطورتها في تحدد وجهة التجديد المنشود سوف لن يبلغ التجديد غايته وتتأكد هذه الملاحظة الهامة في عصرنا مما يستوجب الانتقال الى مرحلة التخطيط لهذا التجديد. هذا التخطيط الذي هو تفكير مسبق في عمل محدد وبزمن محدد يستهدف الغايات عن أقرب السبل(٢) فنسلك - لهذا- بالتجديد الفكري والعملي مسالك علمية تنتقل بالاجتهاد- الذي هو وسيلة التجديد- من إطاره الضيق الذي كان يستجيب لضرورات ومستجدات الامور لدى المسلمين في عصورهم السابقة إلى آفاق أرحب.

الاجتهاد استفراغ الطاقة والجهد في ادراك الاحكام الشرعية

فالاجتهاد الذي هو استفراغ الجهد والطاقة في إدراك الاحكام الشرعية يتطلب بالضرورة التسلح بالوسائل العلمية ومناهج البحث الملائمة لطبيعة العصر والحياة في كل عصر. إذا أراد المسلمون ان يعيشوا عصرهم دون ان يتخلوا عن خصوصياتهم الحضارية.

كما أننا إذا نظرنا الى الأدلة التي يستدل بها على مشروعية الاجتهاد نجدها تتسق مع هذا الطرح الجديد لكيفية ممارسة الاجتهاد في عصرنا.

فحديث النبي - صلى الله عليه وسلم- المعروف بحديث معاذ حين أرسله النبي -صلى الله عليه وسلم- الى اليمن، وسأله: بماذا تقضي إن عرض لك قضاء؟فقال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فإن لم تجد؟ قال: اجتهد برأيي ولا آلو فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدره وقال له: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله.

هذا الحديث تصوير لطبيعة الاجتهاد في الاسلام فالاستناد اساسا يكون للمصدرين الاساسيين لكل عملية تشريعية بنائية في الاسلام وهما : القرآن والسنة، وكذلك اعتمادهما باستصحابهما هداية واستيحاء لتوجيهاتهما وغاياتهما في الاجتهاد بالرأي، لحل المشكلات المطروحة في حياة الناس التي تنشألهم من واقعهم المعيش وفق طبيعة العصر فلا يستطيع المجتهد غض النظر عن الواقع وإلا سبح في خيال لاينتهي به إلى نتيجة وحلّ لمشكلة مطروحة.

وعصرنا صارت الحياة فيه مبنية على أسس علمية ودراسات منهجية تأخذ في الاعتبار معطيات الواقع المنظور ومتطلبات المستقبل المنشود.

بناء على ماتقدم ذكره فإن طبيعة التجديد الاسلامي المعاصر ينبغي ان يكون تركيبا متجانسا من:

أولاً: أصولنا الإسلامية وموروثنا الحضاري بعد غربلته وترك مالم يعد مطروحاً او ضروريا في حياة المسلمين المعاصرة.

ثانيا: الاعتماد على المناهج والاساليب العلمية الحديثة في مختلف مجالات المعرفة والعلم، بعد ان تنفى عنها اصولها الفلسفية المادية المناقضة لنظرة الاسلام ويتم هذا التركيب المتجانس وفق رؤية لمسألة «الاصالة والمعاصرة» تتمتع بالخصائص التالية:-

١- ان تنطلق هذه الرؤية وتدور داخل المذهبية الاسلامية معتمدة على مبادئها، ومستعملة وسائلها ومناهجها العلمية والمعرفية.

٢- ان تكون وسائل البحث العلمي ومناهجه الدراسية شاملة للتراث ومستوعبة للمعارف والعلوم المعاصرة وفقا للضوابط الشرعية.

٣- التفاعل مع قضايا العصر من خلال الاسلام

٤- عدم فرض الاحكام فرضا جامدا

٥- الا يكون معيار صحّة حَلٍّ او قضية «الجدّة أو القدم»

٦- مراعاة شروط مقتضيات تغير الزمان والمكان.

٧- اعتبار الاجتهاد البشري في اطار الاسلام اجتهادا غير معصوم.

٨- الانفتاح على العصر من موقع القوة والثقة بالنفس وروح الإبداع والابتكار والاضافة الى رصيد المعرفة البشرية (٣).

لأن المفكر الاسلامي الذي يتبنى هذه الرؤية يعتبر التراث - وهو منطلقه - جزءا منه يريد ان يتطور استنادا وبموافقة خصائصه الثابتة الحية المتطورة كما يريد ان يعيش عصره بل فاعلا فيه لأن ذلك هو دوره في كل زمان ومكان لذا فإن أي تفريط في التفاعل مع شروط المعاصرة يترتب عليه امران:

أولهما: الإخلال برسالته التي ندب للقيام بها، والثاني: فسح المجال لمناهج الباطل ان تحكم وتسود (٤).

فنحن - إذن - في حاجة إلى تجديد مستمد من فلسفة الاسلام الكلية ونظرته إلى الدين والحياة والانسان والمجتمع والتاريخ ومستفيد من كل المدارس القائمة ومن نتائج بحوثها وتحليلاتها دون ان يكون أسيرا لفلسفة واحدة منها، أو لفلسفاتها جميعا.

وهذا يعني التحرر من ربقة التقليد للفكر الغربي بشقيه الليبرالي والماركسي وان نرجع الى الجذور والاصول في تراثنا الحافل، نأخذ منه ونضيف اليه ونعدل فيه وننشيء أجيالا مستقلة الفكر، تجمع بين الاصالة الاسلامية والحداثة العصرية. (٥)

الاحكام بحاجة الى تجديد مستمد من فلسفة الاسلام الكلية والنظر الى الدين الحياة والانسان



مرتكزات التجديد المنشود:-

لكي تتضح طبيعة التجديد في الفكر الاسلامي ينبغي ان نحدد بصورة منهجية المرتكزات التي يقوم عليها هذا التجديد موضحين دورها وأداءها في تحقيق التجديد وهذه المرتكزات هي:

١- أصول الشرع: الأساسية التي يتم منها كل انطلاق في التفكير والبناء وهما «القرآن والسنة».

ولتيسير مهمة التعامل مع هذين الأصلين الثابتين ومسايرة لطبيعة البحث العلمي المعاصر يجب علينا :

أولاً: بالنسبة للقرآن الكريم تقسيم آياته وتكشيفها وفقا لصلة كل مجموعة منها بعلم من العلوم الاجتماعية والسلوكية.

ثانيا: بالنسبة للسنة يجب بعد ترتيب درجات صحتها ومتواترها، وآحادها أن تقسم بدورها حسب الموضوعات المذكورة، فهي مصدر مثمر في إعادة بناء نسق اسلامي جديد للمعرفة الاسلامية ومن ثمة تحقيق التجديد المنشود.

٢- أصول الفقه: لكونه أحد العلمين اللذين اختص بوضعهما علماء الإسلام مع علم اصول الحديث ومصطلحه ولانه طريق لاستنباط كل حكم شرعي[.......] والطريق المتعين لممارسة الاجتهاد وابقاء الباب فيه مفتوحا على مصراعيه (٦) والحاجة ملحة اليوم للتراضي على منهج اصولي ونظام

يضبط تفكيرنا الاسلامي حتى لاتختلط علينا الامور وترتبك المذاهب ويكثر سوء التفاهم والاختلاف في مسائل تتصل بالحياة العامة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية والدولية وغيرها مما يؤثر على وحدة المجتمع المسلم ونهضته (٧) خصوصاً إذا علمنا ان طبيعة المعرفة الحديثة تتطلب مثل هذاالمنهج الاصولي الذي يحفظ للبحث اصالته الاسلامية في التفكير والاستنباط وينفتح على معطيات وفنيات البحث العلمي المعاصر.

وفي مباحث كثيرة من علم اصول الفقه متسع كبير للتجاوب مع هذا التوجه منها مصادر التشريع الاسلامي فيما لا نص فيه او الأدلة المختلفة فيها كالمصلحة المرسلة والاستحسان وسد الذرائع والاستصحاب فهي التي سببت خصوبة التشريع الاسلامي وحافظت على مرونته وحيويته وصلاحيته لكل زمان ومكان (٨).

٣- مقاصد الشريعة: تعرف مقاصد الشريعة بأنها المعاني والاهداف الملحوظة للشرع في جميع احكامه او معظمها،او هي الغاية من الشريعة والاسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من احكامها، ومعرفتها أمر ضروري على الدوام للمجتهد عند استنباط الاحكام وفهم النصوص (.......) فإذا اراد معرفة حكم واقعة من الوقائع احتاج الى فهم النصوص لتطبيقها على الوقائع واذا اراد التوفيق بين الأدلة المتعارضة استعان بمقصد التشريع وان دعته الحاجة الى بيان حكم الله في مسألة مستجدة عن طريق القياس او الاستصلاح او الاستحسان ونحوها، تحرى بكل دقة اهداف الشريعة (٩).

لهذا فإن تأطير حياتنا المعاصرة بتفريعاتها وتعقيداتها في اطار الشرع يحتم على المجتهدين والباحثين تطوير البحث في مقاصد الشريعة واستخلاص نظرية تسمى باسمها وذلك بتنمية دراساتها والعمل على وضع قواعد او ضوابط لها (١٥) انطلاقا من معطيين:

الأول: مااستنبطه علماء الاسلام الأوائل الذين بحثوا هذا الموضوع كالشاطبي في «الموافقات» وبعض المعاصرين الذين أفردوه ببحوث زادته وضوحاً وتنقيبا عن حقيقته كالشيخين محمد الطاهر بن عاشور، وعلال الفاسي في كتابيهما «مقاصد الشريعة» وهذا من خلال استقراء لنصوص الشريعة ومباحث الأصوليين وبخاصة في ثنايا الكلام عن اقسام العلة.

الثاني: الاستهداء بروح علمائنا في بحث هذا الموضوع بالعودة الى النصوص الشرعية وتراثنا الاسلامي وإعادة النظر فيه مجدداً لاستنباط واستخلاص ضوابط ومحددات جديدة تضاف الى ماتم تقريره في علم المقاصد تأتي استجابة لمقتضيات حياتنا المعاصرة فتأسيس جديد لعلم المقاصد في أيامنا هذه يتطلب شيئا من الاحاطة بثقافة العصر وقيمه خصوصاً في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية (١١).

فالتخطيط للمستقبل تخطيطا علميا يضبطه بأصول الشرع وروحه على سبيل المثال يقتضي تجانس علوم المستقبل مع علم الاصول ونظرية المقاصد واضحة وجلية لاغبار عليها والمقارنة بين مناهج الدراسات المستقبلية، ومناهج علم المقاصد على بساط قواعد الاصول تدعم هذا الرأي، بل تنتهي اليه (......).

فمن القواعد المسلمة عند الأصوليين القاعدة الذهبية القائلة (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) هذه القاعدة توضح البرنامج الذي على الفرد ان يلتزم به في حياته ويضعه نصب عينيه لصياغة مستقبله وهو اهتمامه بالأمور التي يلزمه اجتنابها اكثر من اهتمامه بالامور التي عليه ان يفعلها اي انه مطالب بالبحث عن السلبيات لاجتنابها ودوافع الأزمات لكيتها والتلخص منها اكثر من بحثه عن الايجابيات ووصف اشكالها، ذلك ان التخلص من السلبيات هو تلقائيا عمل بالايجابيات.

رفاهية الانسان مقدمة على التفنن في البنيان

وإذا طبقنا هذه القاعدة على ميادين معاصرة أمكننا من خلالها القول في الاقتصاد مثلا ان (تجنب الازمات مقدم على التوسع في التجارات) وفي التربية (محو الأمية مقدم على تعلم اللغة الاجنبية) وفي الهندسة (رفاهية الانسان مقدمة على التفنن في البنيان) وفي مجال السياسة والقضاء (ضمان الحريات مقدم على اجراء التحريات) وهكذا يصاغ سلم الأولويات (١٢).

بمثل هذه النظرة يمكن ان تسلك (نظرية المقاصد) ضمن مناهج البحث الجديدة التي من المأمول ان يتميز بها العقل المسلم المعاصر فضلا عما تمثله من ضمان لربط المعرفة الاسلامية المعاصرة بروح الشرع ونصوصه القطعية الثبوت والدلالة.

مع ملاحظة ان الحديث عن النظرة الجديدة للمقاصد ينطلق من اعتبارها احد المرتكزات التي تتظاهر مع ماذكرناه من مرتكزات في رسم صورة عامة لطبيعة التجديد المنشود.

٤- استلهام الأنموذج التشريعي الاول:-

المقصود بالأنموذج التشريعي الاول هو العقلية والروح التي انطبعت بها عملية التشريع الاسلامي، بدءا من عهد الصحابة ثم التابعين الى عهود الفقهاء الكبار الأئمة الذين وضعوا بمسالكهم وروحهم التي كانت تحكم عملهم التشريعي أسسا ومناهجا وتقاليد علمية في البحث والاستنباط والتفاعل مع واقع الأمة لتنزيل الاحكام عليه بما يتلاءم مع مقتضياته ومتطلباته، مما يساعدنا على تكوين فكرة على دور الممارسة العملية التشريعية في نشأة كل من علم الفروع وعلم الاصول. وهذا الامر يخول لنا القول إن البناء التشريعي والمعرفي الاسلامي الجديد لايمكن ان يجهز ويعُدُّ بمنأى عن الواقع وإفرازاته ومشكلاته والتجربة المتمحضة عن حظوظ الخطأ والصواب او الفشل والنجاح في المشروعات الاسلامية التي يتكون منها البناء الاسلامي الجديد.

٥- الموروث الفقهي: فالفقيه المفكر



المعاصر في مواجهته قضايا الانسان الجديدة الجزئية والكلية لايستطيع ان يستغنى عن المادة المعرفية الفقهية بمذاهبها المتنوعة لأنها عالجت اصلا قضايا ومشكلات الانسان.

والانسان هو في تكوينه البيولوجي في مشكلات حياته في ازماته في آلامه وهمومه، في صراعاته الكثيرة مع العالم الخارجي (١٣).

٦- وسائل البحث ومناهجه المعاصرة: بناء على ماتقدم من حديث حول التطور المعرفي والعلمي الحديث، نتيجة حالتي التأثر بمجريات الحياة والتأثير فيها فالتأثر يتمثل في الاستجابة العلمية لمتطلباتها المتنامية المتطورة، والتأثير فيها بالعمل والبحث على التقدم بها وتطويرها اكثر. فكل علم وكل معرفة يعمل على تحقيق هذه الغاية في ميدانه، ومن ثم تعددت العلوم والمعارف واتسعت المناهج وكثرت.

بناء على ذلك صار لزاما على الفكر الاسلامي المعاصر ان يستجيب لمتطلبات الحياة المعاصرة - بطبيعة الحال- ضمن اطار المذهبية الاسلامية والذاتية الحضارية استجابة قائمة على علم وبحث منهجي يتلاءم مع طبيعة المعارف الانسانية والاجتماعية على وجه الخصوص.

ولهذا فمامن وسيلة صالحة من وسائل البحث العلمي وطلب المعرفة الا والعقل المسلم مكلف باستخدامها والإفادة منها في توليد المعرفة والقدرة على الأداء تستوي في ذلك الوسائل المادية والمعنوية والكمية والكيفية كما تستوي في ذلك الوسائل الاستقرائية والاستنباطية والعلمية والتجريبية والنظرية والتحليلية لاقيد على الوسيلة أيا كانت إلا ان تكون وسيلة صحيحة هادفة إلى الاصلاح (١٤).

مجالات التجديد: إن طبيعة العصر الذي يعيش فيه المسلمون هي التي تحدد مجالات التجديد وعصرنا هذا يقتضي ان تكون عملية التجديد شاملة لمناهج الفكر وهي بالتالي مهمة طلائع الأمة المفكرين المختصين كل من موقع اختصاصه وذلك بأسلمة المعارف ثم إدراجها ضمن البرامج التربوية والتعليمية.

فالتجديد المنشود ينطلق من تجديد الفكر أولا اي تجديد العالم الثقافي وعلى رأسه مناهج العلوم الانسانية والاجتماعية لأن البناء والتجديد الحضاري نتيجة تدرك بإصلاح وتجديد المنظومة الفكرية في المجالات المذكورة ليصبح للمسلمين تميزهم الحضاري الذي يخول لهم الدخول الى المستقبل بكيان حضاري مستقل استقلالية تميز لا انعزال. ■

الفقيه المفكر المعاصر لا يستطيع ان يستغني عن المادة المعرفية الفقهية بمذاهبها المتنوعة

الهوامش:

١- مجلة المسلم المعاصر: عدد ٤٨ السنة ١٢ الصاردة بتاريخ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م في بيروت لبنان ص ٨

٢- د. علي القريشي: التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي: دار الزهراء للاعلام - مصر ١٥/٠٩/١٤٠٩هـ-١٩٨٢ ص ٢٤

حديث مشهور جود إسناده عدد من الأئمة مثل ابن تيمية وابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم اورد ذلك د. يوسف القرضاوي في كتابه من اجل صحوة راشدة ص ١٣٧

٣-محمد مراح: مجلة منار الاسلام العدد الثالث السنة ١٥ الصاردة بتاريخ ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م في الإمارات العربية المتحدة (ص ١١٥-١١٦)

٤- المرجع نفسه ص ١١٤

٥- د.يوسف القرضاوي من اجل صحوة راشدة بتصرف - مجهول دار النشر وتاريخه ص ٣١.

٦- د. وهبة الزحيلي : اصول الفقه الاسلامي جـ١ دار الفكر- دمشق ط -١- ١٤٠٦/٨/١٩٨٦م ص ٨و٩

٧- د. الترابي: تجديد الفكر الاسلامي ص ٨١

٨- د. وهبة الزحيلي المرجع السابق ج ٢(ص ١٢١٠)

٩- المرجع نفسه (ص ١٠١٦)

١٠- د. طه جابر العلواني: اصلاح الفكر الاسلامي - دار الهدى - قسنطينة -الجزائر (سنة النشر مجهولة) - ص ٢٠٠

١١- صلاح الدين الجورشي: مجلة الاجتهاد عدد ٩ السنة ٣ -١٩٩٢ط بيروت لبنان (ص ٢٠٨).

١٢- محمد بريش: مجلة المستقبل العربي عدد ١٤٤ فيفري ١٩٩١-ط بيروت -لبنان ص ٥٠-٥١.

١٣- د. محسن عبد الحميد تجديد الفكر الاسلامي دار الصحوة -مصر ط-١- سنة ١٩٨٥. ص ٦٣-٦٤.

١٤- د. عبد الحميد أبو سليمان: ازمة العقل المسلم- دار الهدى قسنطينه- الجزائر -(ص ١٤٦).

جدلية الكلمة والرسم والخط في بنية الثقافة الإسلامية

بقلم: محمد حسن بدر الدين

الإحساس بجمال الكلمة والتفاعل معها، من أعظم خصائص الثقافة الإسلامية، فميادين الجمال اللغوي والأدبي في اللغة العربية، تفاعل خلاق بين المبنى والمعنى، وبين فنيْ الكلمة وإشعاعها، وهذا الإحساس بالجمال أرساه القرآن الكريم وجعل من القراءة أو التجويد مطلباً جمالياً يؤدى على أحسن وجه.

وحيث يتربى قارىء القرآن على الجمال من الوهلة الأولى، فإنه يكون قريباً من التفاعل الفني والوجداني مع جميع عناصر الكون المنظور والمقروء معاً، ومنسجماً مع قيم الحياة، ويدفعه ذلك إلى التعبير عن تجربته، والتفتح الحسي على عوالم عميقة ومتعدد تتعلق بالذات والحياة.

ولذلك يتفاعل الفنان المسلم مع القرآن لأنه يزوده بشعلة المعرفة وجمال التعبير المنشودين منذ أول آية في المصحف تكفلت بالدعوة إلى تلك المعرفة وربطها في نفس الوقت بميادين الجمال المختلفة.

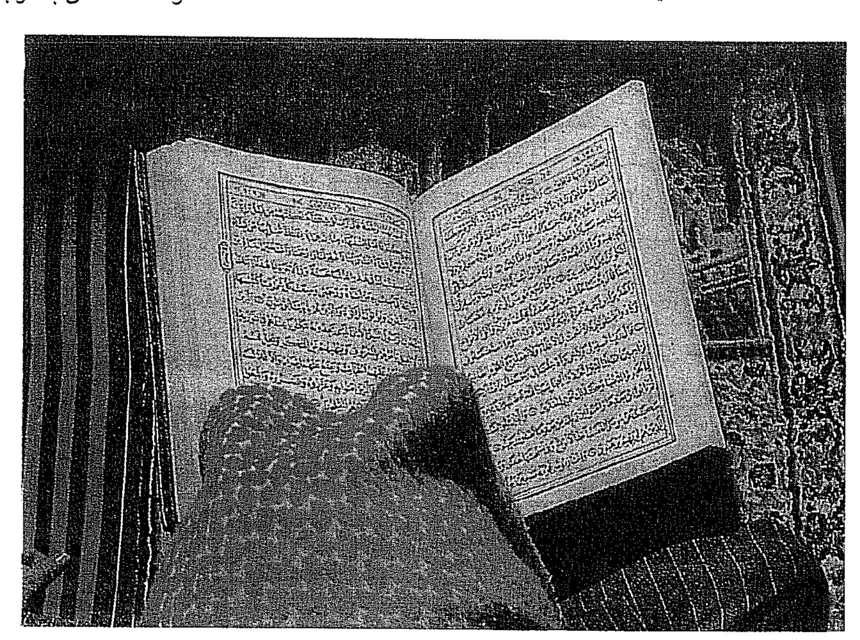
وحدة التصور والفعل «في الكلمة»:

إن الدعوة إلى التأمل في الطبيعة كما وردت في القرآن الكريم لون مبكر من النظر التجريبي والعملي، للخروج من طور الكلمة الجميلة إلى الواقع الجميل، لاستغلاله والانتفاع به، وهذا الانتقال من النظر إلى العمل، ومن التذوق إلى الاستخلاف هو الذي يعطي معنى الانسجام في حياة المسلمين.

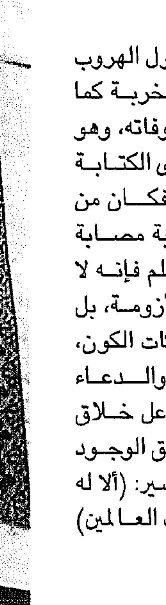
ولا شك أن التفريط في أحد الجوانب وتحطيم هذه النظرة الموضوعية الجامعة بين العلم والعمل تؤدي إلى خسران مبين.

إن عناصر الطبيعة بما أودع الله فيها من جمال وجلال، تحدث هزات روحية دافعة في نفس الإنسان المؤمن، تدفعه إلى التعبير عن طريق الحركة والفكر والوجدان، عما يختلج في روحه من تطلعات وأشواق.

وعلى هذا الأساس لا يوجد في تصور الإنسان المسلم ازدواج أو ثنائية بين فن التعبد وفن التعبير، فكلاهما صادر عن روح تواقة إلى الحق والرشاد والجمال، كما لا يوجد ازدواج بين الالتزام الديني والحدس الشخصي لأن الأول خطوة نحو الثاني، والعبادة في جوهرها حركات تعبر عن التأمل والسمو والاستجابة لمراد الله تعالى من خلقه، فضلاً عن كونها منفذاً تشريعياً عملياً للتخفيف من التوتر النفسي ومنغصات العيش في كبد. وإذا كان بعض الأدباء يجدون في الكتابة ملاذاً من أجل التخفيف من حدة التوتر وآخرون يرون فيها غاية وجودهم جميعاً، فإن الفنان المسلم يتجاوز هذه الدائرة الضيقة، ويجمع بين العمل الإيماني التعبدي والعمل الفني والأدبي، في رباط امتاز لا يوجد له مثيل في الثقافات السائدة التي عرفت تصدعاً في علاقة الدين بالفن، وعلاقة الفنان بالوجود. كان «ابن سينا» يتوضأ ويصلي ركعتين كلما استغلقت عليه مسألة علمية، فتنفتح عليه بعدها أبواب من الاسترخاء والإلهام، بفضل ذلك التوجه الروحي العميق، وفي مقابل ذلك نجد أن أديبا مثل «غراهم غرين» (١٩٠٤ ـ ١٩٩١) يقول في مذكراته: «أعتبر الكتابة شكلاً من العلاج النفسي وأتساءل كيف يمكن لأولئك الذين لا يبدعون أدباً أو رسماً أو موسيقى أن يهربوا من الكآبة والجنون والانتحار».



إن هذا الاعتراف مهم جداً في كشف أن الكتابة عند الغربيين وجيل القرن العشرين بالخصوص تعكس تفريجاً عن هم وكبت، وهي تعويض وتنفيس عن ذات مهمومة وواقع مأزوم، ولذلك تكثر في نصوصهم مظاهر العبث والشذوذ والانحلال والضياع بوصفها أصداء لما في النفس والواقع.



ورغم أن «غراهم غرين» حاول الهروب إلى الإيمان وسط الكنائس الخربة كما قال، فإنه ظل تائهاً إلى يوم وفاته، وهو نموذج لجيل من الكتاب رأى الكتابة بديلاً عن مرض نفسي، فكان من الطبيعي أن تكون تلك الكتابة مصابة بنفس الداء، أما الفنان المسلم فإنه لا يصدر عن هذه الثنائية المأزومة، بل تنسجم روحه مع أعمق حركات الكون، وتعبر عبر الكلمة والصلاة والدعاء والخط والتجويد عن تفاعل خلاق يسبح لله ويستجيب لحقائق الوجود الكبرى، ووحدة الخلق والمصير: (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) الأعراف ـ ٥٤.

وحدة الغيب والشهادة «في الرسم»:

لم يفهم الغربيون أن العبادة في الإسلام مسلك عملي، ومنفذ حركي يتكرر عدةمرات في اليوم، من أجل طاعة الله، والتناغم مع حركة جميع الكائنات في التسبيح والدعاء، ومن أجل التخفيف من أعباء التكليف، ومشقة الحياة الاجتماعية والتوترات النفسية، كما لم يفهموا أن التوجه الروحي في العبادة هو توتر مبدع وإيجابي، ولِّدته تجربة الحدس الشخصي المستجيبة لنداء الحق، وتجربة تذوق ثمار الطاعة، والانشراح بها، وهو بهذا الاعتبار قوة دافعة على الدوام إلى التساؤل والدهشة والبحث، والتفاعل مع جميع عناصر الوجود، ولهذه الأسباب كانت لتلاوة القرآن جملة من الآداب والمبادىء المشتركة تعبر عن التساوق الأصيل بين الرغبة والرهبة، وبين الصوت والصورة، وبين حسن التجويد وحسن الاستماع، وبين الفن والمتعة.

كل هذا يتعلق بفن الكلمة الجميلة المؤثرة المتعلقة بخطوط التواصل مع العقيدة نفسها باعتبارها جوهر التوحيد الدافع لكل صور التعبير والإبداع، ويأتي الرسم ليكمل ملامح الصورة الجمالية في بنية الثقافة الإسلامية، ويزيدها تناسقاً ووحدة، لقد استعمل الفنان المسلم الرسم الهندسي وأكثر من استخدامه على أساس قاعدة التكرار ليخفف نوعاً آخر من التوازن والتكامل مع عقيدة التوحيد أيضاً، وهو إشارة بديعة إلى مبدأ تكرر الإبداع الإلهي المستمر: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) الروم ـ ٢٧.

يتعلق بهذا المبدأ أصل آخر من أصول فلسفة الرسم في الفن الإسلامي، فالفنان المسلم يخرج دائماً عن الحدود المادية المرسومة، سواء أكانت ورقة أم لوحة أم صفحة أم آنية أم سجاداً، وذلك بتكرار الرسم ربعاً أو خمساً أو نصفاً، بحيث يحس الناظر، بكمال الرسم فيما يلي الشيء المرسوم، وفي جميع الاتجاهات، وهو عمل فني مقصود، يدفع الناظر إلى معاودة النظر بالتوازن مع جميع الجهات إلى ما لا نهاية، وهذا التكميل إلى ما لا نهاية له، مستحيل مادياً وعقلياً، ولكن الفنان المسلم يريد أن يجعل الصور التي حركها وزخرفها في كل اتجاه، تعبر عن معاني العجز والقصور، وهذا التصور يجمع المرئي وغير المرئي إلى ما ليس له نهاية وهو إشارة بديعة إلى أن الإدراك الإنساني محدود، وأن إدراكها يعني الإحاطة بعلم الله أو بذاته المنزهة ـ سبحانه ـ وهذا محال، وهو مبدأ التوحيد الأول الذي أراد الفنان المسلم أن يقود إليه رسالة الفن.

إن هذا التصور التنزيهي بعدٌ من أبعاد النظرية الفنية التي تنطبق على جميع الفنون الإسلامية في كل إنجازاتها، وهي في أفق آخر رسم بالتشكيل والأبعاد والعلامات لما في القرآن من آيات، ولهذا السبب ارتبط الرسم بصنعة الخط البديع الذي يربط جمال الصورة بجلال المعنى، فإذا ما رسم الفنان المسلم مشهداً أو لوحة تعبر عن فكرة ما هو غير متناه، خط إلى جانبها في تماوج إيحائي عجيب قوله تعالى: (ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير) الملك ـ ٤.

وحدة الاسم والمسمّى «في الخط»:

لقد استعمل فن الخط عملياً من أجل تجميل الكلمة من الداخل والخارج، أي في حروفها وشكلها البنائي، ثم في محيطها مع مختلف العبارات، وهو مسعىً جمالي مرتبط بمقصد آخر يتعلق بتجويد الكلمة ونطقها نطقاً سليماً، فجمال المكتوب هنا أو جمال المنظور أو جمال المقروء المزخرف بالخط، مرتبط كله بجمال المسموع، باعتبار أن توجيه الحواس نحو ميادين الجمال، مطلب أساسي في الفنون الإسلامية كلها، لأنها مستقاة من جماليات العقيدة، ولذلك يتصل فن الخط بتجميل الأشياء أيضاً، حيث استعمل في تزيين الملابس والأواني والكتب والسجاجيد والمباني، ليعبر بذلك عن توافق وتكامل بين الكلمات والأشياء، أو بين الأسماء التي علمها الله آدم، والمسميات التي تدل عليها، أو بين الداخل والخارج.

إن الأسماء التي أحاط بها آدم، ولم تستوعبها الملائكة، تفيد الكثرة والتنوع، ولذلك استخدم هذا الفن أنواعاً عديدة من الخطوط، وفي ذلك دلالة عميقة على اختلاف الألوان وصور الإبداع وآيات الله المتنوعة في الخلق: (ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) الروم ـ ٢٢. ■

ثقافة

الثقافة والحضارة

بقلم د: أحمد عبدالرحيم السايح

إن كلمة (الحضارة) كلمة لها شأنها واعتبارها ودلائلها، وللوصول إلى معرفة ما بينها وبين الثقافة من وشائج القربى والاتصال، يجدر بنا أن نعرض لمعنى الحضارة لغة واصطلاحاً، فإن معرفة ذلك يجعلنا على وعي تام بما بين الثقافة والحضارة من روابط.

والحضارة في اللغة: ضد البداوة، وقد تطلق على العاصمة من كل بلد، والحضارة ـ بكسر الحاء وبفتحها : الإقامة في الحضر.(١)

والمفهوم الأصيل لكلمة (الحضارة) في اللغة العربية: أنها تعني حياة الحضر، والإقامة الثابتة في المدن والقرى، وعكسها البداوة وهي: حياة التنقل في البادية، وقد عرف العرب الفارق بين حياة البادية وحياة الحضر منذ كانت بادية، ومنذ كان حضرا .

ولقد كان المفكر والمؤرخ الاجتماعي (عبدالرحمن بن خلدون) صاحب سبق علمي في البحث عن الحضارة وتعريفها، تبعاً لمدركات عصره وبيئته.

لقد أبان أنها: (ذلك النمط من الحياة المستقرة الذي يناقض البداوة، فمنشأ القرى والأمصار يضفي على حياة أصحابها فنوناً منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والعلم والصناعة وإدارة شئون الحياة والحكم) وقد عبر عنها ببراعة في كلمتين صغيرتين، يمكن اعتبارهما أكثر تعاريف الحضارة قصراً واختصاراً مع دلالة واضحة(٢) قال: (الحضارة غاية العمران)(٣).

والحضارة عند ابن خلدون: (طور طبيعي أو جيل من أجيال طبيعية في حياة المجتمعات المختلفة) وهكذا البداوة، ولكن البداوة أقدم (والبدو أصل الحضر)(٥)، (والحضارة غاية البداوة)(٦).

ولا بأس أن نذكر عبارات جاءت في الموضوع عن ابن خلدون يقول (إن الحضارة من أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه، وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر، وتقع فيها عند كثرة التفنن في أنواعها وأصنافها، فتكون بمنزلة الصنائع، ويحتاج كل صنف منها إلى القوامة عليه والمهرة فيه)(٧).

على أنه إذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب، على أنها ذلك النمط من الحياة المستقرة، والذي يناقض البداوة، فينشىء القرى والأمصار، إذا كان ابن خلدون بلور هذا المعنى التاريخي، وعد الحضارة غاية العمران، فإن مفهوم الحضارة في عصرنا قد امتد إلى ألوان من المعنى، هي أبعد وأوسع مما رآه ابن خلدون في عصره، وفي بيئته العربية في انتقالها الاجتماعي والثقافي والمدني من البادية إلى الحضر .(٨)

الحضارة عند بعض العلماء

وبعض العلماء يعرّف الحضارة بأنها (مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي والاجتماعي في الحضر(٩)، وهناك من يقول: (إن الحضارة هي الحصيلة الشاملة للمدنية وللثقافة. فهي مجموع الحياة في صورها وأنماطها المادية والمعنوية)(١٠).

ولهذا كانت الحضارة هي الخطة العريضة ـ كماً وكيفاً ـ التي يسير فيها تاريخ كل أمة من الأمم، ومنها الحضارات القديمة، والحضارات الحديثة والمعاصرة، ومنها الأطوار الحضارية الكبرى التي تصور انتقال الإنسان أو الجماعات من مرحلة إلى مرحلة.

والحضارة باختصار شديد، هي: (جملة المظاهر المعنوية التي يخلفها التاريخ والتي تبقى في المجتمع على مر الأيام دليلا على القدرات الذهنية المميزة، وتعبيرا عن روح هذا المجتمع والشعب الذي يمثله) ولاشك أن المظاهر المعنوية تأخذ قوالب مادية مختلفة تتجسم فيها تلك المعنويات وتتشكل المظاهر المعنوية في صور مختلفة كالفنون، والآداب، والعلوم، والمعارف، ومجموع ماينتج عن ذلك كله من تسجيلات ومشاهد في الآثار والعمائر وأسلوب الحياة، وآداب المعاش اليومي، وتقاليد المجتمع ، في التقارب، والتفاهم، والتعايش.

الحضارة تعني بمفهومها حياة الحضر والإقامة الثابتة في المدن والقرى فهي عكس البداوة التي تعني التنقل في البادية

وإذا كان هناك من يعرّف الحضارة بأنها: (الحصيلة الشاملة للمدنية وللثقافة) كان علينا أن نجلي هذه الحصيلة التي تجعل الثقافة أصلا فيها.

ويذكر العلماء: أن المدنية هي الوسائل والأدوات التي يستعين بها الإنسان على تحقيق حضارته، وهي الأشياء والأدوات المادية العديدة التي تعين الإنسان على التقدم في مضمار الحضارة. وإذا كانت الحضارة هي الإبداع في مجالات الفنون، والمعارف، والعلوم المدنية، فالمدنية: هي

السبيل إلى تذليل الصعاب الحضارية، والأدوات المادية التي تبلغ بها الحضارة مستوى الإبداع والتقدم.

وكلما سيطرت الحضارة على وسائلها المادية أمكننا أن تحقق ألوانا من الفن والإبداع الذي تسجله الحضارة في جملة مظاهرها المعنوية.

وقد تؤدي المعنويات المختلفة إلى رفع مستوى التقدم الحضاري، وقد تؤدي إلى تخلفه وانحداره، والذكاء الإنساني في مجال استخدام الماديات هو: الحكم على توجيه الماديات، فإما سيرا حثيثاً نحو الإبداع والتألق والتقدم، أو أن يهبط بها إلى مجال العبث، والفساد، والتدهور، وإما أن تسيطر القيم الروحية العالية، على هذا الذكاء، فتحدد مساره بأهداف إنسانية عالية(١١).



مدلول الثقافة

وأكثر الباحثين — ولا سيما العرب - يخصص مدلول الثقافة لمظاهر الرقي في الجوانب الروحية والأدبية من: دين وأخلاق، وفلسفة، وفنون، ولغة، ومدلول المدنية لمظاهر الرقي في الجوانب المادية من: علوم طبيعية، واختراع واكتشاف مما يتصل بتنظيم مرافق الحياة، وهكذا تتكون الحضارة من الثقافة والمدنية معاً.(١٢)

ويقول أحد رجال الفكر: نحن حين نتحدث عن الثقافة الإسلامية، نقصد بها في الغالب تراثنا الروحي والتاريخي والفلسفي واللغوي والأدبي والفني. وحين نتحدث عن الحضارة، أو المدنية الإسلامية، لا نقصد بها مجرد تاريخ العالم الإسلامي، وإن كان التاريخ إطار الحضارة ووعاءها. ولا نقصد الثقافة وحدها، وإن كانت هي العصر الجوهري في الحضارة، ولا نقصد مجرد النظم والنظريات العلمية والمخترعات، وإن كانت من مظاهر الحضارة المهمة، ولكن نقصد من كل ذلك: مجتمعا متكاملاً مؤلفاً من شخصية متميزة بين الحضارات الكبرى للإنسانية(١٣) فأنت ترى من كل هذا: أن الثقافة جزء أصيل من مكونات الحضارة الإنسانية، ولا توجد حضارة في الأرض تقوم من دون ثقافة، ويمكن أن نقول: إن كل حضارة في التاريخ عبرت عن نفسها من خلال ثقافة معينة، ونستطيع في هذه الحالة أن نطلق لفظ (المدنية) على الآلة الصماء، أو على مظاهر التقدم التقني، والآلي فحسب، فيكون الربط في نهاية المطاف - وباختصار شديد — بين الثقافة والحضارة من جهة، وبين العلم التجريبي والمدنية من جهة أخرى. والأصل في جميع ذلك هو: الثقافة التي تصوغ الإنسان بوصفه العنصر الفاعل في جميع مظاهر التقدم على كل حال(١٤).

ولعل هذا هو ما قصد إليه الأستاذ المفكر (مالك بن نبي) - رحمه الله — حين قال: (إن كل تفكير في مشكلة الإنسان، هو تفكير في مشكلة الحضارة، وإن كل تفكير في مشكلة الحضارة، هو في جوهره تفكير في مشكلة الثقافة). (١٥)

(وبذلك تكون الحضارة في جوهرها عبارة عن: مجموعة من القيم الثقافية المحققة، ويكون مصير الإنسان رهناً بثقافته)(١٦).

الثقافة جزء أصيل من مكونات الحضارة الانسانية فلا تقوم الحضارة على الأرض دون الثقافة

الثقافة والحضارة

ويمكن أن يقال: إن بعض العلماء يفرق بين الثقافة والحضارة، على أساس أن الثقافة ذات طابع فردي وتنصب أساساً على الجوانب الروحية، في حين أن الحضارة ذات

طابع اجتماعي ومـادي، بينما يكاد الاستعمال المعـاصر يسوي بين المصطلحين، بحيث تكـون الحضـارة مسـاوية للثقـافـة في المفهوم(١٧).

وحجة المعاصرين في التسـوية، هي: أن التفريق بين المصطلحين يصطدم بـالواقع الملموس، لأن الحضـارة المادية لا تنفصل عن الجانب المعنـوي الـذي يمثل التراث العلمي بقسميـه: النظـري والعملي وبعض الباحثين يرى: أنه لا يوجد أدنى فرق أو تعارض بين الثقـافـة والحضـارة والمدنيـة وجميعهـا مظـاهـر للـرقي الإنسـاني، وكل مـايغذي رقي الحيـاة من روافـد هـو ثقافـة، وحضارة، ومدنية، والخلاف بين الحضارة والثقـافة هو خلاف في الدرجة لا في النوع(١٨).

وخـلاصة القـول: أن هناك عـدة اتجاهات لتحـديد الصلـة بين مفهومي الثقافة، والحضارة، يمكن حصرها على الوجه التالي:

١- اتجاه يـرى أن الحضارة تشمل الثقـافة والمدنيـة، الثقافـة تمثل: الجانب العقلي، والـروحي، والفكـري، والمدنيـة تمثل: الجانب المادي، فالحضارة بناء على هـذا الاتجاه أعم من الثقافة والمدنية.

٢- اتجاه يـرى أن الفرق بين الثقـافة والحضـارة هو فـرق في الدرجة، لا في النوع.

٣- اتجاه يسوي بين الثقـافة والحضـارة في المفهوم، ويـرادف بينهما من جانب، وبين العلم والمدنية من جانب آخر.

٤- اتجاه يقصر الثقافة على الجانب العقلي، والفكري، والروحي، ويقصر الحضارة على المظاهر المادية والاجتماعية(١٩).

ونحن نـرى: أن الثقافـة في الواقـع الإسلامي تقـوم على قاعـدة أساسية، هي: إفراد الله ـ سبحانـه وتعالى ـ بالمعبودية، ومن ثم إفراده بـالحاكمية، وإفـراد الله بـالعبوديـة يتمثل في اتخاذ الله وحده إلهاً. وإفراده ـ سبحانه ـ بالحاكمية يعني: تحكيم شريعة الله في كل مجالات الحياة.

وانطلاقـا من هذه القاعدة: فـإن الثقافة الإسلاميـة في التصور الإسلامي ذات شقين:

الشق الأول: معياري ويتمثل في شريعة الله، أي كتاب الله، وسنة رسول الله -ﷺ-.

الشق الثـاني: تطبيقي، ويتمثل في التطبيق العملي الـواقعي الصحيح للشق المعياري.

وعندما يكـون الجانب التطبيقي في الثقافة الإسـلاميـة تـرجمة عمليـة، وواقعيـة صحيحـة، للجـانب المعيـاري فيهـا، مع استخدام كل معطيـات الإنسان والـزمان والمكان، تكون الحضارة.(٢٠)

إذن تكـون الحضـارة في عمارة الأرض، وتـرقيـة الحيـاة على ظهرهـا: إنسـانيـا، وخلقيا، وعلميا، وأدبيـا، وفنيا، واجتماعيا، وفق منهج اللـه وشريعتـه، وبناء على هـذا المفهـوم، فإن المجتمع الإسـلامي هـو المجتمع الـذي يطبق شريعـة اللـه في كل جوانب الحياة ـ هو وحده المجتمع المتحضر.

ومن أبرز سمات الحضارة في التصور الإسلامي، هي كما يقول الأستاذ محمد أسـد (أنها ذاتية) فالحضارة الإسـلامية ليست ثمرة تقاليـد متوارثة، ولا نتيجة تطورات وتيارات فكـرية، آتية من الماضي، وإنما هي انبثـاث ذاتي مباشر مـن القرآن الكـريم، ومن سنة الـرسول ـ عليـه الصلاة والسـلام ـ ومن تطبيقهما تطبيقا عملياً صحيحا في الواقع الإسلامي.(٢١)

والخلاصـة: ان الثقـافـة والحضـارة في التصـور الإسـلامي مرتبطتان ارتباطا عضويا، فعندما يكون الجانب العملي للثقافة واقعيا، وعمليـا، صحيحا للجانب المعياري فيهـا، مع استخدام كل معطيات الإنسـان تكون الحضـارة ■

المدنية: تعني الوسائل والأدوات المادية التي يستعين بها الإنسان في تحقيق حضارته

الهوامش

١- عمـر بهاء الـدين الأميري: وسطية الإسـلام وأمتـه في ضـوء الفقـه الحضاري، ص١٤: دار الثقافة بقطر، ١٤٠٦هـ.
٢- المصدر السابق، ص٩٥.
٣- انظر: ابن خلدون: المقدمة، ص٣٨ ط. بيروت.
٤- المصدر السابق، ص ١٢٠.
٥- المصدر السابق، ص١٢٢.
٦- المصدر السابق، ص ٣٧١.
٧- المصدر السابق، ص٣٩٢ و٢٩٢.
٨- عمر بهاء الدين: وسطية الإسلام وأمته، ١٦.
٩- المصدر السابق، ص١٦.
١٠- د. سليمان حزين: مقـومات الحضـارة الإسلاميـة، ط.المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، ص٢٨٣ الأزهر.
١١- د.عبدالفتاح الديدي، مجلـة الفيض، المجلد الأول، العدد السابع، ص٧، الرياض.
١٢- عمر بهاء الدين الأميري، وسطية الإسلام وأمته، ص١٧.
١٣- د. محمد خلف اللـه أحمد: أثر الحضارة الإسلامية في رقـي الإنسانية، بحث منشور، المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية، ص٣٠٠ ط. الأزهر.
١٤- د.عـدنان زرزور، في الفكر والثقافـة الإسلاميـة، ص ١٥، ط. المكتب الإسلامي ببيروت، ١٤٦١هـ
١٥- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص١٨.
١٦- المصدر السابق، ص٢٠.
١٧- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص٥٨، ط. القاهرة.
١٨- د. محفـوظ علي عـزام: نظـرات في الثقـافـة الإسـلاميـة، ص٢٢ ط. دار اللـواء بـالـريـاض، ١٤٠٤هـ.
١٩- المصدر السابق، ص٢٣.
٢٠- المصدر السابق، ص٤٦.
٢١- د. علي أحمد مـدكـور: الثقافـة والحضـارة في التصـور الإسـلامـي، مجلـة الـدارة، ص١٣ ع٤، س١٤.

من الإعجاز الفني في القرآن الكريم

«أيامُ الله» (١)

بقلم: صديق بكر عيطه

قال تعالى في سورة إبراهيم:
(ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب. قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين. قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون. وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون. وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين. ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد. واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد. من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد. يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ) إبراهيم ـ ٩ ـ ١٧.

هذه الآيات المباركات من سورة «إبراهيم» عليه السلام، جاءت لتصور مشهداً عجيباً وفريداً، لا نظير له في بنائه الفني، وعناصر تكوينه التي ركب منها.

مشهد عجيب، اختصر فيه عامل الزمان وعامل المكان، من بدء الرسالات وحتى زمن موسى عليه السلام، حتى تلاشى تماماً، لتقف الحقائق خالدة، شاخصة، وجهاً لوجه، شاهدة، ناطقة وبأعلى صوت معلنة أن رسالات السماء واحدة في حقيقتها، واحدة في منبعها، واحدة في مبادئها، واحدة في أهدافها القريبة والبعيدة، وأن موقف البشرية من هذه الدعوات واحد، لا تعدد فيه ولا اختلاف، وإن بدت بعض الظواهر المختلفات هنا أو هناك في هذه الأمة أو تلك: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) الشورى ـ ١٣.

(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا. ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً. رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً) النساء ١٦٣ ـ ١٦٥.

وسورة إبراهيم ـ بشكل عام ـ سورة القضايا الكبيرة، التي تمتد فوق حدود الزمان والمكان.

فهي حينما تتحدث عن الرسالات، إنما تتحدث عن الجانب العام فيها، الذي يحكم الرسالات السماوية كلها، ولا يتوقف عند رسالة بعينها: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء)، أو تتحدث عن الحقائق الخالدة الباقية، في مبادئها، وأهدافها وفي موقف الرسل من أقوامهم، وموقف أقوامهم منهم، ونهاية المطاف في هذه الدعوات كما هو ثابت في آيات المشهد الذي معنا.

وهي حينما تتحدث عن الأعمال الصالحة، المقبولة عند الله، إنما تقيم لها معياراً سماوياً ثابتاً، لا تختص به رسالة دون أخرى: (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف).

وهي حينما ترسم صورة من صور العذاب، إنما تختار زاوية يُرى فيها العاصون في كل عصر، وفي كل مكان، وهم يتلاحون ويتلاومون في نار جهنم (وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص. وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم).

ثم تتحدث عن الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة، وهي قضية كل عصر وكل مكان (ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة...... ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة...).

وهي حينما تذكر قصة إبراهيم عليه السلام، إنما تختار منها لقطة لها أبعادها التي تتخطى حدود الزمان والمكان، وهي لقطة اختيار الله تعالى هذا

الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة قضية كل عصر وكل مكان

البلد الحرام الذي شاء الله سبحانه أن ينشأ فيه إسماعيل عليه السلام، ليكون مقصد الحجيج على مر التاريخ، وقد أمر الله نبيه إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج، هذا الأذان انطلق هو الآخر من عقال الزمان والمكان (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) الحج ــ ٢٧، قال تعالى: (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام).

ثم تختم السورة في نهاية المطاف بهذا الإعلان العام، الذي لا يعرف حدود الزمان أو المكان: (هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب).

وهكذا ترى هذا التناسق الفني، الذي يشيع بين آفاق قضايا السورة المباركة، ومنها قضية المشهد الذي نعالجه الآن.

وآيات المشهد الذي معنا، جاءت على لسان موسى عليه السلام، وهو يدعو قومه، وهو واحد من أنبياء الله تعالى ورسله أولي العزم، الذين واجهوا عناد المعاندين، وغطرسة المتغطرسين، فكان لابد من أن يذكر قومه «بأيام الله»: (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله) ــ «أيام الله» التي لا تزال محفورة في ذاكرة التاريخ... «أيام الله» التي طبعت بحكمة في هذه القضية الكبرى ــ قضية الرسالات ـ كما يبدو من خلال هذا الاستعراض الفريد، الذي يقف فيه الحق التاريخي في جانب، والباطل التاريخي في الجانب المقابل، برغم عوامل الزمان والمكان.

(ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب)؟! ألم يأتكم هذا النبأ؟!! بلى جاءهم، وعرفوه، فهم ليسوا في عماية من الأمر، ولكنهم في غواية من أهوائهم، فهو استفهام تقريري، مبطن بالتقريع والزجر والتخويف.

«هذا التذكير من قول موسى، ولكن السياق منذ الآن يجعل موسى يتوارى، ليستمر في عرض قصة الرسل والرسالات في جميع أزمانها، قصة الرسل والرسالات، وحقيقتها في مواجهة الجاهلية، وعاقبة المكذبين بها على اختلاف الزمان والمكان، وكأن موسى «راوية» يبدأ بالإشارة إلى أحداث الرواية الكبرى، ثم يدع أبطالها يتحدثون بعد ذلك ويتصرفون... وهي طريقة من طرق العرض للقصة في القرآن، تحول القصة المحكية إلى رواية حية... وهنا نشهد الرسل الكرام، في موكب الإيمان، يواجهون البشرية متجمعة في جاهليتها، حيث تتوارى الفواصل بين أجيالها وأقوامها، وتبرز الحقائق الكبرى مجردة عن الزمان والمكان، كما هي في حقيقة الوجود خلف حواجز الزمان والمكان.(١)

إن قصص الأنبياء في القرآن الكريم معروفة، وقد وردت في كثير من سوره المباركات ــ أو ورد منها ما شاء الله أن يرد، حيث لا يعلم حقيقة عددهم وأسمائهم إلا الله تبارك وتعالى ــ وردت هذه القصص فرادى وجماعات، وإن شئت فاقرأ سورة الأعراف، وسورة الأنبياء، ففي كل منهما كوكبة مباركة من هؤلاء الرسل الكرام، وفي كثير من سوره الأخرى ذكر بعض الأنبياء، وقد ذكر في كل سورة ما ناسبها من اللقطات، ولن ندخل هنا فيما إذا كان هناك تكرار في عرض قصص الأنبياء أو لا ... فتلك قضية أخرى.

غير أنه مما يجدر ذكره هنا أن قصة كل رسول، كانت تأتي لتقص نبأ رسول واحد، إلى قوم مخصوصين، وفي زمن محدود، فيما عدا آخرهم وزعيمهم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي أرسل إلى قومه، ومن جاءوا بعدهم إلى آخر الزمان، ولا يخرج عن هذه القاعدة موسى عليه السلام، وقد أرسل معه أخوه هارون، فقد كان وزيراً له، يتحمل عنه بعض أعباء الرسالة، فالرسالة واحدة والرسول واحد، أما قوله تعالى: (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل) طه ـ ٤٧، فلا يدل على تعدد الرسل في هذه الرسالة، يؤكد هذا قوله تعالى في سورة الشعراء: (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) فهما رسول واحد لرسالة واحدة، وإن كانا شخصين بإذن من الله تعالى، تلبية لطلب موسى من ربه عندما قال: (واجعل لي وزيراً من أهلي. هارون أخي. اشدد به أزري. وأشركه في أمري. كي نسبحك كثيراً. ونذكرك كثيراً. إنك كنت بنا بصيرا) طه ٢٩ ــ ٣٥ حيث جاءت الموافقة (قال قد أوتيت سؤلك ياموسى) طه ــ ٣٦، الموافقة على أن يكون معه وزير يدعو بدعوته ويأتمر بأمره، وينتهي بنهيه.

فلو كان هارون عليه السلام رسولاً، لما جره موسى من لحيته ورأسه، حتى استعطفه هذا المسكين وطلب منه الرحمة، كما حكى ذلك القرآن في أكثر من موضع، اقرأ إن شئت قوله تعالى: (ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) الأعراف ـ ١٥٠ وقوله تعالى: (قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا. ألا تتبعن أفعصيت أمري. قال يابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي) طه ٩٢ ـ ٩٤.

ولن نستطرد في تفصيل هذه القضية أكثر من هذا، وحسبنا أن قد عرفنا أن الرسالات كانت فرادى، وأن الرسل كانوا أيضاً فرادى، وإن كانت الأغراض التي تستقى من ذكرهم متشابهة، فالدين كله واحد وهو من عند الله تبارك وتعالى، ووسائل الأنبياء في الدعوة كانت واحدة.

سورة إبراهيم صورت مشهداً عجيباً وفريداً لا نظير له في بنائه الفني وعناصر تكوينه

واستقبال قومهم لهم متشابه، والله ينصر أنبياءه في نهاية المطاف ويهلك أعداءه(٢).

فلنعد الآن إلى تأمل الصورة الفنية التي عرضتها السورة لهذه الجولة التي نشبت بين الحق والباطل.

أمامنا الآن فريقان: فريق الأنبياء والمرسلين الداعين، وهم يحملون آيات الله الدالة على وحدانيته وقدرته واستحقاقه

وحده تعالى للعبادة والألوهية دون سـواه، هذه الأدلة الواضحة، التي توشك ـ لقوتها، ووضوحها، واتساق مدلولها مع مقتضيات الفطرة السليمة، التي لم تشبها شائبـة من العناد والمكابرة ـ أن تنتزع من الفريق الثاني الاعتراف بربوبيته ووحدانيته تعالى.
وفريق المدعوين، وهم أقوام الأنبيـاء والمرسلين من لدن قوم نوح عليه السلام حتى قبيل رسالة موسى عليه السلام.
فريقـان قائمان ... كتلتان من البشر تمثـلان حركـة التاريخ من بدايتـه، وتصوران موجـات الأحداث بين شـاطىء الحق الأبدي، والباطل الأبـدي، وتشهدان بصـدق على أن هذه هـي سنـة الله في خلقه، ولن تجد لسنةالله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلا، ولن تخرج أمة من الأمم، أو رسالة من الرسالات ـ أياً كان موقعها على امتداد الأرض، وأياً كان زمانها على مـر التاريخ ـ عما تنتهي إليه هذه الصورة العامة، التي يعرضها هذا المشهد العجيب.
صورة فريـدة، ومشهد لا يتكرر، يقف فيه الحق والبـاطل وجهاً لوجـه، وتسقط من حسابه كـل فواصل الزمـان والمكان، لتلتحم فيـه الحقـائق الخالدة الثـابتـة، وتكتمل معـالم الحق والبـاطل، وليحشد كل منهما أسبـاب انتصاره على الفريق الآخـر، وعوامل فوزه في هذه الجولة، فماذا نرى؟ وماذا نسمع؟
فريق الأنبيـاء الداعين يعرض في وضـوح أدلة صدقه في دعـوته، وبراهين قضيته التـي جاء من أجلها ... الأدلة واضحـة... الدعوة صحيحـة ... تتنـاسب والفطـرة السليمـة .. وتتفق مع دواعي الصـدق مع النفس، فماذا يمنع من الاعتراف إذن؟ هـا هـو ذا الفريق الثـاني يكاد ينطق معترفاً بصدق هذه الـرسالات، ويعلن انصيـاعه للـرسل ويسلس لهم قياده... ولكن عنـاصر الشر التي ركبت فيه تتحـرك في اللحظة المنـاسبة، وتسـد الطريق أمـام هذا الاعتراف، الذي سينزلهم من صفوف الزعماء والرؤساء والقادة، إلى صفوف الأتبـاع والعامـة والسوقـة، لأن هذه الـديانـات إنما جـاءت لتجعل النـاس جميعهم سواسيـة كأسنـان المشط، فإذا بأكفهم ترتد مسرعة إلى أفواههـم لتمنع هذه الكلمة ـ كلمة الحق ـ التي تـوشـك أن تنطلق، إذا هي تـركت بـلا عقـال(٣)، يحد من حـركتها، مـاذا حـدث؟! ماذا يمنـع من الاعتراف والانقياد؟! إنـه العنـاد والمكابـرة اللذين يـدفعانهم لأن يقـولوا: (إنـا كفرنـا بما أرسلتم به وإنـا لفي شك مما تدعـوننا إليه مريب)!! يـا سبحان الله، لا حـول ولا قوة إلا بـالله!!، ألا ليـت هذه الأيـدي لم ترد في الأفواه!! بل ليتهـا شلت فلم ترفـع بعد ذلك أصلاً!! فقـد حبست كلمةالحق من أن تنطلق، وتنسـاح في الأرض لتنشر الخير والبركة، وأطلقت جماح البـاطل بصـوتـه المنكـر، ووجهـه القبيح، ويـده الشـوهـاء ليعيث في الأرض فساداً!! ولكن لابأس، مازلنا في بداية الجولـة (فليضحكـوا قليـلاً وليبكـوا كثيرا) التـوبة ــ ٨٢، وهنـا يتعجب فريق الأنبيـاء ويستنكر هذا الموقف المشين من فريق هؤلاء الأقـوام (أفي اللـه شك)؟! إنـه الـذي خلق السموات والأرض، وهو يدعوكم للإيمان به ليغفر لكـم من ذنوبكم، فـدعوته تعـالى لكم لغفران ذنـوبكم!! فهل هذا يليق بمـن يرون آلاء اللـه تحيط بهم من كل جـانب؟! ونعمـه تغمـرهم من شتى نـواحيهم بما في ذلك غفـران ذنـوبهم إن هم أجـابوا داعي اللـه؟! وعدم التعجيل بعـذابهم ليترك لهم فرصـة التـوبة إليـه؟! إنه مـوقف غريب مشين لا يـرتضيه عـاقل، ولا يستسيغه واع!!
وإلى هنا، وفي نهاية هذه الجولة في معركة الحق والباطل، نتوقف مضطرين في عرض هذه الصورة الفنية، لنكمل الحديث عن بقية المشاهد الخالدة التي عرضتهـا الآيات المباركات في العدد القادم إن شـاء اللـه تعالى، حتى يتسنى لنـا تفصيل القـول في عـوامل القوة والتأثير في الأداء القـرآني المبارك، عندما عـرض ما عرض من «أيام الله». ■

سورة ابراهيم صورت مشهداً عجيبا وفريداً لا نظير له في بنائه الفني وعناصر تكوينه

الهوامش:

١ ـ سيد قطب «في ظلال القرآن».
٢ ــ اقرأ: «الـلآلىء الحسـان في علوم القـرآن، للـدكتور مـوسى شـاهين لاشين، واقرأ التصـويـر الفني في القـرآن للشهيد سيـد قطب.
٣ ـ يرى بعض المفسرين أن معنى «فردوا أيديهم في أفواههم» أن هؤلاء الأقوام جعلوا أيدي أنفسهم في أفواههم ليعضوها عضاً مما جاءت به الرسل، إذ كان فيه تسفيه أحلامهم، وشتم أصنامهم.
ومنهم من يرى أنهم لما سمعوا كلام الأنبياء عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية، فعند ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضحك فوضع يده على فيه.
ومنهم من يرى أن الـرسل لما أيسوا منهم سكتوا ووضعـوا أيدي أنفسهم على أفواه أنفسهم شأن من ذكر كلامـاً عند قوم وأنكروه وخـافهم، فـذلك المتكلـم، ربما وضع يـد نفسـه على فم نفسـه، وغـرضـه أن يعـرفهم أنه لا يعـود إلى ذلك الكـلام ألبتـة. (اقـرأ تفـاسير: القـرطبي، وابن كثير، ومفـاتيح الغيب للفخـر الـرازي وغيرها).
ويرى الشهيـد سيد قطب أن معنى «فردوا أيـديهم في أفواههم»: «ردوا أيـديهم في أفـواههم كما يفعل من يـريـد تمويج الصـوت ليسمع عن بعد، بتحريك كفـه أمام فمه، وهو يرفع صوتـه ذهاباً وإياباً فيتموج الصوت ويسمع. يـرسم السياق هذه الحركة التي تدل على جهـرهم بالتكـذيب والشك، وإفحاشهم في هـذا الجهر، وإتيانهم بهذه الحركة الغليظة التـي لا أدب فيها ولا ذوق، إمعاناً منهم في الجهر بالكفر» (في ظلال القرآن).
ويتضح من خلال عـرض هذه الآراء، أنها اجتهـادات، ليس لأكثـرهـا دليل واضح، ومنهاما لا يقبل في مجال الدعوة، أما ما رآه الشيخ سيد قطب، فهو أقربها إلى ما يمكن تصـوره، ومن الـواضـح أنـه يعتمـد على منهج التصـويـر الفني الـذي يغلب على «الظلال»، أمـا ما ارتأيناه، فهـو ما يتفق ـ في نظرنـا ـ مع طبيعـة الدعـوة، ووضوح أدلـة صدق الـرسل، وما يكمن في طبيعـة النفس البشرية، من استطـاعة التميز بين الحق والباطل.

الاحتجاج بالسنة في قواعد النحو

بقلم: جواد رياض

عنـدما جمع العلماء اللغـة كان منهجهم دقيقـاً، حتى يجمعوا اللغـة العربية النقية البعيدة عن الخطأ واللحن، فكانوا يذهبون إلى البوادي ليستمعوا إلى اللغة من فصحاء العرب، ومـن بلغاء البادية، مختارين القبـائل التي اشتهـرت بفصاحتهـا، مثل قـريش، وتميم، وهـذيل، وأسد، وغيرهم.

وكانوا يتحرون في اختيار الفصحـاء، فلم يأخذوا إلا من الذي وثقوا في فصاحتـه، ولم يشكوا في مخالطته لغير العرب، وقـد حدد العلماء بعض العصـور التي أخذوا عنهـا اللغـة، كالعصر الجاهلي، وصـدر الإسلام، وبني أمية، حتى القرن الثـاني الهجري، ولم يلتفتوا إلى ما جاء بعد ذلك عن العرب من شعر ونثر، باعتبار أنه لا يحتج به(١).

وقد اختلف علماء اللغة والنحو في الاحتجـاج بالسنة في مجال اللغة، فمنع بعضهـم ــ كأبي حيـان النحـوي ــ الاستشهـاد بـالحديث، واحتجـوا بأنه يجوز أن يكـون الحديث مرويـاً بالمعنى، فـالحديث الواحد يـروى بألفاظ مختلفة، فلانستطيع أن نجـزم أنه نص كلام الرسـول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويُرد على هذا بأن الخلاف في جواز النقل بالمعنى هو فيما لم يكتب ولم يدون، أما ما دُون وكتب فلا شك أنه نص قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم إن المطلوب في نقل قواعد اللغة والنحو من حديث الـرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو غلبـة الظن، والغالب على الظن أن الحديث لم يتغير لفظـه،(٢) ثم إن الذين أجـازوا الرواية بالمعنى من علماء الحديث اشترطـوا أن يكون الراوي عالماً باللغة.

واحتج المانعـون أيضاً بأنـه قد وقع اللحن في بعض الأحـاديث، لأن كثيراً من الرواه كانوا من الأعاجم، ولا يعلمون اللسان العربي، ويرد على هذا بأن ذلك كان موجـوداً في غير نصوص السنة من مواد اللغة التي اعتمـد عليهـا النحـاة، ورغم ذلك فقـد قُبلت، لأن العبرة بغلبـة العصر لا بلحن الأفراد.(٣)

ثم إن ما ذكره هؤلاء من اللحن في الأحاديث الصحيحة لم يكن لحناً، وإنما هو لغة من لغات العرب.

فالسنة الصحيحة مصدر مهم مـن مصادر دراسة اللغة واستنباط قواعد النحـو، فالحديث الصحيح أهم بكثير من الشعر الجاهلي، لأن الشعـر قـد يحتـوي على كثير من العبـارات المتكلفـة، أمـا الحديث الصحيح فهو نثر يعبر عن الصورة الصحيحة للغة العرب(٤).

موقف علماء العصر الحديث

هـذا، وقـد وقف كبـا علماء اللغـة في عصرنـا الحديث مـوقفـاً مقبـولاً معتـدلاً في قضيـة الاحتجاج بالحديث الصحيح، وهو ما عبر عنه أعضـاء مجمع اللغـة العـربيـة في القـاهـرة بقولهم(٥):

... رأى المـجمع الاحـتجـاج ببعـضها «أي ببـعض الأحـاديث» في أحـوال خـاصـة مبيـنة فيما يلي:

١ ـ لا يحتج في العربية بحديث لا يوجد في الكتب المدونة في الصدر الأول، ككتب الصحاح الستة فما قبلها.

٢ ـ يحتج بـالحديث المدون في هذه الكتب الآنفة الذكـر، على الوجه التالي:

أ ـ الأحاديث المتواترة والمشهورة.

ب ـ الأحاديث التي تستعمل ألفاظها في العبارات.

ج ـ الأحاديث التي تعد من جوامع الكلم.

د ـ كتب النبي ـ صلى الله عليه وسلم.

هـ ـ الأحاديث المروية لبيان أنـه كان ـ صلى الله عليـه وسلم ـ يخاطب كل قوم بلغتهم.

و ـ الأحاديث التي دونها من نشأ بين العرب الفصحاء.

ن ـ الأحـاديث التي عُرف من رجال رواتها أنهم لا يجيـزون رواية الحديث بـالمعنى، مثل القـاسم بن محمـد، رجـاء ابن حَيْـوَة، وابن سيرين.

ج ـ الأحاديث المروية من طرق متعددة، وألفاظها واحدة.

الاعتماد على الأحاديث الصحيحة

ومن هنا فإننا نستطيع أن نعتمـد على الأحاديث الصحيحة اعتماداً كلياً في تأييـد بعض قواعد النحـو التي نطق بها رسول اللـه ـ صلى اللـه عليه وسلم ـ والتي تـوافق لغـة من لغـات العرب، حتى ولـو خـالفت رأي جمهور النحـاة، لأن قول الـرسول حجـة في تصحيح أقوالنا كما هو حجة في تصحيح أعمالنا.

وسنعرض في هذه المقـالة بعض الأمثلة لما نطق بـه رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ـ وحسبـه بعضهم لحنـاً لمخالفتـه لقـواعداللغـة المشهورة، ولكنه ليس بلحن، وإنما يوافق لغة من لغات العرب:

(١) عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ـ قـال: «يتعاقبـون فيكم ملائكـة بالليل ومـلائكة بـالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يخرج الذيـن باتوا فيكم فيسـألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»(٦)

فجرياً على ما ذهب إليه جمهور النحاة لا يجوز تثنيـة الفعل أو جمعـه، لقـول: دخل الطـالب الفصل، ودخل الطالبـان، ودخل الطلاب، وقد ظهرت عـلامة الجمع في قـوله صلى اللـه عليه وسلم: «يتعاقبون فيكم»، وقـد ذهب فريق من النحويين ــ كابن هشـام المصري وابن مالك ـ إلى جواز إظهار علامة الجمع والتثنية في الفعل

اختلف علماء النحو في الاحتجاج بالسنة في مجال اللغة فمنهم من أجاز ذلك ومنهم من لم يجز

استناداً إلى هذا الحديث الصحيح، واستناداً إلى أن هذه لغة بني الحارث، وأن من العرب من يلحق علامة التثنية أو الجمع بالفعل، مثل قول الشاعر:

تولى قتال المارقين بنفسه
وقد أسلماه مُبْعَدٌ وحميمُ

وقول بعض العرب:
«أكلوني البراغيث»
وقول الشاعر:

يلومونني في اشتداد النخيل
أهلي فكلهم يَعْذِلُ

ففي المثال الأول وصل الشاعر بالفعل إلى التثنية في قوله: «أسلماه مبعد حميم»، وفي المثال الثاني وصل بعض العرب واو الجمع في قولهم: «أكلوني البراغيث»، وفي المقال الثالث وصل الشاعر بالفعل واو الجمع أيضاً في قوله: «يلومونني»(٧).

وقد استند بعض علماء اللغة إلى ما ورد في القرآن الكريم مما ظاهره إجازة ذلك، مثل قوله تعالى: (وأسروا النجوى الذين ظلموا) الأنبياء - ٣ وقوله تعالى: (ثم عموا وصموا كثير منهم) المائدة - ٧١، وإلى ما ورد في كثير من الشعر العربي المحتج به، وإلى ما ثبت من أن هذه لغة جمع من قبائل العرب، منهم طيء، وأزد، وشنوءة، وأما التأويل بجعل الاسم الظاهر بدلاً أو مبتدأ مؤخراً، فإنه يخرج الأسلوب عن كونه لغة قوم بأعيانهم، لأن بدل الاسم الظاهر من الضمير وتأخير المبتدأ عن خبره لا يختص بلغة قوم معينين، وأما تأويل الحديث بأنه قطعة مختصرة من حديث مطول رواها مالك في «الموطأ» والطول هو: «إن لله ملائكة يتعاقبون فيكم: ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار»، فتأويل غير مستساغ، لأن العلماء أجازوا للمتمكن من اللغة أن يروي الحديث بالمعنى.(٨)

ومن هنا يتبين أن قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «يتعاقبون فيكم» صحيح، حتى ولو كان مخالفاً لرأي جمهور النحاة، فالاحتجاج بالحديث الصحيح هو الأولى.

(٢) قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر» رواه مسلم.

في هذا الحديث جاء لفظ «ست» من دون الهاء، مع أن تمييزه مذكر، وهو أيام، ومن المعروف أن الأعداد من ثلاثة إلى تسعة تكون على عكس المعدود في التذكير والتأنيث، ولكن قول الرسول صحيح، سواء أكان نطقها بالهاء أم لا، لأن الهاء يجب ذكرها إذا كان المميز مذكوراً، نقول مثلاً: صمت ستة أيام، ولا يجوز أن تقول: صمت ست أيام، ولكن إذا لم يُذْكر المميز جاز الوجهان، تقول:
صمت ستاً، وصمت ستة(٩).

(٣) عن أنس رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً، قال قتادة فقلنا فالأكل فقال: «ذاك أشرُّ وأخبث» رواه مسلم.

وفي حديث آخر قال: «.... فوالذي نفسي بيده إنهم لأخير منهم» رواه مسلم.

العرف في قواعد اللغة

وطبقاً لما هو معروف في اللغة، أن يكون اللفظ «شر» و لفظ «خير» ومن دون الألف، كما قال الله تعالى: (أصحاب الميمنة يومئذ خير مستقر) الفرقان - ٢٤، وقال تعالى: (أولئك شر مكاناً وأضل سبيلاً) الفرقان - ٣٤، ولكن لفظ أشر وأخير صحيح أيضاً، وهو عربي فصيح، وهو لغة من لغات العرب، وإن كانت قليلة الاستعمال، إلا أنه لا يقبل إنكار هذه اللغة أو ردها ما دامت قد تكررت في الأحاديث الصحيحة، وتوجد لهذا نظائر مما لم يكن معروفاً عند اللغويين - كما يقول النووي - لأن النحويين لم يحيطوا إحاطة تامة بجميع كلام العرب.(١٠)

(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - «من يُبْكى عليه يعذَّبْ» رواه مسلم.

وفي هذا الحديث وقع لفظ يُبْكي بالياء وقبله «من» الشرطية، والمشهور حذف الياء، ولكن إبقاء الياء صحيح أيضاً على لغة من لغات العرب، ومنه قول الشاعر:

ألم يأتيك والأنباء تمنى

كما يمكن أيضاً أن تكون «من» بمعنى الذي، وبالتالي فلا تحذف الياء.(١١)

علماء اللغة في عصرنا الحديث وقفوا موقفاً مقبولاً ومعتدلاً في قضية الاحتجاج بأحاديث السنة الصحيحة

المراجع:

(١) فتحي جمعة: دراسات في تراث العرب الغوي، دار الثقافة العربية، ١٩٩٣/ ١٩٩٤، القاهرة، ص ١٤ - ١٦.
(٢) محمد عيد: الاستشهاد والاحتجاج باللغة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨، ص ١٠٩ - ١١٢.
(٣) المرجع السابق، ص ١١٠ - ١١٤.
(٤) المرجع السابق، ص٢٤٦.
(٥) مجمع اللغة العربية: بمجموعة القرارات العلمية في خمسين عاماً «أخرجها وراجعها محمد شوقي أمين، إبراهيم الترزي»، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٩٨٤، ص٥.
(٦) أخرجه مالك في الموطأ، ورواه البخاري ومسلم والنسائي. وانظر: جامع الأحاديث القدسية: أبو عبدالرحمن الضابطي، المجلد الأول، ص ٢٠٦، ص ٢٧.
(٧) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: لابن هشام، ص ١٧٦، ص ١٧٧. وصحيح مسلم بشرح النووي، المجلد الثاني، الجزء الخامس، ص ١٣٣، وفي النحو والصرف: السيد أحمد علي، دار الهاني للطباعة، ص ١٧٢ - ١٧٦.
(٨) عباس حسن: بعض الشوائب في النحو، بحث مقدم إلى مؤتمر لجمع اللغة العربية في دورته الخامسة والثلاثين.
(٩) سبل السلام للصنعاني، الجزء الثاني، ص ٦٧١، وصحيح مسلم بشرح النووي المجلد الثالث، الجزء الثامن، ص ٥٦.
(١٠) صحيح مسلم بشرح النووي، المجلد الخامس، الجزء ١٣، ص ١٩٦، والمجلد السادس، الجزء ١٦، ص ٧٦.
(١١) صحيح مسلم بشرح النووي في المجلد الثاني، الجزء السادس، ص ٢٣٠، ومحمد عبدالقادرة هنادي: البحث اللغوي عند الإمام النووي «نشر بمجلة الأزهر، الجزء الرابع السنة السادسة والستون، ربيع الآخر ١٤١٤، أكتوبر ١٩٩٣» ص ٥٩١.

الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية

عرض كتاب

د. سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة ط٣، ١٩٩٢: ١٥٦

في غياب دراسة النص الأدبي اتجهت الدراسات النقدية المعاصرة اتجاهات متباينة ـ في تخبط واضح، منها :ـ أو كثير منها ـ ما تناول حياة المنشيء «الشاعر» وبيئته وعصره، ومنها ما تناول العوامل المؤثرة في نفسيته باعتباره «مبدعاً» له شخصية متميزة، يمكن إخضاعها ـ مثلما هي الحال بالنسبة إلى العصابيين ــ إلى التحليل الإكلينيكي، وقليل من هذه الدراسات أو كثير ـ سيان ـ تناول المضامين أو المحتوى، باعتبار أن الأدب خطاب يحمل ــ أو لابد بداهة أن يحمل ـ رسالة موجهة لها دورها في الحياة العامة، وهذا ما فعله النقاد الأيديولوجيون.

نتج عن ذلك كله سلسلة مطولة من المؤلفات النقدية، ضاقت بها المكتبة العربية، وضاق بها ذرعاً دارس الأدب العربي فضلاً عن دارس النقد أو المؤرخ النقدي أو الناقد المشتغل في ميدانه، وزعم مؤلفوها ـ اعتباطاً أو بكل فخر واعتزاز أو بشيء قليل من الاستحياء ــ أنها تمثل آخر صيحة في الاتجاهات النقدية المعاصرة، وأن منهجهم النقدي الذي يحملون لواءه ويروجون له في الصحف وفي أروقة الجامعات.. هو المخلص أو المنقذ أو هو نهاية المطاف في الميدان النقدي، وأصبحت تلك الاتجاهات ـ منذ بدايات الربع الثاني من هذا القرن وهي بداية التأثر الواضح بالمدارس الغربية ــ تتعاقب ويخلف بعضها بعضاً وتتصارع ــ مثلما هي الحال في المدارس الغربية ــ فتسقط مدرسة، أو توصد أخرى أبوابها في وجه من يحاول الانتساب إليها «الاتجاه التأثيري ـــ الاتجاه النفسي»، فتصبح هذه المدرسة أو تلك معْلَماً تاريخياً على مرحلة بعينها أو شاهداً على عقد من الزمن، حتى غدت «سرعة إيقاع تحولات النقد الأدبي الحديث» ظاهرة يلحظها كل مشتغل بهذا النقد وكل قارىء له على السواء «جابر عصفور، مجلة العربي، عدد ٤٤٩، ص ٧٦».

غير أن حضور النص الأدبي رغم ما أصاب الاتجاهات النقدية المعاصرة من تحولات واضحة في فلسفتها ومردودها، كان يعني الكثير من الثراء في المحصلة النقدية، فكان جميع النقاد الذين تحلقوا حول النص الأدبي يقدمون «نقداً» معيناً في خدمة النصوص الأدبية يسهم بشكل أو بآخر في عملية التقويم والتحليل. ويأتي كتاب «الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية» للدكتور سعد مصلوح ــ في طبعته الأخيرة ــ ضمن البحوث

عرض وتحليل: د. رفيق حسن الحليمي

الجادة في دراسة الأساليب، ولا سيما أنه يستعين بعلم يعد جديداً في ميدان البحوث التربوية والنفسية والاجتماعية ـ وهي العلوم التي وجد أساساً من أجلها ـ فضلاً عن البحوث الأدبية، ذلك هو علم «الإحصاء» فيتخذ منه أساساً للتعرف إلى طبيعة الأساليب وخصائصها وسماتها اللغوية يقع الكتاب في مقدمة وثمانية فصول.

المقدمة

يتحدث فيها «عن اللسانيات وقراءة النص» مشيراً إلى أن «كثيراً من مشكلات النص الأدبي التي كانت بين النقاد هي ذات جوهر لغوي»، ويعجب منهم كيف استطاعوا «أن يخوضوا معاركهم حول الأشكال الشعرية الجديدة، ووظيفة الفن، ولغة العمل الأدبي في غيبة التأسيس اللساني لهذه المشكلات»، وبمقارنة عاجلة بين وضع «اللسانيات» أو «علم اللغة الحديث» في أوروبا ووضعه في العالم العربي، يرى أن «تشكل اللسانيات الحديثة ونموها في أوروبا كان نتاج تطور طبيعي في سياق ثقافي نشط وحافل بالحوار العلمي والجدل الفكري المنتج بين العلوم».. «أما عندنا نحن ـ أهل العربية نقاداً ولسانيين ـ فقد كنا دائماً تجاه التأثر الأدبي في موقع المنفعل والمستهلك وليس الفاعل المنتج»، باعتبار أن علم اللغة الحديث بمعطياته الجديدة، ترعرع في الغرب الأوروبي، ومن قبيل «نقد الذات» يسلط الضوء على كثير «من مظاهر القصور في حركة البحث اللساني العربي» ويرد أسبابها إلى عوامل عدة: منها ما يصاحب الجديد الوافد من تهيب أو انبهار به أو عجز عن ملاحقته، ومنها «تعصب مدرسي ملازم لتعدد الانتماءات واختلاف المذاهب»، ومنها ما «تشكله المسلمات الكابحة للعقل الناقد بصفة عامة وما يتصل بعمل هذا العقل في المجال اللغوي بصفة خاصة» وهي أمور من شأنها أنها حدَّت من فاعلية اللسانيات العربية في تشكيل ثقافتنا المعاصرة، وأدت إلى كثير من «مظاهر الخلل» في التأليف اللساني، رغم ظهور عدد لا بأس به من المؤلفات اللغوية أو

الترجمات أو الرسائل الجامعية وليس «بمستغرب أن تقوم كتب ورسائل برمتها على مفاهيم لسانية مغلوطة».

الفصل الأول: «الحاجة إلى منهج»

في محاولة لتسويغ الحاجة إلى منهج علمي منضبط لدراسة الأساليب من وجهة لغوية، يضع أمامنا عدة قضايا شغلت الباحثين كثيراً، ولم يخرجوا منها بمردود إيجابي، طالما ظلت تلك القضايا تثار بمعزل عن توظيف علم اللغة الحديث أو الإفادة منه في دراسة النصوص، ومن تلك: ـ مشكلة التمييز بين الأساليب ـ مشكلة التقويم والحكم على هذا الأسلوب أو ذاك بأنه يتسم بالجفاف أو الرتابة أو الصعوبة أو التعقيد، وهي صفات انطباعية تأثرية، لا تغني كثيراً وربما أضرت كثيراً ـ مشكلة شيوع مصطلحات معينة لم يعد القارىء المعاصر قادراً على تفهمها، فيتعذر علينا تطبيقها في دراسة الأدب الحديث مثل: جزل الألفاظ، متين السبك، وقد امتدت عدواها إلى أقلام جماعة ممن يعدون من قادة الفكر.

يرى المؤلف أن المذهب الشكلي في النقد أقرب المذاهب النقدية إلى روح العلم حيث يستند في فلسفته النظرية إلى الفلسفة الوضعية المنطقية التي يعد فلاسفتها اللغة كلها رمزاً، وبذلك ميزوا بين اللغة العلمية وغير العلمية، فانصرفت العناية إلى لغة النص تستجليه وتسبر غوره، ويوضح أن الدراسات اللغوية المعاصرة ترعرعت تحت تأثير «البنيوية» التي أولت اهتمامها إلى النص الأدبي باعتباره نمطاً مميزاً من أنماط الاستعمال اللغوي، ولم تقصر اهتمامها على «نحو الجملة» بل امتد إلى «نحو النص» على اعتبار أن النص كله وحدة التحليل.

ومن ثَمَّ يطرح معياراً موضوعياً واحداً «وهو القياس الكمي» أو «التحليل الإحصائي» لتحليل ما تشتمل عليه النصوص من سمات لغوية أو بلاغية أو معجمية، ومعرفة درجة شيوع هذه السمات بنسب معينة أو كثافات أو توزيعات مختلفة ، بما يمكِّن من تمييز الأساليب ووصف خصائصها وتحديد بنائها اللغوي، مشيراً إلى أساسيات علم الإحصاء من تحديد للعينة، وتحديد حجمها واختبار نتائج القياس بمعاملات الصدق والثبات وعامل الارتباط فيها«ص٣٥».

الفصل الثاني: «ماهية الأسلوب»

يرى المؤلف أنه إذا كان العمل الأدبي رسالة موجهة من المنشىء إلى المتلقي، فلا بد أن تكون الرسالة ـــ مهما حملت من الدلالات والسمات الأسلوبية ـــ من الوضوح بما يلبي عملية الاتصال المشترك بين أفراد المجموعة اللغوية.

فاللغة ـ كما يراها فريق من الباحثين ـ عبارة عن «قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة ـــ أمام الجميع ـ للتعبير»، وإذا كان الأسلوب «اختياراً» أو «انتقاء» يقوم به المنشىء لسمات ـ لغوية معينة، فإن عمليــة الانتقاء أو الاختيــار، أو الإيثار لبعض السمات، لدى هذا المنشىء أو ذاك ـ هي التي تتحكم في تمايز الأساليب واختلافها.

ويميز المؤلف بين نوعين من الانتقاء، الأول: انتقاء نفعي، وفيه تكون الكلمة أو العبارة موضع الاختيار ذات دلالة مختلفة «إرهابي مناضل أو مجاهد»، والثاني: انتقاء نحوي «قواعد اللغة بمفهومها الشامل صرفياً وصوتياً ودلالياً ونظام جملة... وبلاغياً من فصل ووصل وتقديم وتأخير» وفيه تكون السمات اللغوية ذات دلالة واحدة، ويرى أن مصطلح «الأسلوب» ينصرف إلى هذا النوع من الاختيار وهو الاختيار النحوي.

ويعرض بعض المناهج اللغوية وآراء اللغويين، مؤكداً أنها على اختلافها في النظرة إلى ماهية الأسلوب «إنما هي مناهج متكاملة أكثر من كونها بدائل».

الفصل الثالث: «الإحصاء ودراسة الأسلوب».

يعد البعد الإحصائي في دراسة الأساليب ـ كما يقول المؤلف ـ «من المعايير الموضوعية الأساسية التي يمكن استخدامها في تشخيص الأساليب، وتمييز الفروق بينها»، مشيراً إلى أن استخدام الإحصاء في دراسة اللغة يمر بمرحلتين: الأولى قياس الخصائص العامة، والثانية قياس الخصائص «الفارقة» بين الأساليب، وهما اتجاهان متكاملان.

وتقوم أسس النظرية الإحصائية للأسلوب على أنه «مفهوم احتمالي» لظواهر وسمات لغوية معينة، يمكن وقوعها عند هذا الكاتب أو ذاك، وبالتالي يمكن حساب كل ظاهرة بوساطة التوزيع الاحتمالي للخصائص الأسلوبية في أي عمل أدبي، ويمضي المؤلف في شرح الخطوات الإجرائيةالتي يتخذها الباحث لدراسة الأساليب استناداً إلى علم الإحصاء بهدف تمييزها وتشخيصها ونقدها وبيان خصائصها...

ويمكن من خلال ذلك أيضاً ـ يقول المؤلف ـ «ترجيح نسبة النصوص مجهولة المؤلف أو المشكوك في نسبتها إلى مؤلفين بأعيانهم» ص ٦٣.

الفصل الرابع: «قضايا أساسية في دراسة لغة الأدب»

في مناقشة مستفيضة لمسألة التمييز بين الأساليب المختلفة، يركز المؤلف على بيان الظواهر والسمات الأسلوبية بين الأسلوب الأدبي والأسلوب العلمي، وبين لغة الشعر ولغة النثر، وبين مختلف الأجناس الأدبية مستنداً في كثير من مناقشته على كتاب «الأسلوب» للمرحوم أحمد الشايب، الذي ظهر في أوائل الخمسينات، ولا يخفي المؤلف إعجابه الشديد به، وعلى كتاب الناقد الإنجليزي (إ.أ. ريتشاردز ـــ مبادىء النقد الأدبي)، مؤكداً أن قضايا لغة الأدب أصبحت في مركز الاهتمام بالنسبة إلى اللغويين، وإلى تعدد الاتجاهات ـ في ذلك ـ تبعاً لتعدد الأسس النظرية والفلسفية ومن

بينها علم الإحصاء.

الفصل الخامس «معادلة بوزيمان»

يقتبس المؤلف معادلـة العالم الألماني «أ.بوزيمان»، الـذي ـ كما يقول ــ كان «أول من اقترحهـا وطبقها على نصـوص من الأدب الألماني في دراسة نشرت العـام ١٩٢٥م»، ويشرح الظروف التي أحـاطت بهذه النظـريـة التي تبناهـا «بـوزيمان» وأدت بـه إلى التوصل لهذه المعـادلة، ويرى في ذلك «ما يفسر طبيعـة المقياس الـذي اقترحه» حيث لاحـظ في قصص الأطفال «زيـادة الكلمات المعبرة عن الحدث أو الفعل عن الكلمات المعبرة عـن الصفـات»، وانتهى إلى أن الكـلام الصـادر عن الإنسـان الشديـد الانفعـال يتميـز بـزيـادة عـدد كلمات الحدث «الفعل» على عـدد كلمات «الوصف»، وقد امتدت بحوثه إلى اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، ورأى أن معدل السرعة في اللغة المنطوقة يؤدي إلى زيادة الأفعال عما هي عليه في اللغـة المكتوبة، وقـرر أن «موضوع» الكـلام له نفوذ «على الأسلوب الشخصي للفرد، وربط بين زيادة هذا النفوذ وعدم نضـوج شخصية الفرد مما يـؤدي ـ في رأيه ــ إلى انفتاح أسلوبه على التأثيرات الخارجية» ص ٧٥.

ويتـوقف تمييـز النص الأدبي عن غيره على النسبـة بين كلمات الحدث وكلمات الـوصف حيث يتم حسابها بإحصـاء كل منهما وإيجاد خارج قسمـة المجموعـة الأولى «الحدث» على المجموعـة الثانية «الوصـف» فيعطينا خارج القسمة قيمة عدديـة قد تزيد وقد تنقص في عدد كلمات المجموعة الأولى على المجموعة الثانية.

ويؤكد المؤلـف أن تلك الملاحظات إذا كانت «صائبـة بالنسبة إلى اللغة الألمانية فإنها صادقة إلى حد كبير على اللغة العربية أيضاً».

وبعد تبسيط لمعادلة «بوزيمان» قام به عالمان ألمانيان «ص ٧٧» أصبح استخدام عدد الأفعال بـدلاً من قضايا الحدث واستخدام عدد الصفات بـدلاً من قضايا الوصف، وبـذلك اتخذت المعادلة الشكل التالي:

نسبة الفعل إلى الصفة = عدد الأفعال على عدد الصفات.

ويقول المؤلف: «أمـا بالنسبة إلى اللغـة العربيـة، فهذه هي المرة الأولى ـ في حـدود علمنا ــ التي يجري فيها تطبيق هـذا المقياس على نصـوصها»، ثم يأخـذ بشرح الخطـوات الإجرائيـة ووضـع المصطلحات اللازمة «المعربـة» في تطبيق معادلة «بوزيمان» على عـدد من النصوص الأدبيـة العربيـة، وهـذا ما فعلـه في الفصل السـادس «أمثلـة تطبيقية من الأسـاليب النثـريـة» وفي الفصل السابع «الأسلوب في المسرحيـة» وفي الفصل الثامن «الأسلوب في الرواية»، وانتهى من ذلك إلى تحديد الملامح الأسلوبية والسمات اللغويـة في عدد من النصوص التي وقع عليها الاختيـار كعيّنات للدراسة.

بهذه العجالـة التي لا تغني بحال عن قراءة الكتاب بـالنسبة إلى المتخصصين في علوم اللغة العربية وعشّاق الأدب العربي، نأتي إلى نهاية لابد من كلمة قبلها:

في سـؤال يطرحـه المؤلف: هل معنى ذلك أن علـم الأسلوب هـو البـديل الموضـوعـي للنقـد الأدبي؟ يعلن صراحـة أن التفسير والتقـديم تاليـان على الوصف والتحليل، وعلم الأسلـوب يُعنى بالـوصف والتحليل، وبذلك يكون علم الأسلوب هـو «الأساس لتقويم العمل الأدبي تقويماً موضوعيا» ص ٣٣.

ومعنى ذلك أن النقد إطـار أعم وأشمل، وليس علم الأسلوب إلا جزء من عملية كبرى هي النقـد الأدبي، وعلينا ألا نبالغ كثيراً في هذا الجزء مبالغة المؤلف له. تُحمد للمؤلف صراحته في الـتنديد برواد المدرسة التـأثرية وعلى رأسها طه حـسين ومن لف لفه من تلامذتـه «ممـن يعـدون من قادة الفكر وزعماء التجديـد» ص ٣١، حـيث امتـلأت كتبهم بنقد ذاتي يعبر عن مـدى التأثر والإعـجاب الـشديد بهـذا القول أو ذاك الـشاعر أو النـفور والإعـراض مـن هذا أو غيره.

وللحق ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن المدرسـة التأثرية ظهرت في أعقـاب المدرسـة الكـلاسيكيـة «التقليـديـة» وفي وقت ـ العشرينات من هذا القرن ـ كانت فيه عملية إحياء التراث الأدبي تمر بمخاض صعب وقد نصب طه حسين نفسه داعية لتحبيب التراث الأدبي إلى القراء، ومعنى ذلك أن المدرسة التأثرية ظاهرة مرحلية اقتضتها حتمية الإحياء.

دعـا المؤلف ــ في أكثر من مـوضـوع من كتـابه ــ إلى ضرورة «حضـور النص الأدبي» وجعله محوراً للـدراسـة الموضوعيـة الجادة، وأنحى بـاللائمة على أولئـك الذين يحفلـون بالشـاعر وحياته وعصره ونفسيته وفكره، ومن غير شك ـ وهو ماتفاجئنا به كثير من الدراسـات ـ نجـد أن هـناك إسرافاً فيه قدر كبير من الإغراق في النـزوع إلى هذا اللـون من الدراسـات جـاءت على حسـاب دراسات أخـرى كنـا بأمس الحاجة إليهـا، وليس معنى ذلك أن دراسة حياة الشـاعر وعصره، تقع خارج منطقة العمل النقـدي، ولكن الإسراف في هـذا اللـون هـو مـوضـوع المصادرة، ومن العجب أن المؤلف الـذي يدعو إلى تحييـد حياة الشـاعـر، وقع أسيراً لهذا اللون من الـدراسـة حينما اتكأ على جـانب من حيـاة الشـاعـر أحمد شـوقي في دفاعـه عن كليوبـاترا حيث اتخذ من انتمائهـا «لمـصر وسـيلة فنيـة يدافع بها عـن انتمائه المصري ضد شانئيـه وحاسـديه ــ وما أكثرهم ـ أولئك الذين غمزوه في مصريته» ص ١٠٣، فالاحتفال بـالنص الأدبي وحده لا يغنـي بحالٍ عـن دراسة منـاطق مـعينة تقـع بعيداً أو قريبـاً منه، وأنّـى للمؤلف أن يقـدم هـذا التفسير وغيره لو لم يتعـرف إلى بعض جوانـب شخصية أحمد شوقي؟!

في كـتـاب ـ لغوي ــ كهذا يأمل المرء أن يخلو من بعض الأخطاء اللغوية الشـائعة على ألسنة كثير من المتخصصين، وعلى سبيل المثـال، كلمـة «بـواسطة» ص ٤٢، ٧٤، والأولى «بـوسـاطـة» والــفرق بينهما بعيـد فهـذه لمعنى وتلك لآخـر. وقـولـه: «في مصطلحات ومفاهيم النحو». وللنحـاة في هذا التركيب أقوال في وضـع مضـافين على مضـاف واحد، ليـس هذا السيـاق منهـا، والصـواب «في مصطلحات النحـو ومفـاهيمه»، وهـذه وتلك لا تقللان من قيمة الكتاب، ولا أنكر أني أفدت منه كثيراً. ■

رائد التراث الاسلامي الدكتور يوسف زيدان يتحدث الى «الوعي الإسلامي»

تراثنا العربي الإسلامي لم ينشر منه إلا ٥٪ فقط

تراث

عاشق التراث الاسلامي هكذا تطلق الاوساط الثقافية العربية على الدكتور« يوسف محمد احمد زيدان» استاذ الفلسفة الاسلامية والتصوف بكلية الاداب جامعة الاسكندرية.. ايضا يعمل خبيراً للتراث والمخطوطات برئاسة مجلس الوزراء المصري ومستشار التراث والمشرف على المخطوطات والكتب النادرة بمكتبة الاسكندرية. له العديد من المؤلفات التي أثرى بها المكتبة الاسلامية منها كتاب« المقدمة في التصوف لابي عبد الرحمن السلمي» حيث قدمه وحققه وكتاب «عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية» وكتاب شرح فصول أبقراط «لابن النفيس» دراسة وتحقيق بالاضافة الى كتاب« الطريق الصوفي وفروع القادرية بمصر» وكتاب عبد القادر الجيلاني باز الله الأشهب».

حوار:
رضا محمد شعبان

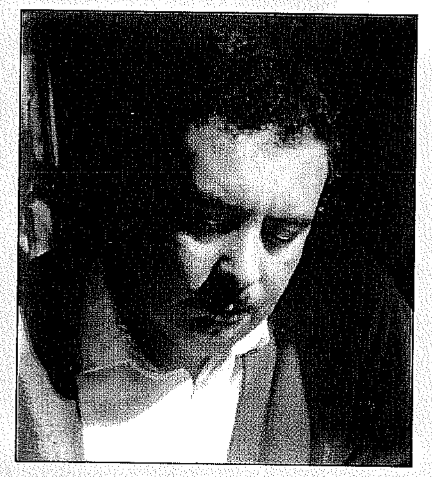
إلى جانب العديد من المؤلفات التراثية التي تشكل منظومة كاملة للتراث العربي الاسلامي والذي نال عن بعضها جائزة المنظمة الاسلامية للعلوم الطبية وتحقيق التراث وفق اصول فن التحقيق التراثي عام ١٩٩٤.

وذلك عن مؤلفاته الاربعة عن العالم العربي ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية هذا والحديث عن يوسف زيدان يطول فندعو القارئ العزيز الى التعرف على شخصيته واهتماماته من خلال هذا الحوار:

● المتتبع لجهودكم يلاحظ اهتماماً خاصاً بالتراث العلمي العربي الاسلامي فما السر وراء ذلك؟ وماهي رؤيتكم العامة بالنسبة للتراث العربي ككل؟

- إن التراث بشكل عام يمكن تمثيله «بيدروم» ضخم جدا في منزل حديث فإذا كان العصر الحديث هو المنزل الحديث بحكم الزمن فالتراث هو المخزن الضخم جداً تحت المنزل فهذه هي فلسفة العمل التراثي عندي انه عندما ينزل احد الاشخاص الى هذا البدروم فانه ينتقي الاشياء الثمينة والتحف ثم ينفض عنها التراب ليضعها في مكان المعيشة في الزمن الحالي.

فالركام الهائل من الانتاج العربي الاسلامي ينبغي ان نلتقط منه مايكون فاعلاً حقيقياً في الواقع العربي الاسلامي المعاصر، من هنا استطيع ان اجيبك عن اي عمل قمت به ولماذا هذا العمل بالذات لان هذا ينبع من الرؤية الأولية التي شرحتها لك.



● يوسف زيدان

● يخيل إلي انك تمارس عملك التراثي بشكل انتقائي وليس بشكل عام وذلك واضح من اعمالك عن ابن النفيس وابن الهيثم فهل هذه الرؤية صحيحة؟

- هذه الرؤية صحيحة الى حدما..فأنا أرى ان الواقع المعاصر الآن يعاني من فوضويات معرفية، ولم نكتشف حتى الآن كيف كان العلماء العرب يفكرون..

ولكي نكتشف هذا الجزء الهام من تكويننا علينا ان نعمل في التراث العلمي العربي والتراث الروحي عموماً الذي يمثل اضافة في الواقع المعاصر..وعلينا ان نستبعد مؤقتاً

خلال خمس سنوات لن تبقى مخطوطة دون فهرسة

ما قد يفعل فعلاً سلبيا في العقلية العربية مثل كتب « السحر والتنجيم وخلافه» التي قد تضر بالعقلية العربية، ونتركها للدراسات المتخصصة فيها.

اما على مستوى العقل الجمعي ومستوى القارىء العادي ينبغي ان نعطيه مايسهم في بناء عقلية مناسبة وجديدة للعصر، ومن هنا رأيت ان التراث الروحي والعلمي اكثر الاشكال الفاعلة في عقلنا المعاصر. من هذا المنطلق كانت اعمالي في ابن النفيس باعتباره عالماً شاملا وكان سؤالي الاول الذي سألته لنفسي هو: كيف كان يفكر ابن النفيس وماهو منهجه؟ وكيف توصل الى ابداعاته العلمية؟وماهي طبيعة الجهد الذي بذله؟ فكل هذه الاسئلة دارت في خلدي عندما اقدمت على تحقيق اعماله أي «ابن النفيس» وايضا« ابن الهيثم» وغيرهما.. وهذا لاينفي انني في بعض كتبي مثل« التراث المجهول» طرحت التراث في منظومته الكاملة.. فهذا الكتاب الذي يقع في ٣٠ فصلا يكاد يجمع كافة ألوان التراث وأقصد به التعريف الشامل بالتراث العربي، وبهذا الكم الهائل من الانتاج العربي الاسلامي.. ولكن على مستوى التركيز فأنا مهتم بالتراث العلمي والروحي..

● **لماذا ابن النفيس بالذات على الرغم من هذه الثورة العلمية الهائلة التي حدثت؟وهل هناك جهود سبقتك في ذلك؟**

-اختياري لابن النفيس له سببان اولهما موضوعي والآخر ذاتي السبب الموضوعي ان العلم ليس فيه قديم وجديد لكنه منظور متراكم ولايمكن ان نعي العلم المعاصر إلا بمعرفة اصوله والعالم بمنهجه واكتشافاته، وابن النفيس بكل مافي هذه الكلمة من معانٍ اما عن السبب الذاتي فهو شعوري بنوع من التوحد في هذه الشخصية فقد عاش ابن النفيس في عصر مضطرب كالذي نعيشه الآن ومع ذلك فقد ظل يعمل رغم ظروف الزمن الرديء والاخطار التي كانت تتهدد الأمة كما تتهددها الآن، اما عن الجهود التي سبقتني في هذا المجال فهناك الدكتور محي الدين التطاوي الذي حصل على الدكتوراه من جامعة فرايبورج برسالة عنوانها الدورة الدموية الصغرى عند ابن النفيس لكنه لم يكمل البحث لظروف وفاته المبكرة وهو يقاوم مرض الكوليرا في مصر، اما بالنسبة لي فإذا كنت قد اضفت جديداً فلقد اثبت في دراساتي الأخيرة ان ابن النفيس اكتشف الدورة الدموية الكبرى ايضا وان له نظرية في الرؤيا والابصار تعد ثروة علمية بمقاييس عصره بل بمقاييسنا المعاصرة، وله ايضا العديد من النظريات العلمية الباهرة التي يضيق المقام هنا عن الخوض فيها.

● **من الملاحظ ان هناك اهتماماً رسمياً بالمخطوطات والتراث ظهر مؤخراً في مصر ومعظم الدول العربية فما السر وراء هذا الاهتمام الشديد؟**

- ليس هناك سر وراء هذا الاهتمام بل هو امرطبيعي جداً ولكنه بدأ في الظهور منذ عام١٩٨٥ عندما خرجت بعض الكتابات التي تحث على ضرورة الاهتمام بالتراث اكثر ولكنها كتابات مخلصة فأخذ الحال في التحسن وبدأت مؤسسات فعلية تولي اهتمامها الرئيسي لهذه القضية الحيوية.. فدار الكتب المصرية بدأت نهضتها مرة أخرى واهتمامها بالتراث والمخطوطات، وايضا مكتبة الاسكندرية العريقة الى جانب مكتبة بلدية الاسكندرية ومكتبة ابي العباس المرسي ففي كل هذه المؤسسات شرفت بالعمل على فهرستها. ومنذ عامين قمت بعمل ادارة كاملة للتراث والمخطوطات وتم توزيع العمل بين فهرسة المخطوطات في هذه المكتبات وبدأنا نحصل على مخطوطات مصورة وبدأنا في تدريب جيل من العاملين في التراث على اساس علمي وقمنا بنشر جزء كبير من المخطوطات النادرة وان شاء الله خلال ايام سيصدر المجلد الأول من فهارس باقي المكتبات وايضا بدأنا في فهرسة دار الكتب المصرية وذلك من خلال مركز المعلومات ورغم اتخاذ القرار بمجلس الوزراء المصري، فهناك فريق عمل في دار الكتب وفريق آخر يجوب محافظات مصر كلها، وقد تمكنا من فهرسة مخطوطات« رفاعة الطهطاوي» وعلى وشك وضعها علي اسطوانة «ليزر» ولاتزال الخطة ممتدة واظن انه خلال ٥ سنوات ان شاء الله لن تبقى مخطوطة واحدة دون فهرسة في مصر وبعد ذلك يبدأ الكلام عن التراث، لان كل الكلام التراثي السابق هو نوع من الهرج لانه وجدت بحوث وقراءات وتنظيرات تراثية كثيرة في حين ان التراث نفسه مجهول وكيف يتم ذلك دون ان نعلم شيئاً عن المخزون نفسه!!؟

واظن ان مانفعله الآن هو الخطوة الاساسية نحو عملية تراثية رشيدة تبدأ بما ينبغي ان نبدأ به، وهي اولاً الفهرسة ثم التحقيق ثم القراءة والفهم وهكذا يمكن ان نتحدث عن وعي حقيقي بالماضي في مجمله وعن تجلياته الحقيقية وهذا مادفعني ان اقدم كتابي «التراث المجهول» الذي قصدت ان يكون بهذا العنوان وقدمت من خلاله عملاً مخطوطاً لم يحقق في الاعمال التي حققت في تراثنا العربي والاسلامي ولايعلم احد عنها شيئاً.

● **تحدثتم عن الجهود المحلية في عملية احياء التراث العربي والاسلامي فماذا عن هذه الجهود في أنحاء العالم العربي؟**

-النهضة التراثية هي نهضة أممية وليست قطرية ففي نفس الوقت الذي حدثت فيه هذه النهضة في مصر ظهرت ايضاً عدة مراكز عربية اسلامية نشطة منها الجامعي والأ كاديمي ومنها الأهلي بما يعبر عن عناية حقيقية بالمخطوطات ويعد خطوة فعالة لتدارك تراث الأمة الاسلامية، وعندك مثلا مركز الملك فيصل في السعودية نرى فيه جهداً عظيماً يقوم به وذلك في اقتناء المخطوطات ونشرها، ورعاية المسألة التراثية الى جانب الجامعات الكبيرة في السعودية مثل جامعة «محمد بن سعود» التي تحتوي الآن على عدد كبير من المخطوطات.. وايضا في اليمن كانت اليونسكو قد كلفت مراكز التحقيقات المصرية بفهرسة المخطوطات القرآنية في الجامع الكبير في صنعاء وتم بالفعل هذا العمل العظيم لمجموعة نادرة وتم تسجيلها على قاعدة بيانات.

الإمام السيوطي ألف ٩٠٠ كتاب لم ينشر منها عدد أصابع اليد الواحدة

هذا الى جانب الجهد الكبير الذي تقوم به الكويت في رعاية العملية التراثية وذلك من خلال مراكز متخصصة في التراث ورصد الجوائز التشجيعية للمبدعين- في هذا المجال -والمهتمين.وانا أرصد الذين حصلوا على جائزة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية وذلك في مجال الفقه الطبي وتحقيق التراث.. ناهيك عن الجهود التي تقوم بها دولة الإمارات العربية المتحدة في هذا المجال وايضا باقي الدول العربية والاسلامية فنحن نشهد الآن نهضة اسلامية حضارية تشكل ملحمة رائعة بطلها تراثنا العربي الاسلامي.

● كم مخطوطاً تم حصره حتى الآن؟

-بالنسبة للمخطوطات في المكتبة العامة في جامعة الاسكندرية عددها ١٦٩١ مخطوطا بالاضافة الى ٣٥ مخطوطاً تم اكتشافهم بين الرفوف عندما قامت الجامعة بنقل المكتبة وقد حقق من هذا العدد نسبة ٧ في المئة وقد وجدت فيها مجموعة مخطوطات في التصوف والأدب وتاريخ العلوم ولم يكن يعلم احد عنها شيئاً بالاضافة الى مجموعة رسائل لابن العربي والجيلي. اما مكتبة بلدية الاسكندرية فهي تحتوي ٦ آلاف مخطوط.و اما في مكتبة رفاعة الطهطاوي فتحتوي على ١٤٥٠ مخطوطاً تراثيا نادراً. وأما مكتبة ابي العباس المرسي فتحتوي على ٣ آلاف مخطوط وجاري العمل لحصر جميع المخطوطات الموجودة بباقي المكتبات المصرية والموجودة كمكتبات خاصة.

● ماهي نسبة المحقق من التراث العربي الإسلامي عموماً؟

-نسبة المحقق حتى الآن من المخطوطات الموجودة في العالم الاسلامي ومانشر من التراث العربي الاسلامي لا يتجاوز نسبة «٥ في المئة» فقط من هذا الكم المعرفي الهائل وهذا يؤكد ان تراثنا مازال مجهولا،وخذ مثالا على هذا وهو ان الامام «السيوطي» قد ألف اكثر من ٩٠٠ كتاب لم يحقق منها مايتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة، هذا مع الاخذ في الاعتبار ان الإمام السيوطي معروف جداً فما بالك با لمؤلفين الذين لم يحظوا بشهرته والمؤلفين المجهولين! الذين تزخر المكتبة العربية الاسلامية بأسمائهم من امثال مهذب الدين عبد الرحيم الدخوار وبعده، وكان رئيس اطباء مصر والشام وتتلمذ على يديه اكبر مجموعة من مشاهير الأطباء عبر التاريخ الاسلامي منهم ابن ابي اصيبعه، شمس الدين الكلي وابن قاضي بعلبك وابن النفيس الذي اشتهر شهرة واسعة حجبت شهرة استاذه الدخوار الطبيب المجهول الذي لا خرج اكثر مشاهير القرن السابع الهجري والذي أجد المجال هنا لذكرها وهو مايعبر عن ان ماعرف عن تراثنا يعد قطرة واحدة في محيط ثقافتنا وعلمنا وتاريخنا وحضارتنا الاسلامية.

● هناك عدة أخطار تهدد المخطوطات فنرجو من سيادتكم توضيح ذلك؟

-هناك بالفعل عدة اخطار ولكن اهمها خطر التآكل بسبب سوء التخزين وتسرب الرطوبة التي هي مرتع خصب للحشرات والقرضة وبالتالي حفظ المخطوط بشكل جيد هو السبيل لاتقاء هذا الخطر.

كما تتعرض المخطوطات الى الاهمال بمعنى ان تجمع عدة مخطوطات في مجموعة واحدة ويشار اليها على انها مجلد واحد يحتوي على عدة رسائل وبالتالي لايستطع المحقق ان يقوم بعمله على الوجه الاكمل، كما يؤدي هذا الخطر الى اختلاط المؤلفات والتواريخ..

وأنا عندما كنت اعمل في تحقيق « ابن النفيس» خطر ببالي مراجعة كل مخطوطة مجهولة المؤلف في دار الكتب وتمخضت هذه التجربة عن اكتشاف مخطوطة لابن النفيس بخطه ولم تعرف من قبل وقمت بنشرها بين المخطوطتين.

إذن فعملية الفهرسة الجيدة تلزمها عملية حفظ جيدة جداً.. وحرصاً على المخطوطات من العبث بها هناك في مصر قانون على وشك الصدور خاص بالمخطوطات ينص على تجريم الاتجار فيها ويدعو الى تسجيل الملكية الخاصة للمخطوطات للمساعدة في عملية الحصر النهائي ، ولايوجد أي تفكير في نزعها من اصحابها.

● ماهي أندر المخطوطات التي قابلتها سيادتكم خلال عملكم في هذا المجال؟

-هناك العديد من النوادر التراثية التي تحفل بها المكتبة العربية الاسلامية ولم نكن نعلم عنها شيئاً حتى وقت قريب فعلى سبيل المثال وجدنا مخطوطاً لرفاعة الطهطاوي اسمه «جغرافية بلاد الشام» قام بوضعه بطريقة نادرة وهي عمود باللغة الفرنسية واعمدة بالعربية ففي النص الفرنسي ينقل جزءاً من كتب الرحالة الفرنسيين الى بلاد الشام وفي النص العربي يترجمها ويعلق عليها، ويوجد ايضا بمكتبة رفاعة الطهطاوي كتاب« شرح فصيح ثعلب» المكتوب عام٣٩٨هـ ولم يحقق ولم ينشر حتى الآن، هذا بالاضافة الى مجوعة مؤلفات لاحد علماء مصر المجهولين وهو الشيخ «أحمد الدمنهوري» الذي أعتبره من الشخصيات الخطيرة في التاريخ و توفي قبل مجيء الحملة الفرنسية الى مصر بقليل، ومع ذلك فكتبه في الطبيعيات «عين الحياة في استنباط المياه» وفي الطب«القول الصريح في علم التشريح» وفي المنطق «المدخل الى ايسانموجي»و«رسالة في تلخيص منطق ارسطو» ولك ان تتخيل كيف كان الاهتمام بالفكر الاسلامي في هذه الايام، فشيخ الأزهر كان قبل مجيء الحملة الفرنسية يجمع ويؤلف في كل هذه العلوم، هذا الى جانب العديد من المؤلفات النادرة التي تحويها مكتبة الاسكندرية ففيها ٢٨ مخطوطاً نادراً في مجالات الفقه والعلوم الدينية و١١ مخطوطاً في مجال اللغة والبلاغة والأدب ومخطوطان طبيان نادران ومخطوطان في علوم السياسة ومخطوط في مجال السحر والتنجيم ومخطوطات بلغات فارسية وتركية، وفي مجال الترجمة والسير الذاتية،ومعاجم الشيوخ يوجد مخطوط نادر ومخطوطان في المنطق ومخطوط تاريخي ومخطوط جغرافي وأربعة مخطوطات اخرى في مجالات الرياضيات والرحلات والاخلاق والفلك.. كل هذه المخطوطات النادرة نمهد لوضعها على شبكة الانترنت وفي خلال ايام سوف نشاهد بدائع المخطوطات العربية الاسلامية الموجودة في مصر على هذه الشبكة لكي يرى العالم كله تاريخنا وحضارتنا العريقة. ■

الواقع المعاصر يعاني من فوضويات معرفية وعلينا اللجوء إلى التراث

(٢-٢)

ندوة ثقافية تنظمها كلية الشريعة ـ جامعة الكويت

منزلة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وواجبنا نحوه

يوضح الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق في حديثه واجبنا نحو الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه يجب على كل مسلم أن يوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبجله، ويعظمه، ويقدسه، وينزهه، ويتأدب معه أدباً كاملاً حياً وميتاً، كما أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون أعظم من النفس والأهل والناس أجمعين، ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أحرص علينا من نفوسنا التي بين جنبينا، فالرسول أولى بكل مؤمن من نفسه.

ويؤكد الشيخ عبدالرحمن في حديثه الشيق الطويل أن من واجب المسلم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم الاعتراف بفضله والإشادة الدائمة به ونشر ذكره ومحاسنه وأخلاقه وشمائله في العالمين.... ويختتم الشيخ حديثه بوجوب أن يرجو المسلم شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لأن الرسول هو أعظم شافع وأعظم مشفع.

الشيخ / عبدالرحمن عبدالخالق: من فروض الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بكل ما أخبر به

تابع الندوة د. عماد الدين عثمان

الإيمان به صلى الله عليه وسلم

ويبين الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق في حديثه أهم واجبات المسلم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم موضحاً أن أولى هذه الواجبات هو الإيمان به صلى الله عليه وسلم وأنه رسول الله حقاً وصدقاً، قال تعالى: (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) النساء ـ ١٣٦

وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله)..

فمن آمن بالله ولم يؤمن برسوله محمد صلى الله عليه وسلم على أنه خاتم الأنبياء والرسل فهو كافر بالله تعالى ولا ينفعه إيمانه بالله، ومن أجل هذا كفر اليهود والنصارى الذين رفضوا الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم، «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم.

ولا يكون الإيمان بالرسول صحيحاً سليماً إلا إذا كان عن دليل، شأن الإيمان كله، وقد قامت الأدلة الكثيرة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ذلك القرآن الذي تحدى الأولين والآخرين على أن يأتوا بسورة من مثله سورة وعجز الأولون والآخرون عن ذلك، والأخبار الغيبية التي أخبر بها فيما مضى ولم يشهدها، وكانت كما أخبر به، والأخبار المستقبلية التي جاءت كما حدث بها تماماً، ولا يمضي جيل أو قرن من الزمان إلا وللرسول إخبار عن بعض ما يكون فيه، وقد كان الأمر كما حدث في كل القرون السابقة.

المسلم الحق هو الذي يرجو شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة

مئات الخوارق والمعجزات

ومن أدلة صدقه كذلك تحدثه بعلوم وآيات في السماء والأرض والجبال والبحار والنجوم والأجنة والطير والنبات ما كان يعلم بها أحد وقبل نزول القرآن، وكشف العلم بعد ذلك عن أن ما أخبر به النبي عنها حق، وما كان له أن يعلم ذلك وهو رجل أمي إلا بالوحي من خالق السماوات والأرض.

هذا إلى جانب مئات الخوارق والمعجزات



● المحاضرون

التي ظهرت على يديه كتكثير الطعام القليل ليكون كثيراً، وشفائه للمرضى بدعوة من دعواته، أو لمسة من يده، أو تفلة من فيه الشريف الطيب الطاهر... وكونه كان مباركاً أينما كان وحيثما كان ودلائل نبوته أكثر من أن تحصر.

التصديق بكل ما أخبر به

ويستكمل الشيخ حديثه حول واجبات المسلم نحو الرسول صلى الله عليه وسلم مبيناً أن هذه الواجبات تأتي تصديقاً فيما أخبر عنه من فروض الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بكل ما أخبر به، فإخبار الرسول صلى الله عليه وسلم كلها صدق لأنه لا ينطق عن الهوى بل عن الوحي، وقد أخبر الرسول بأخبار كثيرة - عدا عن القرآن - فقد أخبر عن أحوال كثيرة، وأخبار كثيرة من أخبار السابقين، وأخبار كثيرة، من أخبار الآخرين، ويجب الإيمان بكل ذلك، وإن كانت بعض هذه الأخبار من خوارق العادات كما أخبر يوماً بخبر عجيب قائلاً: «بينما راع في غنمه عدا عليه الذئب فأخذ منه شاة، فطلبه الراعي، فالتفت إليه الذئب فقال: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيري؟ وبينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فكلمته فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكن خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: إني أؤمن بذلك وأبو بكر وعمر بن الخطاب» «رواه البخاري»، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لمن تعجب من ذلك: إني أؤمن بهذا وأبو بكر وعمر، وأخبر أن أبا بكر وعمر يوقنان بذلك ومن مقتضى الإيمان به صلى الله عليه وسلم الإيمان بكل ما أخبر به، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بغيوب كثيرة فيما يأتي مما يخالف الحس والعادة، ويجب على المسلم الإيمان بكل ذلك.

وكذلك ما حدث به صلى الله عليه وسلم عن خصوص بعض النباتات والحشرات والأشياء كقوله: ماء زمزم لما شرب له، وكقوله: «الحبة السوداء شفاء من كل داء»، وكقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فإن من إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء» رواه البخاري، ونحو ذلك مما أخبر به يجب الإيمان بكل ذلك، ومن رد شيئاً من ذلك بعد ثبوت العلم بأن الرسول قاله فقد نقص إيمانه بالله ورسوله.

ما حدث به صلى الله عليه وسلم من أمور الآخرة

وكذلك ما حدث به الرسول من أمور الآخرة مما لم يأتِ في القرآن كسؤال الملكين وعذاب القبر ونعيمه، والحوض، والميزان، والصراط، وكذلك ما أخبر به من علامات الساعة مما لم يأتِ في القرآن الكريم أو جاء فيه مجملاً وفصله رسول الله صلى الله عليه وسلم، كالدجال، والنار، ونزول عيسى ابن مريم، ورجوع الشمس من مغربها.

طاعته صلى الله عليه وسلم من طاعة الله

ويكمل الشيخ حديثه حول ثالث الواجبات تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم أن جعل طاعته من طاعة الله تبارك وتعالى وتقديم أمر الله وأمره على كل أمر قال تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) النساء - ٨٠ وقال تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم

فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) النور ـ ٦٣، وقال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر ـ ٧، والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً.

الانتهاء عما نهى عنه صلى الله عليه وسلم

أما رابع هذه الواجبات فهي الانتهاء عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيجب على كل مسلم أن ينتهي عما نهى عنه الله ورسوله، وأن يعلم يقيناً أن ما نهى عنه الرسول يكون في الحرمة كما نهى عنه الله سبحانه وتعالى لأن الرسول لا يحرم بهواه ولا يشرع من عند نفسه، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم محرمات كثيرة أكثر مما حرم الله سبحانه وتعالى في القرآن كما قال صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن يقعد الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي، فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله» رواه أحمد وأبو داود، والحاكم، وصححه الألباني في الجامع.

فما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم مما ليس في القرآن من تحريمه الحمر الأهلية، وكل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، والجمع بين المرأة وخالتها، والمرأة وعمتها في عصمة رجل واحد في وقت واحد، وتحريم لبس الذهب للرجال والأكل في آنية الذهب والفضة وحلق اللحى، وإطالة الثياب إلى ما تحت الكعبين للرجال، وحلق بعض الشعر وترك بعضه، والأكل والشرب والتناول بالشمال وسفر المرأة وحدها دون محرم، والخلوة بالأجنبية، ووجوب إطفاء النار ليلاً والبيع والخطبة على الخطبة... إلخ.

ولا شك أن كل ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم نهي تحريم هو في الحرمة كما نهى عنه الله سبحانه وتعالى، لأن النبي لا يحرم بهواه وإنما يحرم ما أمر الله سبحانه وتعالى بتحريمه، وكذلك ما أوجبه الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر به إلزاماً هو كالذي أوجبه الله على عباده، وكذلك ما جعله شرطاً أو ركناً أو حداً يجب الأخذ بكل ذلك، فهيئات الصلاة ونصاب الزكاة وأحكامها وشروط العبادات والمعاملات، وحدودها التي جاءت في السنة هي كالحدود والشروط التي جاءت في القرآن سواء بسواء.

نصره صلى الله عليه وسلم والقيام معه

أما خامس هذه الواجبات فتتمثل في «نصره صلى الله عليه وسلم والقيام معه» يقول تعالى: (الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين)، وهذه الآية جاءت في وجوب خروج المسلمين إلى غزوة تبوك بأمر الله وأمر رسوله، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) الأنفال ـ ٤، وقد جاءت هذه الآية تدعو المسلمين إلى وجوب الخروج إلى القتال إذا دعاهم الله ورسوله كذلك، وأن الجهاد والقتال واجب يجب القيام به.

الرسول صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمن من نفسه

كذلك يوضح الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق أن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم يجب أن تكون أعظم من النفس والأهل والناس أجمعين، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين» متفق عليه، وهو جدير بهذه المحبة لأنه سبب الهداية والفلاح والنجاح، فأعظم خير قد جاءنا عن طريقه، ولا يشكر الله من لا يشكر الناس، ولا يوجد في الناس من له نعمة علينا كالرسول صلى الله عليه وسلم، وهو أولى بالمسلم من نفسه، لأنه أحرص علينا من نفوسنا التي بين جنبينا، ولذلك وجب علينا أن نحبه أكثر من نفوسنا، قال تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وكما قال صلى الله عليه وسلم: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم» متفق عليه.

فالرسول أولى بكل مؤمن من نفسه: «وهو أب لهم» فهو بمنزلة الوالد، وأبوته لكل فرد من أمته أعظم من أبوة الدم لأن أب الدم سبب في الوجود الجسدي المادي، وأما الرسول فهو سبب في الوجود الروحي الإيماني، وحياة الروح بالإيمان هي الحياة الحقيقية التي يترتب عليها الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، والبدن تابع للروح فإن سعدت الروح سعد البدن، وإن شقيت الروح شقي البدن.

لا يمضي جيل أو قرن من الزمان إلا وللرسول صلى الله عليه وسلم إخبار عن بعض ما يكون فيه.

التأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً

ويستكمل الشيخ بأنه يجب على كل مسلم أن يوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبجله، ويعظمه ويقدسه وينزهه، ويتأدب معه بالأدب الكامل حياً وميتاً ومن هذه الآداب:

أولاً: ألا يقول بحضرته حتى يقول، ولا يفتي حتى يفتي، وبعد مماته كذلك فلا يجوز لمسلم أن يهجم في أمر من أمور الدين حتى يعرف حكم الله، وحكم رسوله، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله».

ثانياً: أن يخفض صوته بحضرته حياً، وأن يتأدب بهذه الآداب عند قبره ميتاً، وعند تلاوة حديثه في كل مكان وزمان، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) الحجرات ـ ٢.

ثالثاً: ألا ينادى الرسول باسمه ولا بكنيته، بل ينادى بوصفه، وأنه رسول الله ونبي الله، فلا يجوز لمسلم أن ينادي الرسول صلى الله عليه وسلم: «يا محمد» أو يا أبا القاسم، أو يا بن عبدالمطلب، وإنما يجب أن يقول يا نبي الله، ويا رسول الله، وكذلك بعد مماته لا يجوز ذكر النبي بأنه محمد أو أبو القاسم دون تقديم وصفه



● جانب من الحضور

وأنه نبي الله، ورسول الله.

رابعاً: أن يصلي عليه عند ذكره، فلا يحل لمسلم ذُكِرَ عنده الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن يقول «صلى الله عليه وسلم» كما قال صلى الله عليه وسلم: «رغم أنف امرىء ذكرت عنده ولم يصلِّ عليّ».

ويستطرد الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق موضحاً أن باب الأدب مع الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته وبعد مماته أكبر من ذلك وما ذكرناه إنما هو للتنبيه إلى بعض هذه الآداب فقط.

وجوب دوام الاعتراف بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم

كذا فإن من واجب المسلم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم الاعتراف بفضله والإشادة الدائمة به، ونشر ذكره ومحاسنه وأخلاقه، وشمائله في العالمين، وفضل ذلك إذ قال: «يجب على كل مسلم دوام الاعتراف بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإحسانه وإنعامه وأن ينشر ذكره دائماً ويذكر محاسنه، وأخلاقه وشمائله، وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعله المثل الذي يحتذى والأنموذج الذي يجب أن يُربي كل مسلم على غراره، وأن يتشبه به وكل مسلم حسب طاقته، قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)، وهذا في كل شؤونه صلى الله عليه وسلم وليس في موقف دون موقف ولا خصلة دون خصلة فخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم.

كما أن من الواجبات كذلك الإيمان بما خصه الله به، وفضله على البشر أجمعين، وجميع الأنبياء والمرسلين، كما قال صلى الله عليه وسلم: «فضلت على الأنبياء بستة: «أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون» رواه مسلم.

وقال: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر...» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وقال: «أما صاحبكم فخليل الرحمن» متفق عليه، فالإيمان بكل ذلك حق واجب، ومن كفر بشيء من ذلك فقد كفر، والاعتراف بهذه الفضائل يوجب على كل مسلم أن يضع الرسول حيث وصفه الله سبحانه وتعالى ، ويحذر أشد الحذر من أن يؤذي أولياءه، وأعلى عبادة مكانة ومكاناً عنده.

بغض من يبغض الرسول ويشنؤه

> **لا يوجد في الناس من له نعمة علينا كالرسول صلى الله عليه وسلم وهو أولى بالمؤمن من نفسه**

ويؤكد الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق على أن من أعظم الواجبات كذلك بُغض من يبغض الرسول صلى الله عليه وسلم ويشنؤه، فيجب على كل مسلم أن يبغض من يبغض رسول الله وأن يعادي من يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يقابل أعداء الرسول بما أمر الله أن يقابلوا به من البغض والمقت والإبعاد والإذلال، وقد أجمع المسلمون في كل عصورهم أن شاتم الرسول ومبغضه إن كان ذمياً فقد نقض عهده، واستحق القتل وإن كان مسلماً فقد كفر واستحق القتل، وذهبت طوائف منهم أنه لا تقبل توبته في الدنيا.

رجاء شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

ويختتم الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق الندوة ببيان آخر الواجبات تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم وهي رجاء شفاعته، فالمسلم الحق هو الذي يرجو شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، ويطلب من الله أن ينيله ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو أعظم شافع وأعظم مشفع، ولا يكون فصل القضاء إلا بشفاعته صلى الله عليه وسلم، فهو أول من يطرق باب الجنة وأول من يفتحها صلى الله عليه وسلم. ■

معجم ألفاظ العقيدة



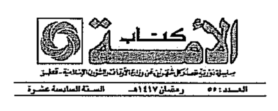
صدر أخيراً عن مكتبة العبيكان في الرياض كتاب «معجم ألفاظ العقيدة» للباحث عامر عبدالله فالح، وقد قدم له فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، من علماء المملكة العربية السعودية والكتاب يقع في (٤٨٠) صفحة من القطع المتوسط (٢٤ × ١٧سم).

ولما كان لكل علم من العلوم مصطلحاته وألفاظه الخاصة التي تحتاج إلى شرح وإيضاح، فقد رأى المؤلف أن يضع كتابه هذا ليتناول فيه بالشرح والتوضيح الاصطلاحات والعبارات الخاصة في كتب العقيدة، ولاسيما أنه لم يقف على كتاب مصنف يفي بهذا الغرض.

وقد انطلق المؤلف في شرح هذه المصطلحات وبيانها وفق اعتقاد أهل السنة والجماعة «السلف الصالح»، فبين الموقف الصحيح منها، ونبه على ما وقع فيها من انحرافات وضلالات، وقد راعى في منهج الشرح التوسط بين الاختصار والبسط، واعتمد على أوثق أقوال أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين في شرح هذه الاصطلاحات مراعياً في ذلك سهولة العبارة ووضوح الفكرة.

ثم عمد المؤلف إلى ترتيب مادة معجمه وفق الترتيب الهجائي لحروف المعجم، ورتب المصطلحات كما هي دون ردّ لأصل المصطلح اللغوي، فكلمة: «الإثبات» مثلاً تجدها في حرف الهمزة، لا في حرف الثاء باعتبار أصلها الثلاثي «ثبت» كما هو صنيع معاجم اللغة، وفي هذا نوع من التيسير على الباحثين الذين ربما يتعذر على بعضهم تجريد المصطلح ورده إلى أصله، ومجمل القول الكتاب جهد طيب يستحق الثناء والشكر، ولا سيما أنه المشروع الأول للباحث في مجال التأليف، وقد يسر بعمله هذا تقريب معاني مصطلحات علم العقيدة التي يغيب معناها عن كثير من طلبة العلم فضلاً عن عامة الناس.

أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية



أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية



ضمن السلسلة الدورية التي تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر صدر كتاب الأمة رقم ٥٥ في رمضان ١٤١٧هـ «أصول الحكم على المبتدعة عند شيخ الإسلام ابن تيمية»، لمؤلفه الدكتور أحمد عبدالعزيز الحليني، وهذا الكتاب.. محاولة للوقوف على جوانب من منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في بناء المنهجية الفكرية والفقهية وأصول التربية الاجتماعية، حيث يسعى إلى تصويب معايير النظر والحكم على القضايا والأشخاص، وتأصيل المرجعية الشرعية، من خلال الكثير من الكتاب والمفكرين والباحثين، على الرغم من حماسهم للإسلام وانتصارهم له، وتأتي أهمية إبراز الكتاب، في هذا الوقت بالذات، حيث يعيش العالم الإسلامي اليوم على المستوى الداخلي والخارجي، ظروفاً مشابهة لتلك الظروف التي عاشها ابن تيمية، من حيث الاجتياح الفكري، والاستلاب الحضاري، والانشطار الثقافي، والتحكم الدولي بإنسانه وإمكاناته، ومحاولات تغييب ما جاء به الوحي كمصدر للمعرفة الصحيحة، إضافة إلى حالة التآكل والتمزق والتنازع، التي تفتك بنسيج الأمة الاجتماعي، وما يخلفه ذلك من الفشل والإحباط والتلاوم والمجازفات التي توصل إلى انطلاق موجة الاتهام بالتكفير والتفسيق، والتطرف والمغالاة وشيوع التطفيف وبخس الناس أشياءهم، كل ذلك بسبب غياب العلم تارة، وغياب الميزان والمعيار تارة أخرى، واعتبار الأشخاص هم المعيار، وفي هذا ما فيه من الاضطراب والخلل، وخضوع للأمزجة والهوى، فلو عرفنا الحق واعتمدناه معياراً، لعرفنا أهله: «اعرف الحق تعرف أهله».

الإدارة... حضارة وأصول وجذور

عن نشأة الحضارات ودور الإدارة فيها، وفروع علم الإدارة في الحضارات الإنسانية القديمة وحتى سقوط الامبراطورية الرومانية، ومبادىء الإدارة المعاصرة في الأدب الفرعوني والعمارة الفرعونية، وصولاً إلى كون كل هذه الجذور والأصول كانت المرشد الأول لرواد الإدارة الأوائل أمثال فردريك تايلور وجانيت، وفايول، يتناولها جميعاً أحد الإصدارات الإدارية الحديثة «الإدارة الأصول والجذور» والذي يقع في عشرة فصول تضمها (١٤٣) صفحة من القطع المتوسط في دراسة فريدة جمعت بين آخر أعمال عالم الأثريات الجليل د. سيد توفيق وخبرة الإدارة كما عاشها د. عبدالرحمن توفيق.

العلاقات العربية - الخليجية في ندوة لمركز دراسات الخليج والجزيرة العربية

ينظم مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية في العاشرة من مارس الجاري ندوة حول العلاقات الخليجية العربية بعد تحرير الكويت.

وتستضيف الندوة التي يرعاها النائب الأول لرئيس الوزراء ووزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح الأحمد عدداً من الشخصيات من الكويت ودول الخليج إضافة إلى مصر ولبنان ودول شمال إفريقيا العربية.

وأعلنت مديرة المركز الدكتورة ميمونة الصباح أن محور الندوة التي ستعقد على مدى ثلاثة أيام، والتي تساهم في تنظيمها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، سوف تناقش العلاقات الخليجية من جميع جوانبها أثناء الحرب العراقية الإيرانية والظروف التي أدت إلى قيام مجلس التعاون الخليجي العام ١٩٨١ وموقفه من هذه الحرب، إضافة إلى التعرف على موقف الجامعة العربية إزاء هذه الحرب والجهود التي بذلتها لإنهائها، وسيجري استعراض الملامح العامة للعلاقات العربية الخليجية وموقف الأقطار العربية وردود فعلها بالنسبة للاحتلال العراقي لدولة الكويت عامي ٩٠ ـ ٩١ وما طرأ على مواقف هذه الدول بعد التحرير، ومدى الإسهام العربي في صدور قرارات مجلس الأمن الدولي، والموقف العربي إزاء العقوبات الدولية على العراق ولإسهام من قوات التحالف الدولي، ويشهد اليوم الثالث للندوة استعراضاً لدور الأقطار الخليجية في النظام العربي بعد تحرير الكويت مع تحليل العلاقة بين مجلس التعاون الخليجي والجامعة العربية، وملامح التغييرات التي طرأت على مواقف الدول العربية، وظهور عوامل جديدة في العلاقة بين الأقطار الخليجية وبقية الدول العربية كقضية التعويضات، والأسرى، وإعلان دمشق، ومسيرة السلام العربي الإسرائيلي، ابتداء من مؤتمر مدريد وحتى الوقت الحاضر، ومساعي تنقية الأجواء العربية وتحقيق المصالحة.

ملحمة الغرباء



من رحلة اللجوء، بين الصخور والأشواك، التقى لاجىء لاجئاً، وغريب غريباً، وازدحمت الدروب بالغرباء بين أنين وشكوى ورجاء والغرباء الذين نعنيهم ليسوا اللاهين القاعدين، ولا المدبرين والفارين، ولا العاجزين الغافلين، لكنهم الذين عناهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: «طوبى للغرباء!» من هذه الرحلة خرجت هذه الملحمة الشعرية للدكتور عدنان النحوي لتمر على أرض فلسطين، فلبنان، فسوريا، فأفغانستان، وغيرها من ديار الإسلام، خرجت هذه الملحمة صرخة مدوية عسى أن توقظ الغافلين.

تضم هذه الملحمة مقدمة أدبية عن التصور الذي نقدمه للملحمة في الأدب الإسلامي، ثم يأتي فصل نثري بعنوان «مع الغرباء على طريق الغربة»، يستعرض أنواع الغربة التي عرفها المسلمون منذ هجرتهم إلى الحبشة والفرق بين غربة وغربة، ثم يأتي القسم الشعري ليبدأ بالافتتاح، ثم تأتي خمسة فصول شعرية: جرحان على طريق الغربة، آلام وآمال، ومضة وانبلاج نور، امتداد الغربة في العالم الإسلامي، ثم غربة المؤمن ولقاء الغرباء.

والملحمة تقع في (٦٩) صفحة نثراً و (٨٢) صفحة شعراً من القطع الوسط ـ مزيدة ومنقحة.

أخبار ثقافية

● أبلغت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية الأمير طلال بن عبدالعزيز رئيس برنامج الخليج العربي موافقتها على الطلب الذي تقدم به خلال اجتماعات وزراء التعليم العرب في ديسمبر الماضي بإنشاء جامعة مفتوحة لأبناء الدول العربية.

● منحت جائزة التواصل الثقافي بين الشمال والجنوب التي أحدثها الكاتب المغربي المهدي المجزة خبير الدراسات المستقبلية عقب نشره مؤلفه الحرب الحضارية الأولى الذي صدر في أعقاب حرب الخليج العام ١٩٩١م هذا العام للجمعية الدولية مستقبليات ووكالة شراع للصحافة والنشر في طنجة بالمغرب.

● قالت منظمةالأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم إن نسبة الكتب الصادرة سنوياً في العالم العربي هي ثمانية كتب لكل ألف مواطن.

بدأ الإعداد لإصدار أول وأكبر موسوعة للطفل العربي والتي سوف تصدر بالتعاون بين الهيئة المصرية العامة للكتاب ومؤسسة وورلدبوك الأمريكية وسيشهد معرض القاهرة الدولي للكتاب خلال العام القادم إصدار هذه الموسوعة.

● أعربت لجنة حكومية فرنسية تخضع للمسؤولية المباشرة للرئيس الفرنسي جاك شيراك عن قلقها إزاء تراجع أهمية وانتشار اللغة الفرنسية لصالح اللغات الألمانية والإسبانية والصينية وقالت إن أكثر تهديد يثير القلق للغة الفرنسية يوجد في أفريقيا.

● تقرر أن تنشىء المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة «الايسيسكو» قسماً للغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة الدولة في موسكو وذلك في إطار التعاون بين الإيسيسكو ومعهد الحضارة الإسلامية في موسكو «جامعة الدولة في العاصمة الروسية».

تقوم شركة الصناعات السعودية لتطوير المعلومات «سيدي» بطرح تلاوة المصحف الشريف على أقراص ليزر سمعية مدمجة وقد اختيرت تلاوة كل من المقرئين محمود خليل الحصري، والشيخ محمد صديق المنشاوي ضمن هذا المشروع إضافة إلى تطبيق أحدث الأساليب التقنية للحصو على أرقى وأصفى التسجيلات.

● تقوم رابطة العالم الإسلامي حالياً بإعداد ترجمات لبعض كتب الفقه والسنة إلى اللغة البرتغالية والإسبانية والهولندية والسويسرية وبعض اللغات الآسيوية والأفريقية وتسجيل بعض هذه الترجمات على أشرطة.

تـــراث

العد والترقيم قديما ٢/٥

النظام العشري أقدم نظام عدّ عرفه التاريخ
الإصبع هو أول رمز استخدم للرقم

للدكتور عبد الستار محمد فيض

أنظمة العد

إن أقدم نظام عدّ في التاريخ شغل بال الكثير من العلماء والمفكرين، فنشط كثير منهم في فحص ودراسة الوثائق التاريخية لوضع تصنيف مقارن للأنظمة العددية المكتشفة في مختلف المدنيات الشهيرة، واستخلاص أنظمةالعد لدى القبائل والشعوب التي مازالت سلالاتها مستمرة حتى العصر الحديث، رغم أنها لم تكن على اتصال بالمدنيات المحيطة بها.

فقد اختلف العلماء في القاعدة العددية المتبعة عند الشعوب البدائية كأساس لمجموعات العد، هل هي خمسة، أم عشرة، أم عشرين، أم غير ذلك؟، يقول جورج سارتون، إن التقسيم إلى مجموعات كأساس للعد يعود إلى القاعدة العددية المتبعة عند كل شعب من الشعوب، فهي في الغالب خمسة بين كثير من القبائل الأمريكية، وأحياناً عشرين كالمتبع عند قبائل «المايا»، ولكنها في الغالب الأعم عشرة في معظم أنحاء العالم.(١)

وهذه الأسس الثلاثة أكثر شيوعاً من غيرها(٢)، غير أن سارتون يشير إلى ملاحظة تاريخية مهمة بقوله: «ومما يدعو إلى العجب اتفاق الشعوب السابقة إلى الحضارة اتفاقاً تلقائياً على استعمال القاعدة العشرية»، وهذا القول يجافي الحقيقة، لأن الشعوب البدائية لم تتفق على استعمال أي قاعدة عددية، وذلك لاتساع رقعة المسافات الفاصلة بينها، وإنما يعود انتشار هذه القاعدة بينها إلى الطبيعة الفطرية في استخدام أصابع اليدين كما سيأتي ذلك بالتفصيل فيما بعد.

ويتفق معظم المؤرخين على أن النظام العشري هو أقدم نظام عدّ عرف في التاريخ، وربما أن إنسان ما قبل التاريخ قد استخدمه أيضاً دون غيره، إلا أن هناك بعض قبائل الأقزام في أفريقيا مازالت إلى يومنا هذا تستعمل لفظ «واحد» و «اثنين» فقط كأساس لعد، فهم يعدون «أي» بمعنى واحد و«أديا» بمعنى اثنين، فإذا أرادوا ثلاثة يقولون «أي أديا» وأربعة «أديا أديا» وخمسة «أديا أديا أي» وهكذا(٣)، وبعض قبائل جزيرة سريلانكا يعدون إلى اثنين وبعدها يقولون وواحد للعدد ثلاثة.

وتعرف قبائل «الكمباس» في البيرو في أمريكا الجنوبية ثلاثة أسماء فقط للأعداد هي: «كوبلي» للعدد واحد و«كمباني» للعدد اثنين و«ماتن» للعدد ثلاثة، ثم يعدون ثلاثة وواحد، وثلاثة واثنين، حتى العشرة، وأي عدد أكثر من عشرة يقولون عنه كثير، فليس في لغاتهم ألفاظ للأربعة أو الخمسة أو فوق ذلك لأن حياتهم لا تتطلب أعداداً فوق الثلاثة، واللغة وليدة البيئة، والمجتمع يصوغ من الألفاظ ما يحتاج إليه، ومجتمع هؤلاء لم يصغ ألفاظاً فوق ما يحتاجون إليه.(٤)

النظام الخمسي

يعتبر النظام الخمسي أول نظام استخدمه الإنسان للتعبير عن مجموعات الأعداد، فقد اعتاد الإنسان أن يشير بأصبع واحد إذا أراد الإفادة عن العدد واحد،أو بثلاثة أصابع إذا أراد التعبير عن العدد ثلاثة، أو يفتح جميع أصابع اليد إذا أراد الإفادة عن العدد خمسة، وهذه الإشارات مازالت تستخدم حالياً إذا كانت الإجابة لشخص أصم، أو إذا كان الحديث يدور بين اثنين لا يعرفان لغة بعضهما.

وكان الإنسان القديم قد توصل إلى التعبير عن العدد بالرموز، وذلك برسم الأصبع الذي هو أداة العد الوحيدة التي استخدمها منذ عرف الأعداد على شكل خط رأسي واحد كرمز للعدد واحد، ورسم اصبعين على شكل خطين متجاورين كرمز للعدد اثنين وهكذا، ولما كثر عدد الخطوط المتجاورة، أراد الاختصار فتوصل إلى وضع رمز جديد يعبر عن العدد خمسة وهو خط مستعرض (–) فإذا أراد كتابة أو حفر أي عدد يريده يضع خطاً أفقياً مقابل كل خمسة خطوط رأسية، فبدلاً من حفر ستة عشر خطاً رأسياً (١١١١١١١١١١١١١١١١) صار بإمكانه أن يحفر ثلاثة خطوط عرضية مع خط رأسي واحد (– – –١)، وقد اختار هذا الإنسان التوقف عند الرقم خمسة لأنها تمثل كفه بأصابعها الخمسة.

وحتى الآن فإن هذه الطريقة تستخدم لدى بعض القبائل التي تقطن أمريكا الجنوبية، وهذه القبائل تعتمد على أصابع اليد الواحدة كأساس للعد، فتقول: واحد. اثنان. ثلاثة. أربعة. يد. يد وواحد. يد واثنان. يدان. يدان وواحد.... إلخ.

كما أن الأرقام اللاتينية تحتفظ حتى عصرنا الحاضر بالنظام الخمسي وتستخدم لذلك رمزين اثنين فقط هما رمز الأصبع (١) ورمز الكف (٧) وتكتب الأعداد هكذا: (١) شكل اصبع للتعبير عن العدد واحد (١١) اصبعين للاثنين، (١١١) ثلاثة أصابع رمزاً للثلاثة (١١١١) أربعة أصابع رمزاً للأربعة، (٧) كف للتعبير عن العدد خمسة(٧١) أصبع زائد كف للستة(٥)، وهكذا إلى العدد ٨ ثم تكرر الرموز بعد ذلك بنفس القاعدة.

النظام العشري

تـوصلت معظم الشعوب القـديمة إلى اعتماد الـرقم عشرة كأساس للعـد، وسبب ذلك هو أن الإنســان القديم إذا أراد حســاب مجموعـة من الأشياء المتشابهة كـان يعمد لتسهيل عمليـة العد إلى قسمة المجمـوعة الكبيرة إلى عدد مـن المجموعات الصغيرة التـي يتطابق عدد أفـراد كل منها مـع عدد أصابع يديه، ففي البداية كـان الإنسان القديم إذا أراد إحصاء مئة سـهم، فإنه يضـع مئة خط صغير على عصا إذا اعتمـد الرقم «واحد»، ثم لما اعتمد أصابع اليـد الواحـدة كأساس للعـدد خمسة كان عليـه أن يضـع عشرين خطاً، وعنـدما اعتمد عدد أصـابع اليدين معاً كأســاس للعدد عشرة وضـع عشر إشارات فقط على العصــا(٦)، ثم تطور العد العشري عنـده إلى نظام عشري، فإذا أراد أن يحصي سـهـامه بهذا النظـام كـان عليه أن يقـرن كل سـهم بإصبع من أصابع يـديه، فإذا بلغ عشرة أسهم، جعلها «حـزمة» ثم أعاد الكرة على ما بقي لديه من سهام، فإذا فرغ رجع فعد الحزم وجعل كل عشر منها «جعبة» حتى إذا فرغ من الجعب جمعها عشرات وجعل كل عشر منها «كومة»، فإذا أصبح لديه كومتان وثلاث جعب وتسع حزم وسهمين فذلك «ألفان وثلاثمئة واثنين وتسعين سهماً».

وهكذا اختـارت المجتمعات البشرية«العشرة» أسـاساً للعد نظـراً للطبيعة الواحدة التي تجمع هؤلاء الناس، ذلك أن الله جعل لكل امرىء يدين في كل منها خمسة أصابع، وبما أن عدد أصـابع اليدين ثابت لدى جميع البشر، فإنه يسهل استعمال هذه الأصابع للمقابلة بينها وبين عدد الأشياء.

وطـريقـة العـد العشري لـدى معظم الأمم لا تختلف عن بعضـهـا بعضــاً تقريبـاً، فكل نظام يعد مـن واحد إلى عشرة بألفاظ مختلفـة، وبعد العشرة تعتمد تسمية الأعـداد على إضافة اسم العدد إلى العشرة مثـل: ثلاثة عشر، خمسة وعشرون سبعة وثمانون... إلخ، وهكـذا يكون العدد عشرة أساساً لعمية العد بالنسبة للأعداد الكبيرة.(٧)

وقد اختط صانعو اللغة لتسمية الأعداد خطة عبقرية في سهولتها ويسرها لدرجة أن الطفل يستطيع أن يعد بلا عنـاء إلى أي حد يشاء من واحد إلى ما لا نهاية.

النظام الاثنا عشري

من ضمن أنظمة العد المنتشرة في العـالم نظام يعتمد على العدد (١٢) ومن الصعب وجـود تعليل لنشـوء هذا النظـام، غير أن لـه ميزة يجعلـه سلماً يستفيد منه مجتمع لا يعرف الكسور، فالاثنا عشر نصفها وثلثها وربعها وسـدسهـا ونصـف سدسهـا أعـداد صحيحة، وهـذا ممـا يسهل على أي شخص التعبير عن الكسور دون تفكير.

ولكن الافتراض ـ بأن مثل هذا الاعتبار قد استوجب استعمال نظام السُّلم الاثنا عشري ـ ينطوي على افتراض آخر لا يسهل تصـديقه، وهو أن الذين لجأوا إلى هذا النظام قد بلغوا درجة من التطور الفكري الرياضي لا تتمشى مـع الحيـاة البـدائيـة التي كـانـت سـائدة قبل خمسين قـرنـاً على سطح الأرض.(٨)

ولذا فإن الأقـرب إلى العقل والمنطق، هو نفي وجود مثل هذا النظـام الاثنا عشري في ذلك العصر الموغل في القدم، فإن تكن ثمة رواسب مما يشبه هذ النظام فلعلها كانت من قبيل الصدفة.

وقـد استعملت بعض الحضـارات الـرقـم (١٢) كأسـاس للعـد، فمعظم البلدان تقول (دزينة) أو (دستـة) في حساب كثير من الأدوات والبضائع، ومـازالت هذه القـاعـدة سائدة إلى الآن، كما أن نظـام قيـاس المسافـات البريطاني يعتمد على وحدة القدم، وتقسـم القدم إلى (١٢) بوصة، والعالم متفق على أن النهار ١٢ ساعة والسنة ١٢ شهراً، لذلك يمكن الافتراض أن الاعتماد على الرقم ١٢ ربما يعود إلى أن الإنسان القـديم الذي اتبع الشهر القمري قد لاحظ أن السنة الواحدة تحتوي على (١٢) دورة قمرية.

النظام العشريني

استعملت بعض قبـائل أمريكا الجنـوبية أصـابع اليدين والـرجلين معاً كأســاس للعـد، فنتج عن ذلك نظـام الترقيم العشريني، كـذلك القبـائل السلتية التي كـانت تجوب بلاد أوروبا منذ مئـات السنين واستقرت في عدد منها كانت تستعمل الرقم عشرين كأسـاس للعد، ومازالت آثار هذا النظام ظاهرة في كثير من اللغات الأوروبية، فـالفرنسيون مثلاً يقولون، أربع عشرينات للرقم ثمانين وأربع عشرينات وخمسة عشر للعدد خمسة وتسعين.

ولكن الاعتماد على المطابقـة بين أصابع اليـدين والرجلين لم يكن عـاماً، لذلك لم ينتشر هذا النظام مثل بقية الأنظمة الأخرى.

النظام الستيني

يعتبر النظام الستيني مرحلة متقدمـة من النظام الاثنا عشري، وقد وجد هذا النظـام واستعمل في حوض الرافـدين قبل خمسـين قرنـاً، ويقال إن سكان حـوض الرافدين قد علمـوه للفرس والإغريق، ومن هـؤلاء تعلمه العـرب وظلـوا يستعملـونـه في حسـابهم الفلكي حتى نهايـةالعصـور الوسطى.

والنظام الستيني يعتمـد على الرقم (٦٠) كأساس للعد، ومـازال العالم يستعمل هـذه الطريقـة في العد إلى الآن، ويظهـر ذلك في وحدات الـزمن والزوايا، فالساعة ستون دقيقة، والدقيقة ستون ثانية، والزاوية ستون درجة.

وقد ابتكر البابليون هـذا النظام واستعملوه في حسابهم، ويرجع العلماء السبب في ذلك إلى طبيعة نظام القياسات والأوزان التي كانت لديهم(٩)، إضافـة إلى تقسيمات ساعـات الليل والنهار، وتقسيم السنـة إلى أشهر وأيام، وربما كان أمر الكسور هو الذي جعل البابليين يأخذون به، ففي هذا النظام، النصف والثلث والـربـع والخمس والسدس والعشر وكسور أخرى يسـهل التعبير عنها بالنظام الستيني كلها تعطي أعداداً صحيحة، ولـذا شـاع استعمال هـذا النظام بين المنجمين، وظلـوا يستعملـونـه في حساباتهم وجداولهم، ولاسيما أن أنظمة الترقيم الأخرى لم تكن تنطوي على ترقيم خاص بالكسور.

وهكذا نـرى أن الشعوب القـديمة قـد استخدمت أسسـاً مختلفة ولكن معظم هـذه الشعـوب اعتمـدت الأسـاس «عشرة»، ولم يكن لـلأنظمـة الأخرى إلا بعض الأدوار المحدودة(١٠) بينما راج النظام العشري حتى عم العالم بأسره اليوم.

الهوامش:

(١) جورج سارتون / تاريخ العلم / ج١ ص٥٧.
٢ ـ محمود إبراهيم الصغيري / أنظمة العد في الحضارات القديمة / ص٨.
٣ ـ محمد مكداشي / حكاية الأعداد / ص١٨.
٣ ـ المرجع السابق / ص٥.
٤ ـ أحمد سليم سعيدان / قصة الأرقام / ١٠.
٥ ـ منى باسيل الركابي / عجائب الرياضيات / ص٧٣.
٦ ـ محمد مكداشي / حكاية الأعداد / ص١٦.
٧ ـ مصطفى النحاس / العدد في اللغة / ص٢١ و ٢٢.
٨ ـ أحمد سليم سعيدان / قصة الأرقام/ ص١٦.
٩ ـ فاروق ناصر الراوي / حضارة العراق/ ج٢ ص ٣٠١.
١٠ ـ رينيه تـاتـون/ تـاريخ الحساب / تـرجمة مـوريس شربل / ص٥٧.

حديقـــة الوعـي

إعــداد/ احمد عبدالجبار

دعاء

قال الشافعي رضي الله عنه

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي
جعلت رجائي نحو عفوك سلّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعـــفوك ربي كان عفوك أعظما

كلمات وحكم

قال عبدالله بن مسعود: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخـولنـا بـالموعظة مخافـة السآمة علينا.

وكان علي بن أبي طالب يقـول: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبـدان، فـابتغـوا لها طـرائف الحكمة.

وقــال علي رضي الله عنــه: نبـه بالتفكـر قلبك وجاف عن النوم جنبك، واتق الله ربك.

قال أبـو الدرداء: إني لأستجم قلبي بشيء من اللهو ليكون أقوى لي على الحق.

وقال عبداللـه بن مسعود: أريحوا القلوب فإن القلب إذا أُكره عمي.

فيما علا وسبق

عن أبي مــــالك الأشجعـي قـــال قلـت لابن الحنفية: أبو بكر كان أول القـوم إسلاماً؟ قال لا: قلت فيما علا وسبق حتى لا يذكر أحد غير أبي بكر؟ قال كان أفضلهم إسلاماً حتى لحق بالله عز وجل.

من هدي كتاب الله

إن هذا القـرآن يهدي للتي هي أقـوم ويبشر المؤمنين الذين يعملـون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً. وأن الذين لا يؤمنـون بالآخرة أعتدنا لهم عذابـاً أليماً. ويدع الإنسان بالشر دعـاءه بالخير وكـان الإنسـان عجولاً» صـدق اللـه العظيم ـــ سورة الإسراء ٩ ـــ ١١.

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن الأسود قال: دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله عنها، وهي بمنى، وهم يضحكون، فقالت: ما يضحككم؟ قالوا: فلان خرَّ على طنب فسطاط، فكادت عنقه أو عينه أن تذهب! قالت: لا تضحكوا، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها إلا كتبت له بها درجة، ومحيت عنه بها خطيئة». رواه مسلم

المزاح وما يؤدي إليه:

قـــال سليمان بن داود عليهما الســلام: المزاح يستخف فـــؤاد الحليم، ويذهب ببهاء ذي القدرة.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من أكثر من شيء عرف به، ومن مازح استخف به، ومن كثر ضحكه ذهبت هيبته.

وكان يقال: لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عماله: امنعوا الناس عن المزاح فإنه يذهب المروءة ويوغر الصدر. عليك بها

قال حكيم: عليكم بمـن تربت في النعيم ثم أصابتهـا فاقـة، فأثر فيها الغنى، وأدبها الفقر، فتوازنت نفسها واعتدل سلوكها.

محمد الفقي

حلم معاوية بن أبي سفيان

قــال معــاويــة «لا أضع سيفي حيث يكفيني ســوطـي، ولا أضـع ســوطي حيث يكفيني لســاني، ولـو أن بيني وبين الناس شعـرة مـا انقطعت قيل: «وكيف ذاك؟ قــال كنت إذا مدوها خليتها وإن خلـوها مددتها» ونحو هذا قول الشعبي فيه: «كـان معاوية كالجمل الصلب الحاذق بالمشي وهو الذي لا يضـع يديـه إلا حيث يبصر، وقول عمر فيه: احذروا آدم قريش وابن كريمهـا، من لا ينام إلا على الرضا ويضحك في الغضب ويأخذ مـا فوقه من تحته»، وأغلظ لـه رجل فحلم عنه فقيل لـه: اتحلم عن هذا؟ فقـال: «إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا»

هكذا يكون

دخل سفيان الثوري على عبداللـه بن جعفر فقال له: علمني ممـا علمك الله.. فقـال: علمنا إذا تظاهـرت الذنـوب فعليك بـالاستغفـار، وإذا تظاهـــرت النعم فعليك بـالشكـر وإذا تظاهرت الغموم، فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهكذا يكون المسلم.

إياك منها

يقول أحد الوعاظ:
إيـــاك والكبر فإنها أول معصيـــــة حصلت في السماء تكبر إبليـــــس فصار من الملعونين.
وإيـــاك والحرص فإنها أول معصيـــة حصلت في الجنة فطرد آدم منها.
وإياك والحسد فإنها أول معصيـــة حصلت على الأرض فقتل قـــابيـل هابيل.

أقوال

قال بعض الأعراب: ليست الفتـوة الفسق ولا الفجـور ولا شرب الخمور، وإنما الفتوة طعـام مـوضـوع، وصنيع مصنـــوع، ومكـان مـرفـوع، ولسـان معســول وتأمل مبذول وعفاف معـــــروف وأذى مكفوف.

من صفات الإمام الماهر

قـال أحـد الحكماء: لا ينبغي للعـــاقل أن يستصغـر شيئـاً من الخطأ والـزلل، فإنـه متى مـا استصغـر الصغير يوشك أن يقع في الكبير، فقـد رأينـا الملوك تؤتى من العدو المحتقـر، ورأينـا الصحـة تـؤتى من الـداء اليسير، ورأينا الأنهار تتـدفـق من الجداول الصغار.

في الرجوع إلى الحق

حكي أن قطاة نـازعت غراباً حفـرة يجتمع فيها الماء، وادعى كل واحـد منهما أنها ملكـه، فتحـاكما إلى صـديق، فطلب من كل منهما بيِّنة، فلم يستطع أحـد منهما أن يقيمهـا، فحكم الصديق للقطـاة بالحفـرة، فلما رأته قضى لها من غير بيِّنـة ، والحال أن الحفرة كانت للغراب، قالت لـه: أيها الصديق، ما الذي دعاك لتحكم لي وليست لي بيِّنة، ومـا الذي آثرت بـه دعواي على دعـوة الغراب؟ فقـال الصـديق: قد اشتهـر عنك الصدق بين النـاس حتى ضربـوا بصـدقك المثل، فقالوا: «أصـدق من قطاة»، فقالت لـه: إذا كان الأمر كذلك فوالله إن الحفرة للغراب، وما أنا ممن اشتهرت عنهم خصلة حسنة ويفعلون ما يخالفها، فقال: وما حملك على هـذه الـدعـوى الباطلـة؟ فقـالت: ثـورة الغضب، لأن الغـراب منعنـي من ورود حفـرة الماء، ولكن الـرجوع إلى الحق أولى من التمادي في البـاطل، ولأن تبقى لي هذه الشهرة خير لي من ألف حفرة!

عجائب الاتفاق:

كان لعبدالله الخيـاط ابن يدعـى «يونس» يسـومه أشـد أنواع العقوق:
وحدث أن رآه بعض الناس آخذاً بتلابيب أبيه يعصر حلقه عصراً، فأسرع الرجل وخلصه من بين يديه بعد جهد، ثم صرخ في وجهه ويحك كيف تفعل هـذا بأبيك؟ فقـال عبـدالله: لا تلمـه يـا أخي فوالذي نفسي بيـده لقد خنقت أبي في نفس الموضع الذي خنقني فيه.
فانصرف الرجل وهو يضحك من عجائب الاتفاق

طـــرفـة

حكى أن قاضي القضاة الماوردي قال كنت جالساً في مجلس مقبلاً على تـدريس أصحابي، فـدخل علينا شيخ قـد ناهـز الثمانين أو جاوزهـا فقال لي: قـد قصدتك في مسألـة اخترتك لها، فقلت وما هي؟ وظننته يسأل عن حادثة حدثت له فقال أيها الشيخ أخبرني عن نجم إبليس من أخبـار الحمقى والمغفلين ونجم آدم مـا هما؟ فإن هذين لا يسأل عنهما لعظـم شأنهما إلا علماء الدين. فعجبت منه وعجب من في المجلس من سؤاله، وبـدر جماعة بالإنكار عليه والاستخفاف بـه، فكففتهم وقلت: هذا لا يقنع بما ظهر من حـاله إلا بجـواب مثله، فأقبلت عليـه وقلت: يا هـذا إن نجوم النـاس لا تعرف إلا بمعرفة مواليـدهم، فإذا ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله فقال جـزاك الله خيراً وانصرف مسروراً، فلما كـان بعد أيـام عاد وقال: ما وجدت إلى يومي هذا من يعرف مولد هذين.

وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد

سأل إبراهيم الحربي أحمد بن حنبل عن تعمير الخضر وإلياس وأنهما بـاقيـان ويـروى عنهما فقـال: من أحـال على غـائب لم ينتصف منه وما ألقى هذا بين الناس إلا الشيطان.
وسئل البخاري رحمه الله عن الخضر والياس هل هما في الأحياء فقال: كيف يكـون هذا وقـد قال النبي صلى اللـه عليه وسلم «لا يبقى على رأس مئة سنة ممن هو على ظهـر اليوم أحد» وقال ابن الجوزي «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد».

دعـــاء

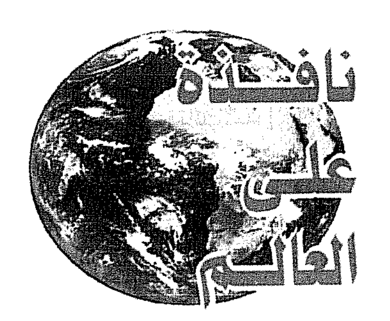
اللهم إني أعـوذ بك من عـذاب جهنم، وأعـوذ بك من عذاب القبر، وأعـوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنـة المحيـا والممات، وأعـــوذ بك من المأثم والمغرم، وأعـوذ بك من شر فتنة الغنى، ومن شر فتنة الفقـر، وأعوذ بك من شر سمعي، ومن شر بصري، ومن شر لساني، ومن شر قلبـي، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمـر، وأعـوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبراً.

أصول الشر وفروعه

قـال الحسـن: أصـول الشر ثــلاثـة وفـروعـه ستـة: الأصـول الثـلاثـة: الحسـد، والحرص وحب الـدنيـا، والفـروع الستـة: حـب النـوم، وحب الشبع، وحب الـراحة، وحب الـرئاسة وحب الثناء، وحب الفخر.

أدب السؤال والجواب:

أوصى يحيى بن خـالد بن بـرمك ابنه جعفر فقـال : لا ترد على أحـد جواباً حتى تفهم كلامه فإن ذلك يصرفك عن جواب كـلامه إلى غيره، ويـؤكد الجهل عليك، ولكن افهم عنـه، فإذا فهمتـه فأجبـه، ولا تعجل بـــالجواب قبل الاستفهـام، ولا تستح أن تستفهم إذا لم تفهم، فإن الجواب قبل الفهم حمق، وإذا جهلت مـــا قيـل فســؤالك واستفهـــامك أجمل بـك، وخير من السكوت على العمى.



ارتفاع الاستثمارات العربية إلى ١١٦,٧ مليار دولار

ذكر تقرير نشر أن الاستثمارات الداخلية العربية زادت العام ١٩٩٥ بفضل ارتفاع أسعار النفط والإصلاحات الاقتصادية في معظم الدول الاثنتين والعشرين الأعضاء في الجامعة العربية، وأشار تقرير صندوق النقد العربي الذي يتخذ من «أبو ظبي» مقراً له، إلى أن استثمارات القطاعين العام والخاص، وخصوصاً القطاع الصناعي، بلغت نحو ١١٦,٧ مليار دولار العام ١٩٩٥، بينما كانت ١٠٩,٨ مليارات دولار العام ١٩٤، وكانت للسعودية أكبر منتج نفط ومصدر للنفط في العالم، حصة الأسد من هذه الاستثمارات، إذ كانت لها من مجموع الاستثمارات العربية نسبة الربع تقريباً، أي ٢٧,٧ مليار دولار، في مقابل ٢٣,٦ مليار العام ١٩٩٤، واعتبر خبراء أن زيادة الاستثمارات العربية يعود إلى ارتفاع أسعار النفط ومواصلة الإصلاحات الاقتصادية في العالم العربي.

ديون الجيش الروسي ٦ مليارات دولار

أعلن المتحدث باسم وزارة الدفاع الروسية أناتولي شاتالوف أن ديون الجيش الروسي المزود بالسلاح إضافة إلى المتأخرات في دفع رواتب العاملين في المؤسسة العسكرية تبلغ قرابة ستة مليارات دولار، مشيراً إلى أن الوضع المادي داخل الجيش صعب جداً، يذكر أن ميزانية العام ١٩٩٧ خصصت ١٨ مليار دولار للدفاع وهو مبلغ يغطي فقط ثلثي حاجات الحد الأدنى للجيش وفق ما ذكر شاتالوف الذي أضاف: أنه بهذه الوسائل المحدودة من الصعب التحدث بجدية عن إصلاحات. جاء ذلك في وقت ذكرت مصادر عسكرية روسية أن القدرة القتالية للجيش الروسي تراجعت بمقدار ستة أمثال منذ انهيار الاتحاد السوفييتي العام ١٩٩١م، وقالت المصادر إن الوضع يدعو للانزعاج ولاسيما في الأسطول البحري، حيث تراجع القدرة القتالية إلى ما بين عشرة واثني عشرة مثلاً خلال تلك الفترة، وبالنسبة إلى القوات البرية فإن ثلثي الفرق غير مستعدة للحرب النووية، كما أن القدرة الهجومية للقوات النووية الروسية انخفضت بمقدار مرتين ونصف عن مثيلاتها في الولايات المتحدة.

سكان إندونيسيا بلغوا المئتي مليون نسمة

أعلن رسمياً أن سكان إندونيسيا بلغوا المئتي مليون يوم ٤ فبراير الماضي عندما ولد الطفل وايهو نوسنتارا جي في جزيرة لومبرك في شرقي إندونيسيا، وقالت وزارة الداخلية إن الطفل هو العاشر لعائلته وقد سماه الرئيس سوهارتوا بهذا الاسم الذي يعني «الوحي الإلهي» بينما تكفلت وزارة البريد بتربيته.

وقد ولد في اليوم نفسه أكثر من ثمانية آلاف طفل في أنحاء إندونيسيا لكن«وايهو» هو الذي اختير من بينهم وفق معايير معينة لم تنشر، واستناداً إلى الأرقام الرسمية فإن سكان إندونيسيا بلغو منتصف ليل الثلاثاء مئتي مليون و ٨٧٧٨نسمة، وهو رابع بلد في العالم من حيث الكثافة السكانية بعد الصين والهند والولايات المتحدة.

أمية المرأة والتعليم من تحديات العرب في القرن المقبل

أكدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن غالبية السكان العرب من الأطفال والفتيان، وأن ما يزيد على ٥٠ في المئة من السكان دون سن العشرين.

وأضافت المنظمة في دراسة أجرتها حديثاً أن غالبية السكان العرب أميون ويعيشون في مستوى صحي منخفض، وإنتاجية منخفضة.

وتوقعت الدراسة أن يرتفع عدد الأميين إلى ٦٦ مليون شخص في سنة ٢٠٠٠ وأن هناك خطراً حقيقياً أن تظل ٥٠ في المئة من النساء البالغات في العام ٢٠٠٠.

وحذرت الدراسة من الاتجاه في النقل من الغير في برامج محو الأمية، في ظل العقلية المستسلمة للجديد والمبهورة به ومسايرته من دون مناقشة أو تعديل.

وحملت الدراسة حرمان المرأة العربية من التعليم، مسؤولية تخلف المجتمع العربي، وربطت بين حرمان المرأة من التعليم وبين القيم المتصلة بمكانتها ودورها الاجتماعي، ومفهوم الرجل عنها ومفهومها عن نفسها من جهة أخرى ذكرت الدراسة أن قدرة الدول العربية على إلحاق الأطفال بالتعليم الابتدائي غير متوافرة، في حين وجد ارتفاع ملموس في نسبة التسجيل في التعليم الثانوي. وأفادت الدراسة أن كل ٢٠ تلميذاً في المرحلة الابتدائية في كل من البحرين والكويت وليبيا وقطر والسعودية والإمارات لهم مدرس واحد، وكل ٣٠ تلميذاً في جيبوتي وموريتانيا والسودان واليمن لهم مدرس واحد.

١٢ مليون إصابة جنسية في الولايات المتحدة سنوياً

بيّن تقرير أمريكي صدر من المعهد الصحي الوطني أن هناك ١٢ مليـون إصابة جنسية منتقلة عن طريق العلاقـات المحرّمة، ويقول الأطباء يجب على الهيئـات الصحيـة اتخاذ الإجراءات الـوقائيـة العاجلـة لمكافحـة هذا الوباء الخفي على حد قـولهم، وطالب الأطباء بـزيـادة الصرف المادي من قبل الحكـومـة الأمريكية لمكافحة هذا الانتشار، إضـافـة إلى ضرورة إنشـاء مـراكـز خـاصـة تتـابع الإصـابـات المرضيـة التي يمكن أن تنتقل بـالجنس، وأكـد الجميع أن هنـاك ضرورة لـزيادة طـرق الحمايـة والوعي العـام لتلك الأمـراض، كما طـالبـت بعض الجهـات الصحيـة بـزيـادة الاهتمام بجيل الشبـاب الصاعد كون الأمراض الجنسيـة عالية لدى هذه الشريحة الاجتماعية.

عطلة رسمية للمسلمين في الأرجنتين

وافق البرلمان الأرجنتينـي في جلستـــه التي عقـدت أخيراً على اعتبـار أيـام الأعيـاد الإسلامية «رأس السنة الهجرية ـ عيد الفطر ـ عيـد الأضحى» عطلـة رسميـة لجميع المسلمين في الأرجنتين وقـد صـدر بـذلك القانون رقم ٢٤٧٥٧ لسنة ١٩٩٦م، ووقعه رئيس الجمهورية وسيعمل بـه بعد تصويت مجلس الشيـوخ عليـه في أول اجتماعـات دورته الجديـدة التي ستبدأ في شهـر مارس القادم.

ويذكـر أن الدكتور سيـزار أرياس ـ عضو مجلس النواب عن حـزب العدالة «البيروني» الحاكم، وأول وزيـر للعـدل في حكـومـة كارولوس منعم، والـذي يشغل حالياً رئيس لجنة القضاء والعدل في مجلس النواب ـ هو الذي تقـدم بمشروع القانـون، وذلك في ٢٨ سبتمبر الماضي نتيجـة لاتصـالات عـديـدة لمكتب الثقـافـة والـدعـوة الإسـلاميـة في الأرجنتين.

وقد استقبلت الجالية الإسلامية صدور هذا القانون بالفرحة والسرور.

نقص المياه سيكون مشكلة أساسية عالمياً

حذر برنامج البيئـة التابع للأمم المتحدة أونيب Unep البشرية من مـواصلة تدمير أسس الحياة الطبيعية على الأرض بالطريقـة التي تجري بها حالياً وتوقعت في دراسة استقصائيـة لها حول البيئـة العام ٢٠٥٠ أن تكون مشكلـة ندرة الميـاه هي المشكلة البيئية الأساسية على المستوى الكوني.

وذكرت الـدراسة التي أعلنتها أونيب من مقـرها في نيروبي وشارك في إعـدادها ٥٠٠ عالم من مختلف بقاع الأرض أن عمليـة تدمير أسس الحياة على الأرض تسير بتعجيل منفلت رغم كل التحذيرات والإجراءات والقوانين التي سنتها الأمم المتحدة.

وحذر التقـرير من أن مشكلة نـدرة مصادر الميـاه ـ المزمنة ستشمل بمعـاناتها ربع البشريـة منذ مطلع القـرن المقبل وأنها ستمتد لتشمل القـارة الأوروبية ذاتها أسـوة بـالمشاكل البيئيـة الأخـرى، وأضاف التقـريـر أن المعطيـات العلمية التي اعتمـدتها الدراسة أن تربـة أوروبا ستتعرض إلى تلف مطرد خلال العقـود القليلة المقبلة نتيجة سخونة الأرض وتحمضها الناجم عن كثـرة الاستخدام للمواد الكيماوية على مستوى عالمي، وتـوقعت الدراسة أن يُطال هـذا الخراب ١٢,٥ في المائة من تربة أوروبـا العام ١٥٥٠ وأن تكون أراضي بلـدان بريطانيـا والدول الاسكندنافيـة، وبولندا أكثـر هذه الدول تضرراً نتيجة تلوث المياه والأرض والتغيرات المناخية المفاجئة وطبيعي لا يسري التحذيـر على بلدان أوروبا فقط لأن إلحاق الضرر بأسس الحياة الطبيعيـة في أسيا لا يقل عنه في أوروبا حسب دراسة المنظمة التابعة للأمم المتحدة، فالصناعة الناهضة في بلـدان أسيا تهدد المزيـد من الأراضي بـالتلف، وتـرتفع أعمدة الغـازات المنطلقـة من المصانع إلى كبـد السماء رغم كل لوائح حمايـة البيئة التي سنتهـا الأمم المتحدة، ولم ينجح قانون الحفاظ على الأجناس، الذي أطلقه مؤتمر ريو لحماية الأرض قبل خمسة أعـوام في وقف انقراض العـديد من الحيـوانات العـائشة على كـوكب الأرض، ويشير التقريـر إلى حقيقة مفزعـة لم تنجح البشرية حتى الآن في التزامهـا بهدف إنقاذ أسس حيـاتها الأرضية: «أن تخصيص ٢ ـــ ٣ في المئـة من إجمالي الإنتـاج القومي لكل بلـد لصالح حماية البيئة كفيل بتحقيق نتائج إيجابيـة على صعيد حماية أسس حياتنا من الـدمار، وطـالبت أونيب في دراستهـا بما يلي: «إحداث تغييرات حـاسمة على صعيـد سياسة الطـاقة وخصوصاً باتجاه الاقتصاد في الصرف والبحث عن مصـادر جديدة وغير ضارة بيئيـاً، ونقص ونشر التكنـولوجيا الحديثـة التي تعين البشريـة في حماية بيئتها، وتطوير أسلوب حديث لتبادل المعلومات البيئية وجمعها بغرض تمكين المنظمة العالمية من وضـع الدراسات الشاملة وبمقاييس عالمية.

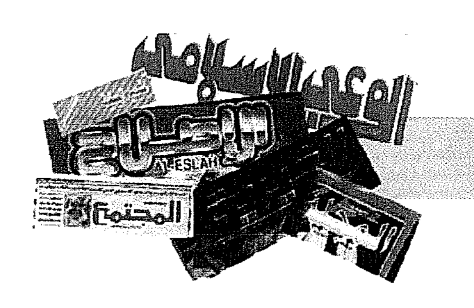
خطة في بريطانيا لبناء ١٠٠ مسجد

قالت صحيفتـان بريطانيتان إن حـوالي مئة مسجد جديـد سوف تشيد في بريطانيا خلال الأعـوام الثلاثة المقبلة وحسب ما أوردته الصحيفتان «الديلي تلغـراف» و «الديلي ميل» فإن تمويل عمليات بناء تلك المساجـد سوف يتم عن طريق تبرعـات وهبات من أفراد مسلمين.

ومن المقرر أن يتم بناء عشرين مسجدا في لندن بينما سوف تشيد بقية المساجد في ليدز وبرادفورد وروشدال في شمال انكلترا.

ويـذكر أن معظم مسلمي بـريطـانيا الـذين يعدون ١,٥ مليـون شخص هم من شبـه القـارة الهندية ويقيمـون بشكل رئيسي في العاصمة البريطانية وفي وسط وشمال البلاد.

ويجرى حالياً تشييد العديد من المساجد التي تشتمل على قاعات للدراسة لتعليم الأطفال أسس الديانة الإسلامية.



قالت الصحف العالمية

آسيا والغرب في معركة القيم

ذكرت جريدة الحياة اللندنية في عددها رقم ١٢٤٠٧ الصادر في ١٩٩٧/٢/١٦م في مقالة مطولة حول المعركة الإعلامية الدائرة في قارة آسيا بين الإعلام الغربي والقيم الآسيوية فكتبت تقول:

خطاب القيم الآسيوية يتمدد من باكستان حتى أقصى دول جنوب شرق آسيا مروراً بالمارد الصيني الزاحف: إنها القيم التي لم تقف عقبة أمام الدورة الاقتصادية، لكن خطابها بدأ يفرض نفسه على وسائل الإعلام وكيفية التعامل معها، فبعد مرحلة الاقتصاد أولاً ومن ثم حرية الرأي الإعلامي، يبدو أن الشعار الجديد هو الاقتصاد أولاً وآخراً، طالما أنه لا يخدش امتيازات الطاقم السياسي المسيطر وعاداته، فصيحفة «الشاينا دايلي» الصادرة في بكين بدأت تطالب الدول الغربية بأخذ دروس من شرق آسيا، محذرة هذه الدول بأنه في منتصف القرن القادم (!) ستكون غلبة الشرق حتمية في المجالات كافة بما فيها الحضاري والثقافي.

بيد أنه قبل الوصول إلى هذا النصر المعلن، على دول آسيا، حسب «شاينا دايلي» أن تحارب الإعلام الغربي وخصوصاً تلفزيوناته، لأن الاستعمار الجديد لم يعد عسكرياً، بل الكترونياً وثقافياً، والغرب سيستخدم وسائل إعلامه لمراقبة الدول التي هي في طور النمو وليبسط نفوذه عليها.

الرهان إذن بالنسبة إلى العالم الآسيوي يدور حول كيفية استخدام التكنولوجيا الغربية في مجال الإعلام دون أن تولِّد هذه التكنولوجيا «القيم الغربي» كحرية الرأي والفكر على سبيل المثال.

عبدة الشيطان ماذا تقول قوانينهم

وتناولت مجلة المسلمون في عددها رقم (٦٢٨) الصادر بتاريخ ٧ شوال ١٤١٧هـ قضية تنظيم «عبدة الشيطان» الذي كشف أخيراً في مصر وما المعتقدات الفاسدة التي يؤمنون بها فقالت:

هذا نقل نصي لبعض المبادىء في عبدة الشيطان التي تمثل أشهر شعاراتهم وتأمل كيف تمثل ردة فعل كاملة لمبادىء الديانة النصرانية، وللحضارة الغربية.

المبادىء التسعة الشيطانية هي:

١ ـ الشيطان يمثل الانغماس الذاتي في الشهوات بدلاً من التقشف.

٢ ـ الشيطان يمثل الوجود الحيوي بدلاً من الأحلام الروحانية.

٣ ـ الشيطان يمثل الحكمة غير الملوثة بدلاً من الفشل المبني على النظريات.

٤ ـ الشيطان يمثل العطف لمن يخدمه بدلاً من الحب الضائع على كل أحد.

٥ ـ الشيطان يمثل الانتقام بدلاً من إعطاء الخد الآخر.

٦ ـ الشيطان يمثل المسؤولية للمسؤول بدلاً من الاهتمام بامتصاص الناس وأموالهم.

٧ ـ الشيطان ينضر للإنسان كحيوان آخر أحياناً أفضل وأحياناً كثيرة أسوأ من الحيوانات التي تمشي على أربع، والإنسان بسبب تطوره الذكي صار الحيوان الأكثر شراً منها كلها.

٨ ـ الشيطان يمثل كل الخطيئات والكبائر التي تقود لعظمة الفعل والروح.

٩ ـ الشيطان خير صديق أبدي للكنيسة النصرانية، لأنه أوجد لها ما تنشغل به كل هذه القرون!.

القوانين الشيطانية العملية التسعة:

١ ـ لا تعطي رأيك أو نصيحتك إلا إذا طلبت منك.

٢ ـ لاتخبر أحداً بمشاكلك إلا إذا تأكدت أنهم يريدون سماعها.

٣ ـ في مكان تابع لشخص ما أره احترامك أو لا تذهب هناك.

٤ ـ إذا أزعجك شخص في مكانك التابع لك فعامله بعنف وبلا رحمة.

٥ ـ لا تطلب من أحد ممارسة الجنس معه حتى يريك إشارات واضحة في رغبته بذلك.

٦ ـ لا تأخذ شيئاً لا تملكه إلا إذا ألح عليك الشخص الآخر بذلك.

استعمل قوة السحر التي تملكها بكل ما يمكن إذا استطعت الحصول عليها بنجاح لأنك لو أجلتها أو حددتها بعد ذلك ستفقد كل ما حصلت عليه بسببها.

٨ ـ لا تتذمر من شيء لا تحتاج للتذمر منه بفائدة موضوعية لشخصك وحدك.

٩ ـ لا تؤذ أحداً في مكان مفتوح، ولو آذاك شخص فاطلب منه التوقف، فإذا لم يتوقف فدمره.



هل تعود الحرب إلى البوسنة!!؟

أما جريدة الشرق الأوسط فتناولت من جديد موضوع البوسنة عقب الأحداث الأخيرة في موستار وبريشكو، فكتبت تقول في عددها رقم ٦٦٥٥ الصادر في ١٩٩٧/٢/١٦:

هل تنزل البوسنة عائدة إلى أبشع أيام «التطهير العرقي»؟ لم يعد السؤال أكاديمياً، فمتطرفو الحقد العرقي المختبئون خلف قناع اتفاقات دايتون، بدأوا يسفرون من جديد عن وجه قبيح قديم، ففي موستار، بدأت مجموعة من الفاشيين الكروات بطرد المسلمين من المناطق التي يقطنون فيها منذ أربعة قرون وحاول المبعوث الأوروبي في موستار أن يتفادى الموضوع، بينما لم تفعل قيادة الاتحاد «المسلم ـ الكرواتي» أي شيء لدرء المأساة.

ولا ريب أن أحداث موستار تشكل نكوصاً عن اتفاقات السلام في دايتون، لكن هناك وضعاً أشد وأعتى ينشأ في برشكو مما يهدد سلام البوسنة الهش، فهذه المدينة ظلت، حتى بدء تفكك يوغوسلافيا العام ١٩٩٢م، معقلاً للمسلمين منذ القرن السادس عشر، وفي برشكو بالذات أطلق صرب البوسنة بإسناد من بلغراد، أول عمليات «التطهير العرقي» وأكثرها وحشية ضد السكان المسلمين، العزل إلى أبعد حد، وقتها جلس العالم يتفرج على آلاف المسلمين، نساء ورجالاً وأطفالاً، يذبحون، ويراقب آلافاً أخرى تساق عنوة خارج بيوتها، وانطلقت شراسة الصربيين في برشكو جامحة لتهدم المساجد وتسويها بالأرض، وتدمر الأسواق القديمة، فضلاً عن تدمير مزارع وبساتين يزيد عمر البعض منها على عدة قرون، باختصار، لم يسبق لأوروبا، أن عاينت مشاهد بربرية كهذه منذ القرون الوسطى.

ثم جاءت القوى العظمى لتضع حداً للنزاع في لحظة بدأ فيها مسلمو البوسنة، لأول مرة بعد ٣ سنوات من الحروب، يحصلون على بعض الأسلحة والتدريب اللازم للدفاع عن النفس، وألغى المسلمون خطة لتحرير برشكو حين تدخلت الولايات المتحدة لتنظم المفاوضات التي أسفرت عن اتفاقات دايتون، وتتضمن الاتفاقات مبدأ مهماً ينص على حق الأفراد والجماعات في العودة إلى قراهم وبلداتهم الأصلية، قد يبدو هذا معقولاً، بل عادي جداً، نظراً لأن اتفاقات دايتون تقوم عى تصور البوسنة والهرسك ككيان متعدد الإثنيات ذي حكومة اتحادية «فيدرالية» مركزية موحدة.

لكن، إذا كانت البوسنة والهرسك بلداً واحداً، كما تقول اتفاقات دايتون، فإن من حق مواطنيها والحالة هذه العيش في منازلهم، غير أن الصربيين يرفضون هذا المبدأ، ويلتمسون القوة لمنع مسلمي مدينة برشكو من العودة إلى الاستقرار في بيوتهم القائمة هناك.

الأحداث الأخيرة في موستار وبرشكو تبين أن بين الكرواتيين والصربيين مَنْ يعدون العدة لجولة جديدة من القتال، وهؤلاء يفعلون ذلك لأن القوات الدولية التي أشرفت على تطبيق اتفاقات دايتون تقترب من نهاية التفويض بالبقاء، وستغادر هذه القوات لتحل محلها قوة أصغر بكثير ينشرها حلف شمال الأطلسي «ناتو»، أما القوات الأمريكية التي شكلت العمود الفقري لوحدات تطبيق السلام، فإنها تحزم أمتعتها استعداداً للعودة إلى وطنها، ويرى الكرواتيون والصربيون في ذلك علامة على أن فتور اهتمام الولايات المتحدة بالبوسنة، وأن ذلك يوفر بالنتيجة فرصة جديدة لقضم الحواشي الرخوة في اتفاقات دايتون، إن رد الفعل الدولي على الأحداث الأخيرة في كل من موستار وبرشكو تتميز حتى الآن باللامبالاة، حتى لا نستخدم تعبيراً أكثر حدة، وإلى ذلك نضيف أنه ما لم يرسل المجتمع الدولي إشارة قوية تؤكد الالتزام بروح ونص اتفاقات دايتون، فإن البوسنة والهرسك قد تغذ السير نحو فصل جديد من فصول مأساتها.

ترجمات

أفريقيا تدور في حلقة مفرغة من القمع والتخلف الاقتصادي

اعداد : عبدالمنعم احمد

بقلم: توماس . لانسنر

بينما كانت أفريقيا الوسطى التي مزقها العنف تقف على أعتاب حرب شاملة أخيراً، كان الرئيس الزائري موبوتوسيسي سيكو «ينهض موقتاً من فراش المرض في «فيلته» الفاخرة في «كوت دازور» وقال هذا الدكتاتور المريض البالغ من العمر ٦٦ عاماً: «زائير بحاجة إليّ، فالوضع الراهن يتطلب عودتي إلى كينشاسا، وسأعود وأضع الأمور في يدي». ولكن ما وضعه موبوتو سلفاً في يديه خلال ثلاثة عقود من حكم حزبه الواحد المدعوم من العسكريين كان جزءاً كبيراً من ثروة بلاده، فمن خلال الدعاية والاضطهاد قام موبوتو بافقار زائير، وجعل نفسه واحداً من اغنى أغنياء العالم. واستناداً إلى وكالة رويتر فإن تقديرات ثروته الشخصية تتراوح بين ٤ ــ ٩ بلايين دولار، بما في ذلك قصر في سويسرا المؤلف من ٢٨ غرفة، و١٣ منزلاً في بلجيكا، واثنان في فرنسا ويملك اسطولاً من سيارات الليموزين التي يبلغ عددها ٥٠ سيارة، ومن المشكوك فيه أن يعرف الحجم الحقيقي لثروته.

والحقيقة أن اعتقاد موبوتو الراسخ بأن بلاده «تحتاج» إليه هو غرور يشاطره إياه الطغاة الأفريقيون الآخرون. ففي جميع ارجاء أفريقيا توجد الحكومة حيث يوجد المال، والتخلي عن السلطة أو تقاسمها يعني التنازل عن مصادر شحيحة، سواء كانت معادن أو نفطاً أو مساعدات خارجية. ومعظم هؤلاء الطغاة هم من العسكريين، أو العسكريين السابقين الذين يحكمون مجتمعين نصف البلدان الأفريقية تقريباً. وهم يستولون على ثروة بلادهم لكي يمولوا قوى أمن تقوم بقمع المقاومة وتمتص قوة المجتمعات المدنية الوليدة التي يمكنها أن تتحدى سلطة الدولة، هذه الحلقة المفرغة هي أحدى الأسباب وراء اندلاع الأزمة في أفريقيا الوسطى من جديد، ووراء كون ١٧ فقط من أصل ٥٣ بلداً أفريقيا تتمتع بالديموقراطية.

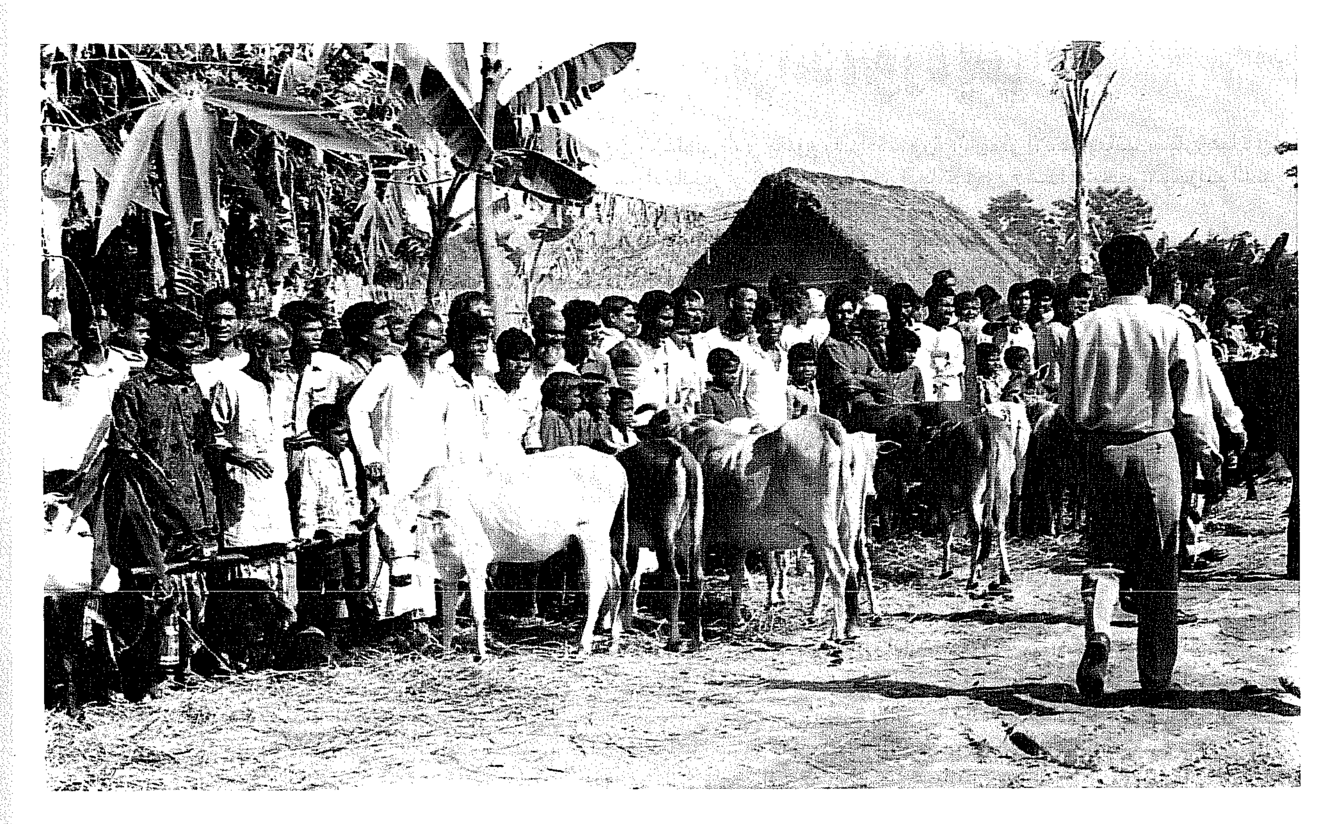
لقد وصلت موجة إشاعة الديموقراطية التي اجتاحت أوروبا الشرقية مع انتهاء الحرب الباردة إلى أفريقيا أيضاً. ديموقراطية ناجحة وإن كانت لا تزال هشة.

ولكنها الاستثناء للقاعدة. فقد أصبح طغاة أفريقيا أشد رسوخاً وهم اليوم أكثر من أي وقت مضى يلبسون حكمهم لباس الشرعية الديموقراطية بإجراء انتخابات مزورة. ففي هذا العام وحده قام العسكريون الذين استولوا على السلطة في تشاد وغامبيا والنيجر بإخضاع أنفسهم لشكليات العملية الانتخابية مع أن النتائج معروفة سلفاً. وتظهر عملية مسح لأبرز طغاة القارة نمطاً مماثلاً من الفساد والسيطرة. ففي زائير يضغط موبوتو على الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة لكي يقدما التمويل لانتخابات العام ١٩٩٧ حتى وهو يحرض على الفوضى العرقية في بلاده. ويواصل موبوتو ألاعيبه التي يمارسها منذ زمن طويل والمتمثلة في استبعاد المعارضة واضطهادها لكي يبذر الانقسامات بينما يتحلل اقتصاد البلاد ويتجه إلى الفوضى.

وقد جرى اهدار احتياطيات بلاده الغنية من الماس والكوبالت والنحاس عن طريق الفساد حيث وجد معظمها طريقه إلى حسابات شخصية سرية في المصارف السويسرية.ولم يتم عملياً تطوير اقتصاد حديث، وحتى البنية الأساسية الصغيرة التي خلفتها بلجيكا قبل ٣٦ سنة أخذة بالانهيار. وفي كينيا اعقبت الانتخابات غير السليمة التي اجراها دانييل اراب موي العام ١٩٩٢ اضطرابات عرقية راح ضحيتها ١٥٠٠ شخص على الأقل. وقد اتهمته جماعات حقوق الإنسان الدولية بالتحريض على الصراع المسلح بين الجماعات العرقية بهدف تدمير مصداقية التعددية الحزبية. أما الرئيس عمر بونغو الذي حكم الغابون على مدى ٢٩ عاماً فإنه أطلق حرسه الرئاسي لقمع الاحتجاجات على انتخابات ديسمبر ١٩٩٣ التي انتهت بانتصار له وصفه بعض المراقبين بأنه «انقلاب انتخابي».

إن غابون غنية بالنفط، وعلى الرغم من افتخارها بفائض تجاري مع الولايات المتحدة والذي بلغ بليون دولار، فليس في البلاد سوى بضعة كيلو مترات من الطرق المعبدة، ومثل موبوتو، من المعتقد أن بونغو هو من أغنى أغنياء العالم، في نيجيريا وبعد أن ألقى بالفائز في انتخابات ١٩٩٢ الرئاسية «مشهود ابيولا» في السجن، بدا الجنرال ساني أباشا وكأنه يتهيأ لأجراء انتخابات رئاسية العام

الأنظمة القمعية تولد النزاع العرقي وتؤخر النمو الاقتصادي



الجاري على أن يكون مرشحاً فيها، ويستمر القمع الشديد، ويهدد مقاومة العسكريين للمطالبة الشعبية بتطبيق الديموقراطية بإشاعة حالة من الفوضى في أكثر بلدان أفريقيا تعداداً للسكان. وتستخدم الحكومة النيجيرية عائدات احتياطياتها النفطية الهائلة من أجل تمويل عمليات القمع التي تمارسها الشرطة والجيش.

وفي توغو اجرى الرئيس اياديما انتخابات رئاسية العام ١٩٩٣ كانت تعج بالتزوير والاحتيال لدرجة أن المعارضة رفضت حتى المشاركة بينما انسحب معظم المراقبين. وشهدت انتخابات العام ١٩٩٤ التشريعية عنفاً وترهيباً من الجيش. بينما تواصل الولايات المتحدة رفض تقديم المعونات بسبب الفساد المستشري والقمع، فإن فرنسا استأنفت برنامج مساعداتها الرئيسي لتوغو. وفي الكاميرون حيث يستخدم الرئيس «بول بيا» برلماناً خانعاً للتصديق على المراسيم التي يصدرها. وقد قوبلت إعادة انتخابه العام ١٩٩٢ بمقاطعة من جانب المعارضة، كما وصفها المراقبون الدوليون بأنها مزيفة.

ويتصاعد التوتر وسط سعي «بيا» إلى تقسيم الأحزاب السياسية على أسس عرقية، بينما يستخدم القوة المسلحة لقمع الاحتجاجات المناهضة للحكومة.

وفي سبيل تحقيق مكاسب تجارية أو سياسية، يظهر البعض في الأسرة الدولية استعدادهم لتحمل استمرار التسلط الذي يلبس زي انتخابات وهمية، وذلك على الرغم من الدلائل على أن الأنظمة القمعية تولد النزاع العرقي وتؤخر النمو الاقتصادي. ومن المعتقد أن دور فرنسا في أفريقيا اليوم هو الأكثر أهمية بالمقارنة مع أي قوة خارجية. إذ تبلغ موازنة المساعدات السنوية التي تقدمها

مسؤولية الديموقراطية تقع في نهاية المطاف على عاتق الأفارقة

أكثر من ٣ بلايين دولار وهي تعادل أربعة أضعاف المساعدة الأميركية الرسمية. ويرابط جنود فرنسيون في الكاميرون، وجمهورية أفريقيا الوسطى، وتشاد، وساحل العاج، وجيبوتي، والغابون، والسنغال، كما أنها تدخلت تكراراً لتعزيز المواقع المهزوزة لرجال السلطة المقربين من فرنسا.

وبالنظر إلى ضعف المجتمع المدني في أفريقيا، فإنه بإمكان النفوذ الخارجي إن يشجع إلى حد كبير الديموقراطية أو أن يعيقها بشكل خطير. صحيح إن مسؤولية الديموقراطية تقع في نهاية المطاف على عاتق الأفارقة الذين يعيشون تحت أنظمة استبدادية. ولكن قلائل هم الأفارقة الذين يمتلكون اليوم حرية الوصول إلى التعليم والموارد أو يتمتعون بالمهارات التنظيمية لمواجهة الدولة. وعلى الدول التي تساعد أفريقيا ألا تقدم العون للبقاء على الأنظمة الاستبدادية، بل أن تشرط مساعداتها بزيادة الليبرالية. وحتى ذلك الحين ستكون الآمال ضعيفة بحدوث تغيير إيجابي، وسيبقى معظم أفريقيا غارقاً في حلقة مفرغة من القمع وعدم التطور. ■



قراءة سورة يس

ما حكم الشرع في الشخص الذي يقوم بقراءة سورة «يس» أو الإدعاء بأنه سيقرؤها على شخص مسلم سواء بالخير أو بالشر؟ وما دور الحاكم في ردع هذا الشخص؟ وجزاكم الله خيراً.

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

ورد في فضل قراءة سورة ياسين بعض أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أسنانيدها ضعيفة، وعلى كل فهي سورة من القرآن، والقرآن كله خير، ولا بأس بقراءتها في أي وقت بنية خير، ولا يجوز قراءتها ولا غيرها من آيات وسور القرآن الكريم بنية الإضرار بأحد، لأن الإضرار بالآخرين ممنوع شرعاً وبخاصة بوساطة القرآن أو غيره.

منتقاة مما تصدره إدارة الافتاء والبحوث الشرعية في وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت. ونرى فيها فائدة عامة للإخوة القراء.. والمجلة على استعداد لتلقي الأسئلة مباشرة وتحويلها إلى أهل الاختصاص للإجابة عليها..

حكم الرهن في الإسلام

يرجى الإفادة من ذكر الدليل:

ـ بخصوص رهن الأرض هل تصبح ملكاً للمرتهن بعد فترة أم تعود لصاحبها الأصلي بعد سداد الرهن؟

ـ خراج الأرض ـ أي نتاجها ــ هل يتم سداد الرهن منه، أو من بعضه أو هل كل الخراج للمرهونة عنده الأرض حيث إن هذا الموضوع غامض حسب ما ذكر لي أحد الإخوة الأفغان علماً بأن هذه الفتوى سترسل إلى أفغانستان إن شاء الله.

ـ هل يجب إخبار من تعطى له الزكاة أن هذه زكاة أم لا؟

وقد أجابت اللجنة:

ـ الرهن من عقود التوثيق ولا يخرج به المرهون عن ملكية الراهن، فإذا سدد الراهن الدين للمرتهن استعاد منه المرهون جبراً عنه لأنه لا يزال على ملك الراهن المالك الأصلي له مهما طالت مدة الرهن، والأرض وغيرها في ذلك سواء.

ــ لا يجوز للمرتهن أن يستغل الأرض المرهونة إلا بإذن الراهن إذناً غير مشروط في الرهن فإذا استغلها المرتهن بإذن الراهن من غير شروط فالناتج من الأرض للمرتهن، ولو شرط ذلك في الرهن فسد الرهن.

ـ من شروط صرف الزكاة لمستحقها نية المزكي أنها زكاة عند الدفع إلى المستحق لها أو عند عزل مال الزكاة عن المال الآخر، والنية تكون في القلب ولا ضرورة لإعلام المستحق للزكاة بها، بل يمنع من إعلامه بها إذا كان في ذلك امتهان له أو إيذاء ولو قدمها له على شكل هدية كان أحسن.

حكم استعمال بعض الوسائل الطبية في رمضان

تقدم إلينا بعض الإخوة بالأسئلة التالية حول استعمال بعض الوسائل الطبية الحديثة أو الأدوية، يريدون معرفة حكمها فيما إذا كانت تفطر الصائم أم لا؟

ــ كاستعمال المنظار الطبي لاستكشاف القروح في جدار المعدة حيث يتم إدخاله كما تعلمون عن طريق الفم حتى يصل إلى المعدة، ثم إخراجه بعد الكشف وهو ليس بطعام، وقد شبهه البعض بمثل إدخال ما ليس بطعام ـ كقطعة نقود معدنية مثلاً إلى الفم ثم لفظها من الفم على أنها لا تفطر الصائم.

قالوا: وكذلك المنظار إذ ليس هو بطعام ولا شراب ولا يتم استعمال سوائل معه اللهم إلا بخاخ لتخدير البلعوم فقط.

ــ استعمال المنظار الطبي الشرجي لاستكشاف إصابات القولون.

ـ استعمال بخاخ مرض الربو عن طريق الأنف أو عن طريق البلعوم.

يرجى إفادتنا عن الحكم الشرعي لهذه الامور.

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

ــ إذا أمكن تأجيل استعمال المسؤول عنها إلى ما بعد رمضان أو إلى ما بعد المغرب من دون ضرر كبير على المريض فالأَوْلى التأجيل صيانة للصوم عما يفسده أو يضر به.

ـ إدخال المنظار من جهة البلعوم لكشف جدران المعدة إذا كان جافاً لا رطوبة معه ولا دواء وكان طرفه في المعدة والطرف الآخر خارج الفم فإنه لا يفطر الصائم، أما لو رافق دخوله إلى المعدة رطوبة أودواء كما هو السؤال بأن كان التخدير عن طريق بخاخ في البلعوم، ولو كان دواء مخدراً فإنه يعد مفطراً.

ـ إدخال المنظار من جهة الشرج إلى القولون مثله مثل إدخال المنظار من جهة البلعوم تنطبق عليه جميع الأحكام.

ـ استعمال بخاخ الربو عن طريق الأنف أو الفم مفطر مادام يدخل منه رذاذ إلى المعدة أو الرئتين.

ـ إذا دعت الحاجة إلى استعمال المنظار أو بخاخ الربو في أثناء الصوم ولا يمكن تأجيله إلى ما بعد الغروب أو إلى ما بعد رمضان، فلا بأس به، ويعد الصائم مفطراً للعذر المرضي، وعليه بعد ذلك القضاء أو الفدية بحسب حاله.

الحكم على من يغتاب أهل التقوى

(فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)
مثل العلماء كمثل النجوم في السماء يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة) أصحاب الفضيلة العلماء في الإدارة العامة للإفتاء والبحوث الشرعية في دولة الكويت ـ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد أعرض على سماحتكم السؤال التالي:
ـ يرجى إفادتنا عن الحكم الشرعي: تجاه فئة من الناس تغتاب أهل التقوى والصلاح ثم يروجون إشاعات وأقوالاً كاذبة ويزعمون أن الشيخ فلان لا يتوجه إلى القبلة أثناء الصلاة، بل يتوجه إلى شيخه ويطلب منه المساعدة، ولا يطلبها من الله ويزعم أنه قرأ في كتاب من تأليف «الإمام أبو حامد الغزالي» «حجة الإسلام» أنه يقول في كتابه: « ان ترى أبا يزيد البسطامي في المنام خير لك من أن ترى الله» ونحيطكم علماً أن بعض هذه الفئة من الناس يأمون الناس في صلاة الجماعة وصلاة الجمعة، والناس تسمع كلامهم ويصدقونهم لأن الجميع نشأ في بيئة جاهلة أي الفئة من الناس، والمطلوب من سماحتكم الإجابة عن هذا السؤال حسب ما ورد في النص، فإذا كانت هذه الفئة على حق أنصحونا حتى نقتدي بهم وإن كانوا على غير حق وهدفهم تمزيق الصف الإسلامي يرجى التكرم لنا بإفادتنا بالصحيح وجزاكم الله خيراً.

وقد أجابت اللجنة بالتالي:

الأصل في غيبة المسلم أنها حرام باتفاق الفقهاء سواء كان من أهل التقوى والصلاح أو من عامة الناس، وذهب بعض العلماء إلى أنها من الكبائر قال تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه) الحجرات ـ ١٢، ولا بأس بالاقتداء في الصلاة بالمسلم مهما كان حاله ما دامت صلاته مستكملة أركانها وشروطها وسائر أحكامها، وإن كان الأولى تقديم الأفقه ثم الأتقى ثم الأكبر سناً، ثم إن كل قول أو فعل يؤدي إلى تفريق صف المسلمين يعد محرماً لأن الله جعل المسلمين أمة واحدة بقوله تعالى: (وان هذه أمتكم أمة واحدة) المؤمنون ـ ٥٢.

حكم التأمين

يرجى العلم بأن إدارة الجمعية ترغب في استحداث نشاط جديد في المنطقة وهو مكتب تأمين بالعمولة وذلك خدمة لأهالي المنطقة.
لذا يرجى التكرم بإفادتنا من الناحية الشرعية عن إقامة هذه الخدمة من عدمها حتى نتمكن من إجراء ما يلزم.
وقد أجابت اللجنة بالتالي:
اختلف الفقهاء المعاصرون في حكم التأمين، والذي اعتمدته لجنة الفتوى في جواز التأمين التعاوني بكل أنواعه، وجواز التأمين التجاري باستثناء التأمين على الحياة، فإنه لا يجوز، وعليه فإذا كان هذا النشاط الجديد في حدود التأمين الجائز فهو جائز، ولا بأس بأخذ العمولة عليه، وهي أجرة جائزة إذا كانت معلومة غير مجهولة، أما التأمين غير الجائز فهو التأمين على الحياة فلا يجوز القيام به، لأن ما أدى إلى حرام يعطى حكمه.

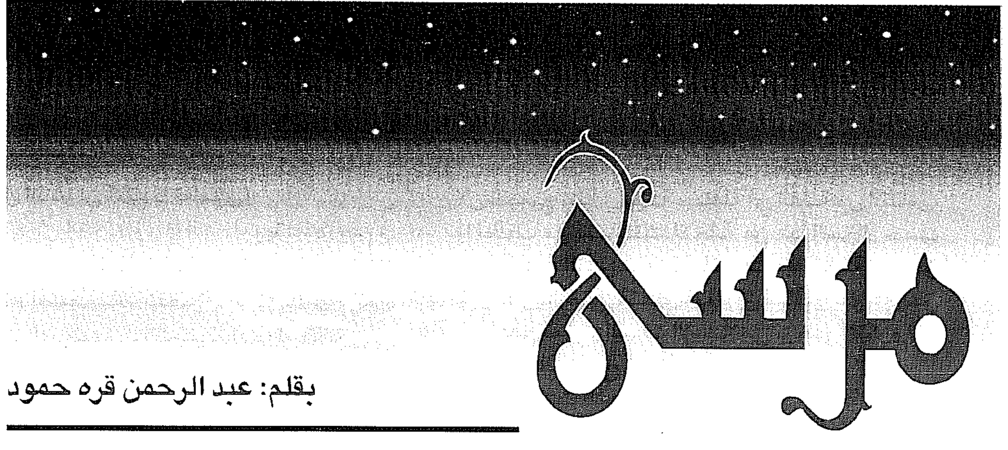
زكاة البضاعة المخزّنة

شركة تتاجر في المعدات البحرية تريد أن تحسب زكاة البضاعة المخزّنة في مخازن الشركة بالإضافة إلى الأموال السائلة لدى الشركة، الرجاء الإجابة مفصلة.
وقد أجابت اللجنة بالتالي:
الزكاة الواجبة في مال الشركة هي ربع العشر من كامل ما في الشركة في آخر الحول من أموال تقوم في آخر كل حول وقت وجوب الزكاة بسعر الجملة دون النظر إلى رأسمالها ولا إلى سعرها بالمفرق، ويدخل في ذلك البضائع المخزّنة والأموال السائلة «النقود» إلا أنه يستثنى مما يخضع للزكاة الأموال الثابتة، كالمباني المستخدمة والفرش وسيارات النقل إن وجدت وما إليه.

هل يجوز إعطاء المريض من أموال الزكاة؟

مريض مصاب بتليف الكبد، قرر الأطباء المسلمون المختصون في علاج هذا المرض أنه لا أمل في علاجه إلا بعملية زرع للكبد. وهذه العملية تجرى خارج الكويت ونفقاتها تبلغ نحو سبعين ألف دينار والمريض لا يملك من هذا المبلغ ولا عشره، هل يجوز إعطاؤه من الزكاة لتدبير نفقات العملية التي تتوقف عليها ـ بإذن الله تعالى ـ حياته كما قال الأطباء أفيدوني أفادكم الله.
وقد أجابت اللجنة بالتالي:
يجوز دفع الزكاة إليه بقدر حاجته إلى العلاج مادام عاجزاً عن دفع نفقاته.

يسر خدمة الفتوى بالهاتف تلقي الأسئلة الفقهية مباشرة من ٨ ـ ١٢ ظهرا ومن ٤ ـ ٨ مساء على الأرقام الهاتفية التالية: ٢٤٤٤٤٠٥ ٢٤٦٦٩١٤ ٢٤٢٨٩٣٤ وبدالة الوزارة ٢٤٦٦٣٠٠ / ١٠٢٩ ونرجو من الأخوة المستفسرين من خارج الكويت مراعاة اختلاف التوقيت □



بقلم: عبد الرحمن قره حمود

فاعتبروا يا أولي الأبصار

هنا يرسو القلم، ينفض عن كاهله وطأة الأيام وازدحام الأعمال وهموم الواقع، فيبث القارىء ما يتفاعل في نفسه.. وهي زاوية رأي مفتوحة الذراعين للجميع..

ذكرت إحدى المجلات الأمريكية أن تكاليف الجريمة في الولايات المتحدة الأمريكية بلغت (٤٢٥) بليون دولار أميركي في السنة. وأن هذا الرقم يشمل التكاليف المباشرة وغير المباشرة بدءاً من غرف إسعاف الطوارىء الناتجة عن اعتداء المجرم على أحد ضحاياه مروراً بأثمان أجهزة الإنذار الحديثة لتأمين المنازل، وانتهاء بالمفقود من دخل الأسرة نتيجة فقدان عائلها.

وأقول فكيف إذا عرفنا بأن الجرائم لا تقع على المنازل فقط، وإنما تتعداها إلى المحلات والمصانع والمخازن والمتاجر وغيرها من الأملاك العامة والخاصة؟!

كما أن الأمر لا يقتصر على ما ينفق على ضحايا الإجرام وما يفقد بفقدانهم بل يتعدى ذلك إلى ما ينفق على المجرمين أنفسهم، وما يفقد بفقدهم أو حبسهم، وما كانوا سيقدمونه من خير للمجتمع فيما لو أحسن تعهدهم فكانوا صالحين بدل أن يكونوا مفسدين.

وكم ينعكس ذلك على اقتصاد الأمة سلباً أو إيجاباً، بل إن الأمر أكبر بكثير من أن يقتصر انعكاسه على الاقتصاد فقط، فهو يتعدى ذلك إلى الأحوال النفسية للناس، تلك الأحوال التي إن كانت حسنة تحسن كل شيء، وإن كانت سيئة ساء كل شيء ورحم الله الشاعر القائل:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت
فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وصدق الله العظيم إذ يخاطبه بقوله: «وإنك لعلى خلق عظيم» ويقول عز وجل: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة..» وهذا يدل على أن الأخلاق هي المعول عليها في الحياة.

إن الإجرام جراح تنزف في جسم الأمة لا يقيه منها إلا الأخلاق الكريمة.

فبقدر انتشار الجرائم تنتشر وتزداد الجراح، وبقدر انتشار الفضيلة يكون جسم الأمة إلى الصحة والسلامة أقرب.

لذلك فإن الإنفاق على الإصلاح هو استثمار عظيم النفع للأمة. والأمم التي تدرك هذا وتنفذه حكومة وشعباً تتقدم. والأمم التي لا تدركه أو تدركه ولا تنفذه تتأخر.

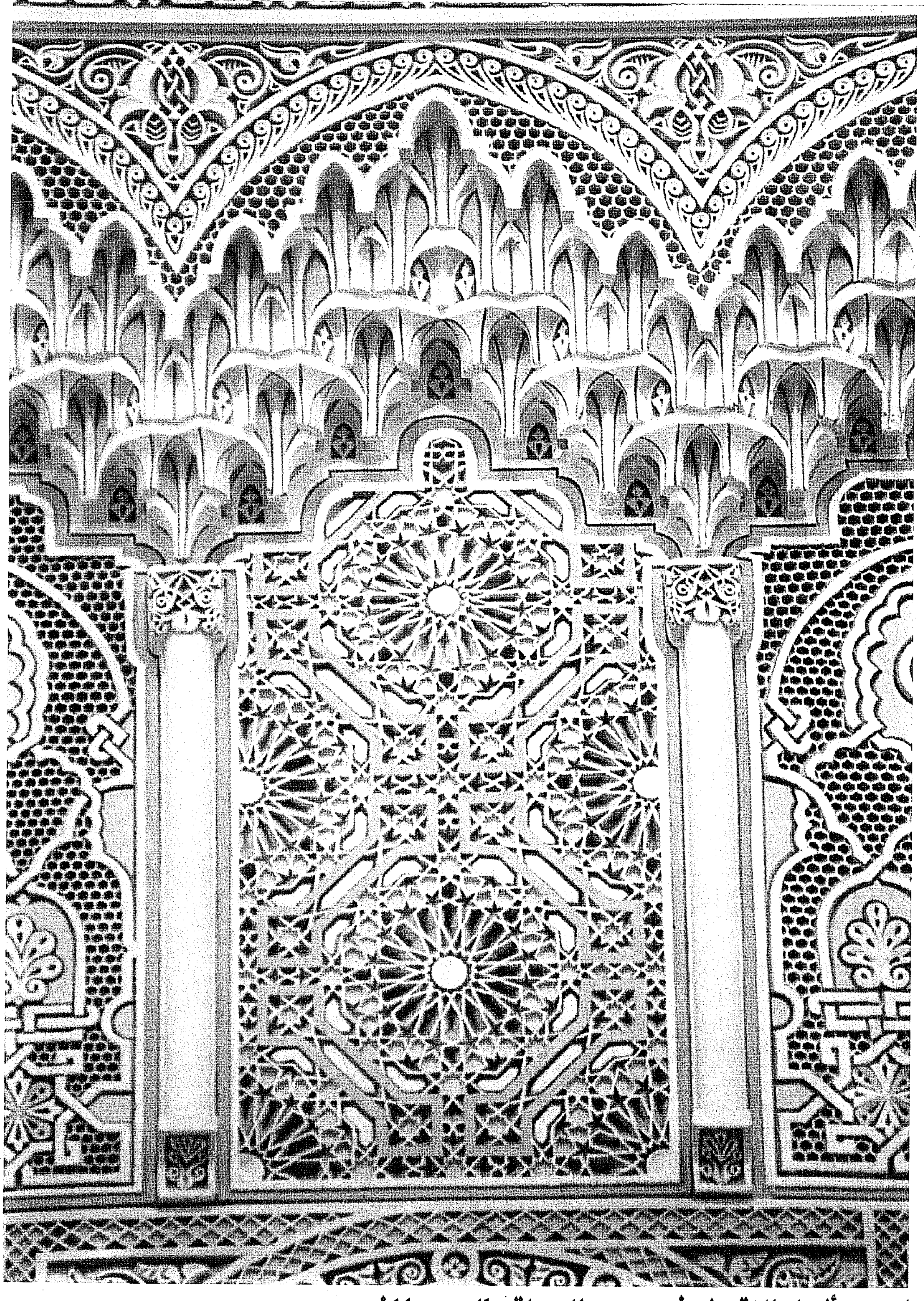
يروى أن سيدنا أبا بكر رضي الله تعالى عنه حين ولي الخلافة عين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قاضياً على المدينة. وبعد مرور سنة جاءه مستقيلاً، ولما سأله عن سبب استقالته مستنكراً ومستغرباً قال: إن المدينة ليست بحاجة إلى قاض فقد مر عام كامل ولم يتقدم إليّ أحد بشكوى.

وصدق من قال: لو أنصف الناس لاستراح القاضي.

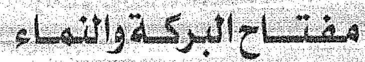
هذا هو حال الأمم السابقة. فأين هو حال أمم اليوم من ذلك؟ المتقدمة منها بل المتخلفة؟

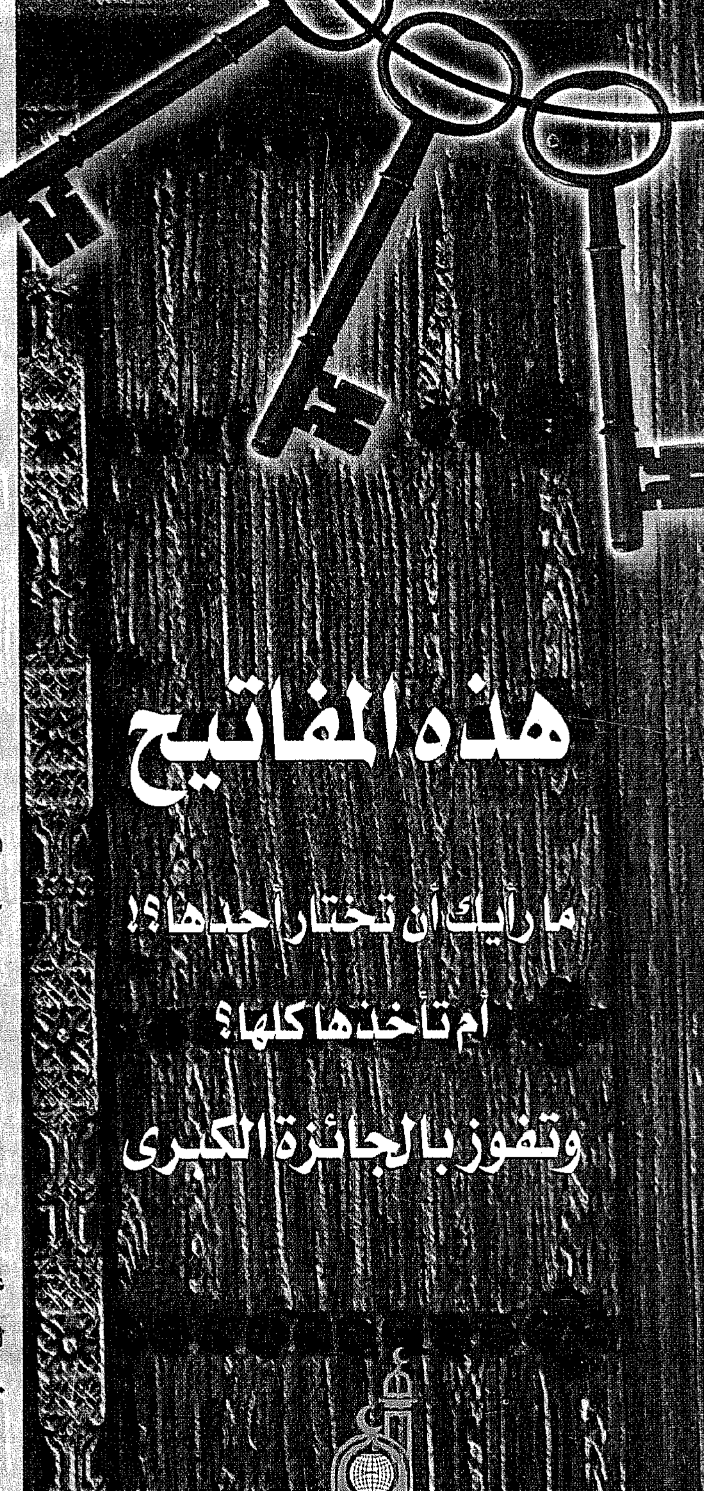
هل في الغرب المتقدم على اختلاف أممه ودوله وأنظمته أمة أو دولة وصل بأفرادها الغنى ـ غنى المال أو النفس ـ أن لا يوجد فيها فرد واحد بحاجة لأخذ مال الزكاة كما حصل في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ورضي عنه؟

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يفقه به، فاعتبروا يا أولي الأبصار. ■



احدى أنواع النقوش في مسجد الدولة بالجبس المغربي


مفتــاح البركــة والنمــاء


هذه المفاتيح
ما رأيك أن تختار أحدها؟!
أم تأخذها كلها؟
وتفوز بالجائزة الكبرى
الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية
معاً.. لا يعود السائل الى السؤال